أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٧، صفر ١٤٠٨

المختار

٣٣

من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest October '87 N° 107

العصر الحجري الحديث ٩
رايات حمراء تهدد الزواج ١٤
هوسيب سيرت، مهندس الجمال ١٨
يكفيها أنها أنيقة ٢٤
الجراحة التجميلية تشفي النفس؟ ٢٨
سلحفاة السباق الكبير ٣٣
المناطق الحرة تغزو العالم ٣٧
عنوان الحب ٤٥
طرائف وأرقام عن الطقس ٤٩
الشجاع يسقط في القمع (مأساة واقعية) ٥٢
أعطوا بلطف وخذوا بفرح ٥٨

هل تميل الأرض إذا قفز مليار صيني؟ ٦٦

برنشتاين ينحني لميدوري الصغيرة ٧٠
كارثة على الراين ٧٦
لحظات إبداع ٨٥
اللص الظريف (قصة قصيرة) ٩٠
نحلم بمثلها للعالم العربي ٩٧
نفوس كبيرة ١٠١
قصص هايلي يكتبها الكمبيوتر ١٠٦
نكهة الحياة ١١١
ينابيع القوة ١١٣
عالم كرولر مولر ١١٨

حديقة افكار ٣ - دائرة المعارف ٤٣ - صور من الحياة ٦٥ - الطب ١٠٤

اوسع المجلات انتشاراً في العالم
٣٩ طبعة، ١٥ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهرياً

احذروا البضائع المزيفة

(ص ٦٠)

سجينة رئة الحديد

(ص ١٢٣)

قلة الأدب تطور اجتماعي!

(ص ٨٢)

فندق الشام

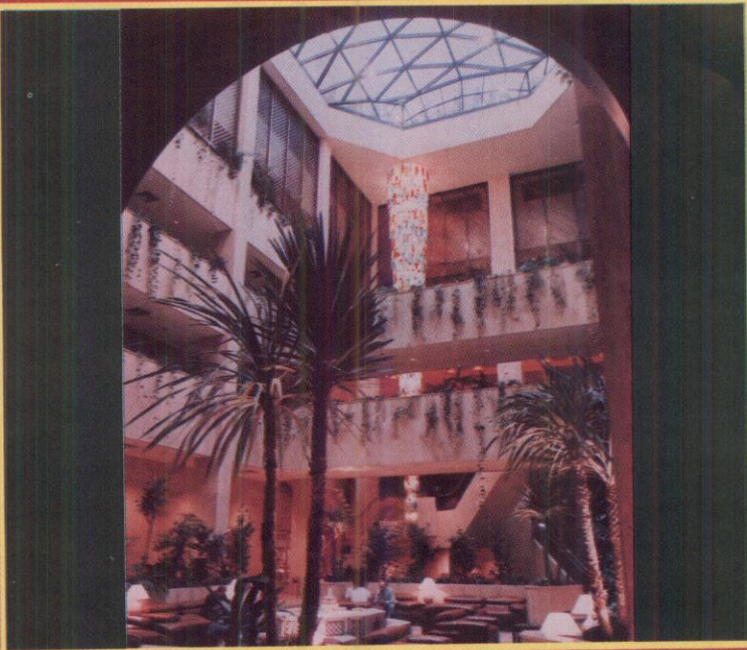

أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بل إنه مدينة قائمة بذاتها . . . صمم على أحدث طراز فني ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكاً في عملك . . . فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالاضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية . . . ولاتنس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لازلنا نفاخر بها ونحافظ عليها .

للحجز : فندق الشام - ص. ب ٧٥٧٠
تلكس : ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف : ٢٣٢٣٠٠ (١٠٠ خط)
تلكس الزبائن : ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام

عراقة في التقاليد

المختار

من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول: **ادمون صعب.**
امانة التحرير: **راغدة حداد.** الاخراج: **جورج غالي.** الخطوط: **جبران مطر.**

الامتياز: **شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس.** الناشر: **شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت.**
رئيس مجلس الادارة - المدير العام: **الدكتور لوسيان دحداح.**
المدير العام المعاون: **داني دحداح - باز.**
التحرير والادارة: **مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي - لبنان.**
الهاتف ٤٩١٦٣٠ - ٤٩٢٦٧٠ التلكس MUKTAR 44615 LE
الاعلانات: **الشركة اللبنانية لادارة حصر الاعلانات انترناسيونال (راجع الصفحة ١٤٤)**
الاشتراكات: **فريال علاف، بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان.**
الهاتف ٣٤٥٧٣١ - ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE
الصف والتنفيذ: **المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.**
الطباعة: **المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.**
التوزيع: **الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.**

AL MUKHTAR min Reader's Digest.

© 1987 BY AN NAHAR P.I.S.A LICENSEE OF THE READER'S DIGEST ASSN. INC.

Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, P.O. Box 55228, El-Metn, Lebanon.
Tel: 492670 — 491630, Telex: MUKTAR 44615 LE.

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

October '87 N° 107 (New Series) Vol. 9

٣٣

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: **كين غيلمور.** مدير التحرير: **جيريمي هـ. دول.** المدير العام: **جورج ف. غرون.**

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية.

حقوق النشر محفوظة لـ"المختار من ريدرز دايجست" بموجب اتفاق خاص مع شركة "ريدرز دايجست" في نيويورك، الولايات المتحدة. يحظر النقل من "المختار" او الترجمة او الاقتباس منها في اي شكل كان جزئياً او كلياً، في العربية او في اي لغة اخرى. وهذه الحقوق محفوظة بالنسبة الى كل الدول العربية والافريقية. وقد اتخذت كل اجراءات التسجيل والحماية في العالم العربي والخارج بموجب الاتفاقات الدولية المعقودة لحماية الحقوق الفنية والادبية.

ثمن العدد

لبنان ٥٠ل - سورية ١٥ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف - السعودية ١٠ر - مصر ١ج - السودان ١ج - ليبيا ٥٠٠د - ج.ع. اليمنية ٥ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - قبرص ٧٥ب - تونس ٦٠٠م - المغرب ٧د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢،٥د

أنت في الداخل

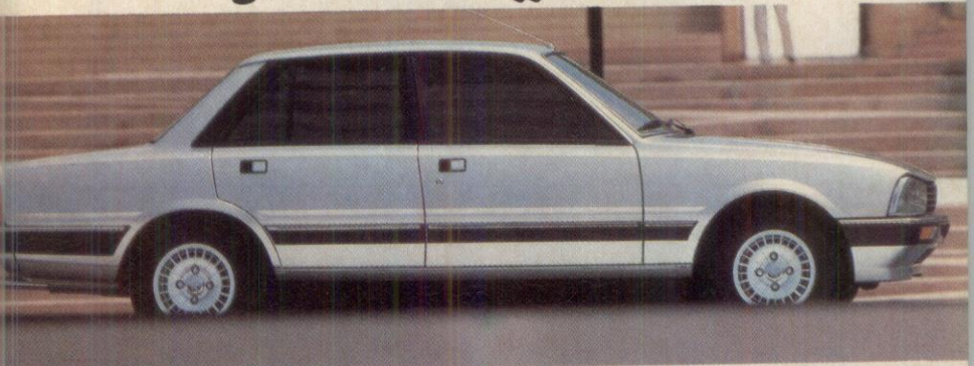

والأسد في الخارج
ستبقى دائماً في الطليعة

بيجو ٥٠٥ جي تي آي: إجلس داخل هذه السيّارة الفاخرة الوثيرة وأعلم أنك داخل سيّارة في طليعة المنافسين.. سيّارة تميّزك عن الجميع.

وعندما تبدأ بالقيادة تدركُ أننا لم نبخل بأي تحسينات .. أنظر إلى لوحة أجهزة القياس، والمس أجهزة التحكّم وأشعر بقوّة المحرّك البخّاخ وهو يدفعك إلى الأمام.

وجرّب الأداء الممتاز وأستمتع بالقيادة، وتحسّس الخطوط الأنيقة تشقّ الهواء.. عدّل مكيّف الهواء وأدر الموسيقى وأطرب لهذه التجربة الفريدة الفائقة في قيادة السيّارات.

سيّارة بيجو ٥٠٥ جي تي آي .. سيّارةٌ تجلبُ قيادتُها متعةً عظيمةً .. سيّارة تفخر بإقتنائها .. انها ليست سوى سيّارة بيجو.

PEUGEOT
بيجو
وثبة الجودة

حديقة افكار

□ أجمل ما يكتشفه الاصدقاء المخلصون هو أنهم يستطيعون العيش منفصلين من دون أن يفترقوا.

اليزابيث فولي

□ لا يبالغ طائر في تحليقه اذا اكتفى بجناحيه.

وليم بلايك، شاعر وفنان بريطاني

□ اذا كان حق التكلم هو بداية الحرية فان ضرورة الاصغاء تعطي ذلك الحق أهميته.

والتر ليبمان، صحافي أمريكي

□ لا شيء يجعل المرء أوفر انتاجاً أكثر من شعوره باقتراب اللحظة الأخيرة.

ل.ب.

□ مرأى الورود منحنية بذبول تحت المطر يذكرني بالوداعة وطول أناتها.

وليم كارلوس وليمس، شاعر وكاتب وطبيب

□ غالباً ما يحملنا الخيال الى عوالم وهمية. ولكن من دون الخيال لا يسعنا الذهاب الى أي مكان.

كارل ساغان، مربٍّ وعالم فلكي

□ يتعلم المرء كثيراً من صيد السمك. فعندما يحسّ أن السمك ينقر الطعم تنتفي من فكره أعظم المشاكل.

أ. باتيستا

□ آداب السلوك هي تأدية الاعمال بفرح.

رالف والدو امرسون، كاتب وفيلسوف وشاعر أمريكي

تقدّم متواصل نحو آفاق جديدة

بمواعيد دقيقة

Flight		Time	Information
LOS ANGELES	RJ 265	15.45	ON TIME
SINGAPORE	RJ 182	16.10	
LONDON	RJ 111	17.30	
DUBAI	RJ 609	18.45	

ROYAL JORDANIAN
الملكية الأردنية

ان الدقـة في المواعيد هي إحدى الميّزات التي جعلت الملكيّة الأردنيّة تنال ثقة مسافريها.

فمن الشرق الأوسط إلى أوروبا والولايات المتحدة والشرق الأقصى، تحملك طائراتنا في جوّ من الراحة والرفاهيّة، وتوفر لك مستوى عال من الخدمة والرعاية.

سافر على طائراتنا الحديثة من طراز بوينغ ٧٤٧، وترايستار وآرباص، تجد الراحة التي تنشدها في مقاعد النوم الوثيرة والمطبخ العالمي الفاخر والضيافة التقليدية الاصيلة.

سافر مع الملكيّة الأردنيّة إلى كافة أرجاء العالم، وثق من أنك ستجد الترحيب الحار، دائماً في موعده.

تجدّد لا يتوقّف

عمان • أبوظبي • امستردام • العقبة • أثينا • بغداد • البحرين • بانكوك • بيروت • بلغراد • بروكسل • شيكاغو • كوبنهاغن • دمشق • الظهران • الدوحة • دبي • فرانكفورت • جنيف • اسطنبول • جدة • كراتشي • لوس انجلوس • مدريد • موسكو • مسقط • نيويورك • باريس • الرياض • روما • صنعاء • سنغافورة

بوخارست • القاهرة • الدار البيضاء • كوالالمبور • الكويت • لارنكا • لندن • طرابلس • تونس • فيينا

أجمل الهدايا

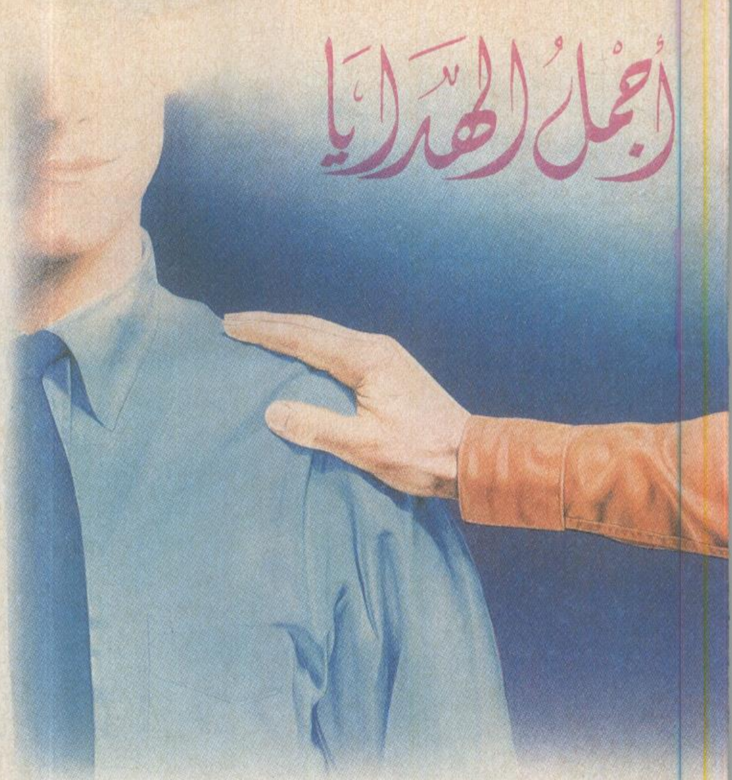

الحضور الشخصي في المناسبات أفضل هدية وأسمى تعابير الحب

عندما بلغت الأربعين أعدّ لي زوجي حفلة مفاجئة. ولن أنسى أبداً الاحساس الذي انتابني عندما دخلت المطعم ورأيت أصدقاء محبّين وسط أزهار وموسيقى وعرض واسع لصور شكلت جزءا من حياتي. ورحت انتقل من طاولة إلى أخرى مرحّبة بكل ضيف. فجأة لمحت في آخر الغرفة رجلا لطيفاً أبيض الشعر يبتسم وقد أمسكت ذراعه امرأة ذات عينين زرقاوين براقتين. فصرخت: "أمي! أبي!"

لقد جاءا بالطائرة ووصلا قبل ساعات. وأجهشت في البكاء لدى رؤيتهما، فهما اللذان علّماني أكثر من أي شخص آخر أن الحضور في تكريم شخص هو أفضل هدية يمكن تقديمها اليه.

وبعد عام دعيت وزوجي الى حفلة زفاف غير عادية. فالعروسان صديقانا وقد خطبا قبل سنوات.

وكنت في الصباح الذي سبق الزفاف قرّرت الاتصال بصديقتي والاعتذار عن

Illustration: Ed Little

عدم حضور العرس. ولما سمعت صوتها بدأت مترددة: "كاتي، أنا كارين..." فقاطعتني: "أنتما آتيان، أليس كذلك؟" وكان صوتها ملحاحاً فترددت في الاجابة. وسرعان ما تبادرت إلى ذهني صورة والديّ في حفلة عيد ميلادي الأربعين. فأجبتها: "بالطبع نحن آتيان."

وهكذا ذهبنا إلى حفلة الزفاف. وهنأت نفسي على ذلك. فلم نكد نجلس حتى جاءت كاتي من خلفنا مشرقة والدموع ملء عينيها. عبرت لنا عن مدى ما يعنيه لها حضورنا. أما أقرباؤها فلم يحضروا الحفلة، كذلك والداها وأختها العزيزة. وقد قرأت الألم في عينيها. وفي ما بعد همست في أذن زوجي: "كم يغيظني مجرّد التفكير في أني أوردت احتمال عدم الذهاب."

واليوم أدرك أن حضورنا يمكن أن يكون واجباً بكل ما في الكلمة من معنى. فهو حق الآخرين علينا، مهما كلّف. ان حضورنا شخصياً في المناسبات الحزينة والسعيدة التي يمرّ بها أصدقاؤنا الأعزاء يشكّل فرقاً، ليس بالنسبة إلى المضيف فحسب بل إلى الضيوف أنفسهم أيضاً. فهدايا النفس تجدّد النفس.

وعندما يكون حضورنا كرمى للأشخاص الآخرين، فان أموراً مهمة تحدث لهم ولنا، فنتجدّد في الحب والصداقة وفي العاطفة والروح. الحضور في الوقت المناسب هو من صميم المدنية.

ما هي أهم المناسبات التي تستلزم حضورنا؟ بطبيعة الحال، تتصدّر اللائحة الأعراس والمآتم. وتليها مباشرة الولادات والأعياد والاجازات العائلية والاحتفالات بالنجاح. إلّا أن هناك طرقاً أخرى أقل وضوحاً للتعبير عن الاهتمام، كزيارة عمة أو خالة مريضة أو مرافقة صديق هو في ضيق.

كيف يمكننا أن نهدي من أنفسنا على أفضل وجه ممكن؟ هنا بعض الاقتراحات:

□ **كونوا ايجابيين في ما يتعلق بالدعوات التي تتلقونها.** هل تفكرون فوراً في أعذار لرفض الدعوة؟ إذا كان الأمر كذلك عودوا أنفسكم على القول "نعم" بدلا من التفكير في تضارب المواعيد. فالمبدأ الذي يتبعه أخو زوجي هو قبول أي دعوة: "لا ترفضي دعوة أبداً."

دبروا أموركم وابحثوا عن طرق للموافقة على الدعوات بدلا من السعي الى طرق لرفضها. وتذكّروا أن حضوركم قد يكون أفضل هدية تقدمونها بدلا من أي شيء مادي ترسلونه. ذات مرة تلقيت دعوة كتب فيها بوضوح: "الرجاء عدم إرسال هدية. فحضوركم يكفي."

□ **أخرجوا عن المألوف.** قد يشقّ علينا ذلك في بعض المرات. ولكن حين ننجح في الحضور على رغم صعوبات السفر وكلفته وبرامجه، يدهشنا الأثر الذي يحدثه وجودنا.

صديق لأحد زملائي عمد الى تعديل برنامجه التعليمي في الجامعة من أجل حضور مأتم شقيقة زميلي الذي قال لي: "هل تتصورين ذلك؟ لقد جاء من مكان بعيد بالطائرة على حسابه الخاص. لن أنسى ذلك أبداً."

▫ **عوِّضوا التقصير.** قد يغيب المرء عن حدث إحتفالي مهم فيشعر بالحرج ثم يتخلّى تدريجاً عن علاقة الصداقة التي تربطه بالشخص المعني.

قبل مدة ترملت جارتي بعدما عانى زوجها المرض طويلا. وكانت خلال أشهر المرض تخدمه في البيت. وكنت أرسل إليها بين وقت وآخر وردة أو رسالة أو بطاقة. ولكثرة مشاغلي لم أزرها أبداً أو أحادثها. وفي صبيحة أحد الأيام دست تحت بابي بطاقة كتبت فيها: "كارل غادرنا إلى رحمة ربه مساء أمس."

والتقينا مصادفة بعد أيام في مدخل المبنى الذي نقطنه.

واكتفيت بهمس اسمها، اذ فاجأتني رؤيتها وجهاً لوجه. ولما التقت عيوننا قطعنا المسافة بيننا كما الأطفال ثم توجهنا إلى شقتها. وفي تلك الساعة شاركتها في ألمها وخسارتها.

وفي ربيع ١٩٨٦، بعد يوم طويل أمضيته في كنس إبر الصنوبر واقتلاع الأعشاب من حديقة منزلنا الصيفي في الجبل، عدت مرهقة إلى المنزل بينما تأخر زوجي ليرتّب أدوات الزراعة. وما كدت أدخل الحمام حتى سمعت طرقاً على النافذة. فتطاولت على رؤوس أصابعي، فاذا بي أرى زوجي يتطلع إليّ وقد ارتمت على وجهه المتسخ ابتسامة عريضة. فسألته عمّا يجري فأجاب: "ليس أمراً مهماً." وأضاف بلطف وهو يشير إلى الجبال: "كل ما في الأمر أني اشتقت إليك فالشمس تغيب خلف الأفق وأنا أريدك بجانبي حين ينتهي النهار."

كارين أوكونور

la Redoute

French Fashion winter 88 exclusively yours

200 pages French Fashion Catalogue in English Language "free of Charge"
Please fill in your order coupon and airmail it to:
GAMMA OVERSEAS SERVICES LTD
P.O.BOX 787 — Larnaca CYPRUS

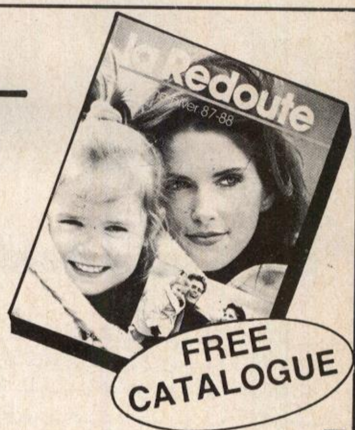

ORDER COUPON
NAME ______
P.O.BOX ______
CITY/STATE ______
I ENCLOSE 15 US $ CASH FOR AIRMAIL CHARGES

صباح الخير!

نسكافه

نسكافه ، خلاصة القهوة اللذيذة بالحليب ،
تجعل نهارك مليئاً بالحيوية والنشاط .
إشرب نسكافه في الصباح وفي أي وقت ، وتمتع بطعمها اللذيذ ونكهتها الغنية .
نسكافه ، قهوة ١٠٠ بالمئة صافية سريعة التحضير .

نسكافه قهوة الشباب العصري الناجح.

PI 2960

المختار
من ريدرز دايجست
اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٧ — السنة التاسعة (سلسلة جديدة)

مقالات مقتبسة توفر لكم متعة دائمة

خزف عصر الفضاء هو أساس صناعة السيارات والأدمغة الالكترونية والاجهزة الطبية في المستقبل وأثره باد في مطبخك ومرأبك وحتى في فمك

العصر الحجري الحديث

بعد مئة ألف سنة لن يجد علماء الآثار أي أثر لناطحات السحاب الحالية. ستحول الرطوبة الفولاذ صدأ والاسمنت غباراً، لكن تغيراً طفيفاً سيحل بالمصنوعات الخزفية(١) كمغاسل البورسلين والآنية الزجاجية وأدوات المائدة والزهريات المصنوعة من الطين "المطبوخ."

مثلما يتتبع علماء هذه الأيام تطور الحضارات الماضية من طريق تغيرات خزفها، سيكتشف علماء الآثار في المستقبل أننا بدأنا في النصف الثاني من القرن العشرين ابدال المعادن بخزف جديد مختلف. قد يعثرون على رقاقات الخزف الصغيرة التي تدير بعض آلاتنا الحاسبة ولايزر البلور الاصطناعي الذي يراقب متاجرنا والمواد الصفيرية المركبة التي تضيء مصابيح بخار الصوديوم في شوارعنا، وستبقى أيضاً أدوات المائدة الخزفية التي يمكن اخراجها من الثلاجة وادخالها الفرن حالا ومضارب الغولف والتنس والسكاكين والمقصات الخزفية التي لا تحتاج الى شحذ أبداً.

لا تشير كلمة "خزف" الى الطين أو الرمل فقط، بل أيضاً إلى كل مادة جامدة

(١) Ceramics

غير المعادن والبلاستيك. والخزف المتطور مصنوع حتى من أوكسيد المعادن التي تتميز بمناعة ضد التأكل.

و"يطبخ" العلماء مواد غير عادية. وهنا إحدى الوصفات: اخلطوا الرمل مع أوكسيد الايتريوم(٢) ومقدار ضئيل من النشاء، ثم اخبزوا الخليط مدة سبع ساعات داخل فرن مليء بالنيتروجين وحرارته ١٤٠٠ درجة مئوية. النتيجة هي نتريد السيلكون(٣) وهو خزف فضي خفيف كالألمنيوم إلا أنه يتحمل درجات الحرارة التي تذيب الفولاذ. فجزيئاته شديدة التراص ولا يخدشها سوى الالماس.

تم اكتشاف نتريد السيلكون في الثمانينات من القرن التاسع عشر، لكن العلماء لم يعتبروه وأصناف الخزف الاخرى بدائل عملية من المعادن سوى في المدة الأخيرة. والتحدي الآن هو إنتاج هذه المواد بأسعار رخيصة مثل الفولاذ.

سيارات جديدة – ان قرار حظر تصدير النفط العربي الى الغرب، الذي اصدر في العام ١٩٧٣، كشف لعدة بلدان حاجة اقتصادية وسياسية الى حفظ الطاقة. وتفردت اليابان بوسيلة مذهلة للحفاظ على الطاقة هي المحركات الخزفية للسيارات. فمع ارتفاع حرارة دوران المحرك تزداد فاعليته في تحويل الوقود قوة. ويعمل محرك نتريد السيلكون في حرارة أكثر ارتفاعاً من محرك الفولاذ، بينما يقل عنه وزناً بنسبة ٤٠ في المئة ويوفر ٣٠ في المئة أكثر منه وقوداً. وقد اختبرت النماذج الأولية.

أما اليوم فمعظم صانعي السيارات في العالم يطورون قطعاً خزفية للمحركات. في اليابان باعت شركة "نيسان" ٢١ ألف سيارة فخمة مجهزة بشفرات من نتريد السيلكون للشاحن التوربيني(٤). وتصنع شركة "تويوتا" محركين خزفيين أحدهما يعمل من دون نظام تبريد. كذلك أعلنت شركة "ايسوزو" أنها تنوي تقديم نماذج تجارية من المحركات الخزفية في التسعينات. وبين شركات السيارات الأمريكية تصنع شركة "فورد" توربينات (عنفات) من نتريد السيلكون وأنواع أخرى من الخزف.

يعتقد عدد من الخبراء الأمريكيين أن المحركات الخزفية ستتميز في المستقبل بابتكار حديث وفاعل هو توربينة غاز متطورة. ولا تنتج قوتها من التفجرات في الاسطوانات بل من توربينة يديرها احتراق الغاز في حرارة ١٣٧٠ درجة مئوية. ومع بعض التعديلات يمكنها حرق الكحول المثيلي يوماً ثم البنزين بعد أسبوع. ومعلوم أن شركة "جنرال موتورز" أدارت توربينة بطاقة الفحم المسحوق واستناداً الى بعض التقديرات قد يخدم المحرك الخزفي حتى ٨٠٠ ألف كيلومتر.

وربما أدى الخزف دوراً مهماً في مستقبل السيارات الكهربائية. في العام ١٩٨٦ صمم العلماء في مختبر "أرغون" الوطني في ايلينوي بطارية وقود حديثة مركزة على ألواح خزفية رقيقة. فلهذه البطارية والمحرك الكهربائي المتصل بها ضعفا فاعلية محركات سيارات اليوم.

(٢) Yttrium oxide . وهو مركب كيميائي ذو استعمالات تجارية كثيرة.

(٣) Silicon nitride

(٤) Turbocharger blades

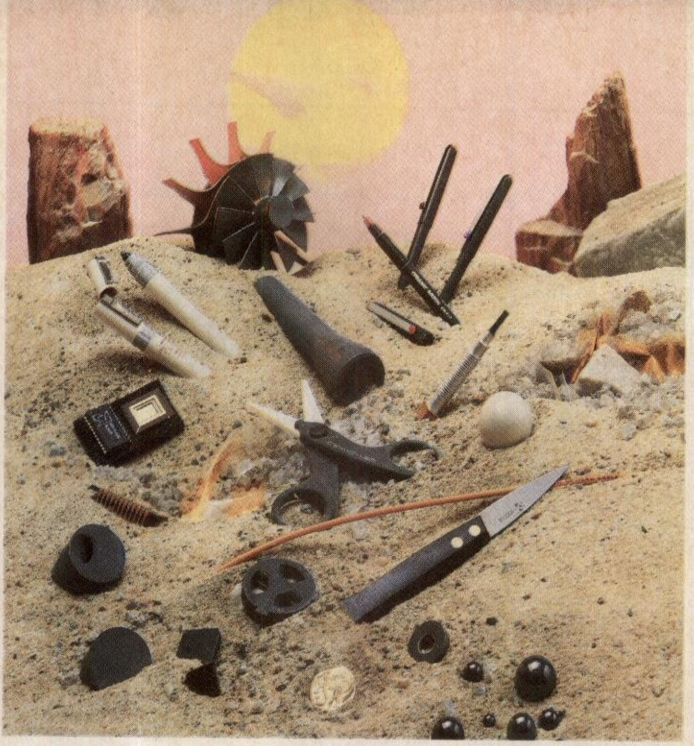

أعضاء من الطين - في العام ١٩٧٥ اكتشف العلماء إمكان تحويل أوكسيد الزركونيوم الى "زركونيا" خزفية(٥) ذات مميزات تكنولوجية عالية. ووجدوا أن الجزيئات داخل بلورات الزركونيا تتجمع من جديد بعد تسخينها الى ٦٥٠ درجة مئوية، وتتقلص البلورات بنسبة ٤ في المئة. أما في حال مزجها بمواد مضافة معينة قبل تبريدها، فيبقى بعضها في الشكل الذي يتخذه عند التسخين على رغم إعادة البلورات الى حرارة الغرفة العادية. بعد ذلك، كلما ظهر شق وامتد داخل هذه المادة واتصل باي من الجزيئات المرتفعة الحرارة، يعود شكل هذه المادة سريعاً الى ما كان في الحرارة المنخفضة، متمدداً بنسبة ٤ في المئة. أي إنها تؤدي دور ممتص الصدمات وتغلق الشق.

وهذا يعني أن تعرّض أوكسيد الزركونيوم للضغط يجعله أقوى.

والعلوم الطبية هي أيضاً تفيد من تطورات التكنولوجيا الخزفية. ويستعمل أطباء الأسنان حجر الصفير الاصطناعي، وهو صلب مثل الالماس، كمرتكز ثابت للاسنان الخزفية الزائفة.

وهناك أيضاً أجزاء الزرع "الخزفية الحيوية" (٦) التي تشمل صمامات القلب ومفاصل الأصابع والأطراف وبدائل "زجاجية حيوية" للعظام الرقيقة كالتي داخل الأذن الوسطى.

---

(٥) Zirconium oxide into ceramic zirconia
(٦) «Bioceramic» implants

Photo: Steve Fay Rotor, courtesy of Allison Gas Turbine Division, General Motors

الموصل الخارق

منذ زمن بعيد يحلم العلماء بصنع "موصل خارق"(★) يوصل الكهرباء من دون أي مقدار من الخسارة. فالى توفير مليارات الدولارات في تكاليف الوصل، سيتيح هذا الاختراع إقامة مراكز للطاقة النووية بعيداً من المجمعات المدينية. وهذه الموصلات الخارقة ستتيح صنع محركات كهربائية بعشر حجمها الطبيعي وقطارات سريعة مرفوعة بواسطة المغناطيس وأدمغة الكترونية أصغر وأسرع منها اليوم وآلات تصوير مغناطيسية رخيصة لاستعمالها في عيادات الاطباء. فالواقع أن "الموصل الخارق" يحول التكنولوجيا ضمن نظام متطور لم نرَ مثيله منذ اختراع الترانزستور.

حتى الآن لم تتحقق الايصالية الخارقة الا في حرارة تقارب الصفر المطلق، أي ٢٧٣ درجة مئوية تحت الصفر. لكن الاكتشافات الحديثة زادت احتمال نجاح الموصلات الخارقة التي تعمل في حرارة الغرفة العادية. في ٢٧ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦ في رشليكون بسويسرا، اكتشف عالمان من شركة «IBM» هما اليكس ميلر وجورج بدنورز

(★) «Superconductor»

الكترونيات بصرية - يتكهن جون واشتمان مدير مركز الأبحاث الخزفية في جامعة رتجزر في نيو برنزويك بولاية نيوجرزي بأن "الخزف سيحل مكان النحاس، في ربط شبكات الاتصال في المستقبل." والجهة المسيطرة على تكنولوجيا الخزف في الالياف البصرية والأدمغة الالكترونية البصرية ستتحكم بسوق تتداول مليارات الدولارات.

تعتمد الالكترونيات البصرية(٧) ومضات من النور عوض النبضات الكهربائية البطيئة. فزوج واحد من الالياف البصرية التي لا تتجاوز سماكتها شعرة إنسان، ينقل ما يزيد على ٤٠ ألف مكالمة هاتفية في آن. وبطريقة مماثلة تجري الأدمغة الالكترونية البصرية عمليات حسابية أسرع بألوف المرات من أي دماغ إلكتروني في أيامنا. فهي "تفكر" مثلنا، ليس بجمع المعطيات بل "برؤية" نماذج شاملة من المعلومات.

وقد منحت وزارة الدفاع الامريكية أفضلية للأبحاث الالكترونية البصرية. وقبل عهد بعيد أدرك الخبراء العسكريون أن انفجاراً نووياً يحدث نبضات كهربائية - مغناطيسية قوية في الأسلاك على بعد مئات الكيلومترات، لكن الالياف البصرية ستكون أكثر مناعة ضد هذه النبضات وحتى ضد استراق الأسلاك للتنصت الى المكالمات.

من ناحية أخرى يقلق المخططون السياسيون في الغرب في شأن مخزون المعادن الاستراتيجية المستوردة. فالكروم من جنوب أفريقيا يستعمل في الاشابات(٨) الداخلة في صنع الطائرات النفاثة. وفي حال نفاد هذه المعادن يكون الحل الأوحد ابدالها بالخزف.

(٧) Opto — electronics

(٨) Allous. والاشابة خليط من معدنين أو أكثر.

ايصالية خارقة في الخزف المصنوع من أوكسيد اللنثانوم والنحاس ممزوجاً مع الباريوم. منذ ذلك الحين، ومع تغيير بسيط في الطريقة، تمكن العلماء من رفع درجة الحرارة الحرجة أكثر من ٣٨ درجة مئوية فوق الصفر المطلق. ويقول س.و. شو من جامعة هيوستن: "أظن أن حرارة الغرفة ممكنة."

قبل هذه التقدمات المفاجئة وجب تبريد الموصلات الخارقة بالهيليوم السائل الذي يبلغ ثمن الليتر منه ثمانية دولارات. لكن المواد الجديدة تبرّد بالنيتروجين السائل وهو أرخص من الحليب.

ويحذر العلماء من توقع النجاح السريع لهذه المواد الجديدة. لكنها من الخزف، وهذا يضمن قيام تكنولوجية صناعية بالغة التطور.

ويقول مارفن كون عالم الفيزياء بجامعة كاليفورنيا في بركلي: "اذا قصدتَ متجراً للخردة يوماً طالباً سلكاً كهربائياً، وسئلت هناك: أي نوع تريد، العادي أم الموصل الخارق؟ فتأكد من أن ذلك سيبدل العالم."

جايمس كليك، في "نيويورك تايمس"

التحدي الياباني - في العام ١٩٨١ أطلقت وزارة التجارة والصناعة الدوليتين في اليابان برنامجاً لعشر سنين من أجل تطوير "تكنولوجيات للجيل المقبل." ونال الخزف الأولوية. وتعتزم الوزارة تسيير أول سيارة ذات توربينة خزفية في العام ١٩٨٨ وتصنيع رقاقات إلكترونية بصرية خلال عشر سنين تستعمل في الأدمغة الالكترونية البصرية المقترحة. هذه الخطط هي في جدول أعمال اليابان.

لقد طوّر أسلافنا أواني الطين خلال عصر البرونز وعصر الحديد وعصر الفولاذ. واليوم يشهد عصر المعادن تبدلا. ويقول المهندس الخزفي بيتر سميث: "نقف اليوم في عصر الخزف المتطور حيث وقف علماء المعادن قبل قرن. لقد بدأنا نتعلم صنع المركّبات الخزفية بدمج العناصر للحصول على خصائص معينة. وقريباً سيكون في وسعنا تصنيع الخزف لوظائف دقيقة، تماماً كما يخلط علماء المعادن الكروم مع الفولاذ لصنع اشابات تستعمل في حقول النفط."

هذه الفرص أثارت سباقاً عالمي الانتشار، والمنتصر سيحكم العصر الحجري الحديث.

لويل بونتي

سخرية رياضية

غلبني خصمي في مباراة كرة المضرب. وبدلا من أن أكتفي بتهنئته حذرته: "انني أحقد طويلا قبل أن أعادل."

فما كان منه إلا أن رد: "لا شك في أن طريقة لعبك تحتّم عليك ذلك."

ج.ب.

لماذا يرحل الزوج عن بيته تاركاً زوجته وأولاده؟ هنا سبعة أسباب إذا عولجت حفظت الحياة الزوجية

أدركت لورا أن زواجها في مأزق. فزوجها دون بات فظاً معها ومع الاولاد، ممضياً معظم أوقاته في المقاهي بعد ساعات العمل، وممارساً رياضة الغولف أو التزلج في عطل نهاية الأسبوع.

كانت لورا تأمل تغيُّر الأمور في الذكرى السابعة لزواجهما. فرتبت للأولاد قضاء ليلتهم عند أحد الأصدقاء وباشرت التحضير للاحتفال.

ولكن خلافاً لتمنياتها عاد دون إلى البيت في تلك الليلة وقال للورا: "أفضل أن أحتفل بحريتي. أريد الانفصال."

جاءت والدة لورا في اليوم التالي، وبعدما روت لها لورا قصتها المحزنة قالت الام: "هوس السنة السابعة مثل جهل السنة العشرين." وشهقت باكية واسرت لابنتها ان بينها وبين زوجها مشكلة مماثلة!

لقد أُخذت لورا ووالدتها على حين غرة لتجاهلهما فترات "الراية الحمراء" في الحياة الزوجية، وهي سبع تجارب محفوفة بخطر رحيل الزوج.

ليس الرجل دائماً من ينشىء علاقات جانبية او يرحل. فنساء كثيرات يفعلن ذلك، ولكن ليس تكراراً كالرجال. في معظم الأحيان يتوق الرجل، كما المرأة، إلى نجاح زواجه. وفي حال عجزه عن حل مشاكله قد لا يجد سبيلا سوى الرحيل.

إن الأوقات الفاصلة بين فترات الاجهاد هي الأنسب لتوطيد الروابط الزوجية. فتحسين المشاركة وتعميق الحب يساعدان الأزواج على الإفادة من فترات الراية الحمراء لتقوية علاقتهم.

الراية الحمراء الاولى هي "قلق المسؤولية" وتعرف أحياناً بعبارة "رُهاب الطفل الأول." ما يحدث هو أن الزوجين يتحققان من جدية الزواج فيتخليان عن اللهو والمرح اللذين زينا غـرامهما وغـزلهما، من أجـل ضبط الموازنـة والتخطيط. يؤكد الطبيب النفساني وليم بتشر من مساتشوستس أهمية الموازنة والتخطيط، ولكن من دون الاستخفاف بدور اللهو في الزواج. فاللهو والضحك يجعلان الزواج إثارة وملجأ من العمل اليومي، كما يتيحان للزوجين التعبير عن أمنياتهما وانتقاداتهما من دون أن يجرح أحدهما شعور الآخر.

غالباً ما تبدأ مرحلة "قلق المسؤولية" إثر تغيير يطرأ على الوضع الراهن، مثل خسارة وظيفة أو ولادة طفل. الرد الأفضل هو تعزيز الاحترام لدى الزوجين. ويقترح العالمان النفسانيان دانييل أوليري وهيلاري توركفيتز، بعد دراسة أجريت في جامعة نيويورك في ستـوني بروك، "تكريس بعض الوقت للتسليات التي تمتعتما بها قبل حمل المسؤوليات العائلية. حاولا التركيز على النواحي الأكثر بهجة في الحياة اليومية. كما أن تبادل المجاملات التي تعزز المعنويات يشكل نقطة للإنطلاق."

الراية الحمراء الثانيـة هي "الضجر والارهاق." لدى بدئه هذه المرحلة كان زوج لورا ملزماً بطفل جديد ومنزل جديد ووظيفة طالما كرهها من دون التمكن من الاستغناء عنها، وزوجة منشغلة بعملها وأولادها عن الإصغاء الى مشاكله واظهار الحنان له أو مشاركته في لعب كرة المضرب أو حتى محادثته. فما يزعجها هو عدم مشاركته اياها في الأعمال المنزلية.

مثل معظم الشباب هذه الأيام، كان دون من مؤيدي مشاركة الزوج في الأعمال المنزلية اليومية. إلا أنه لم يطبق ذلك، مثل كثير من الأزواج، وحوَّل الزوجان هذه المسألة معركة ينتصر فيها أحدهما، إلا أن النتيجة أسفرت عن خسارة الاثنين.

إحدى الطرق لدفع الرجل الى مد يد العون هي تفهم استعداده وتشجيعه على القيام بدوره مع الاشارة الى الواجبات المهمة وتوضيح أسباب ضرورتها.

الراية الحمراء الثالثة هي "بداية الانفصال." بدأ دون ولورا، تدريجاً ومن غير انتباه، يفقدان الثقة بينهما. حين يزداد التباعد بين الزوجين، غالباً ما يبحث الرجل عن صديق حميم جديد. أحياناً يختار أصدقاء من جنسه كما فعل دون، ولكن في معظم الأوقات يكون الصديق إمرأة.

قد تتحول الصديقة في آخر الأمر "المرأة الأخرى." أثناء تحضير كتاب "المرأة الأخرى الجديدة" قابلت لوريل ريتشاردسون، عالمة الاجتماع في جامعة أوهايو بكولومبوس، سبعين إمرأة. ووجدت أن معظم العلاقات تبدأ بصداقات بريئة يستمر بعضها أكثر من ستة أشهر قبل التحول علاقة حميمة.

وفي بحث أجراه العالم النفساني نورمان برادبرن وشمل ٢٧٨٧ شخصاً، أن أهم مقومات الزواج اثنان: العشرة

والحب. وبما أن الجنس هو لغة العلاقات الحميمة فالزوجة الذكية تحسن ضبطه ضمن إطار زواجها.

هل تتجنب وزوجها الحديث عن الجنس؟ ذاك يجعل الجنس مملا وتكرارياً.

أيلوذان بالصمت عن البرودة والعجز الجنسيين؟ ذاك يفتح باباً للمتاعب.

ليس من عذر يسمح بالتغاضي عن المشاكل الجنسية، فالاختصاصيون - وحتى كتب الجنس - يصفون بعض التمرينات البسيطة لحلها.

الراية الحمراء الرابعة والاكثر شيوعاً هي "هوس السنة السابعة،" وقد عرفت بهذا الاسم لأن السبع السنوات هي متوسط فترة الزواج عند المطلقين. وفي تقديرات الاختصاصي بشؤون العائلة برنت ميلر أن الاكتفاء الزوجي يبلغ أدنى درجاته بين السنة السادسة والسنة العاشرة، أي لدى دخول الطفل الأول المدرسة. فمتطلبات العمل وتربية الأولاد تبرد حرارة الحب والانسجام.

لا يقود هذا الهوس دوماً إلى الانفصال. قد يتسبب في انتفاضة الزوج على المسؤوليات التي تفصله عن حياة العزوبة السابقة. والزوجة المتفهمة تسمح لزوجها بالاستغراق في تخيلاته وربما شاركته فيها. فاذا كان يحلم بزورق لن يتمكن من شرائه أبداً، ففي وسعها أن تحول أنظاره إلى ما هو ضمن إمكاناتهما. وإن بدأ الابتعاد عنها، كما كان دون يبتعد عن لورا، فسهرة في الخارج تثبت له استمرارية أوقات المرح الخالية من الهموم.

وعلى رغم موافقة دون على الذهاب مع لورا إلى مستشار لشؤون الزواج مرة كل أسبوع، فانهما سيواجهان المزيد من الرايات الحمر اذا استمر زواجهما على حاله.

الراية الحمراء الخامسة هي "صراع القوة" الذي يتكرر في معظم الزيجات. يبدأ عادة متنكراً في شجار حول المال أو الجنس أو الاولاد أو الانسباء. فالازواج الذين يتجادلون باستمرار حول القضايا ذاتها سنة بعد أخرى هم على الأرجح في "صراع قوة" يظهر حينما يضطرب ميزان القوة. قد يُطرد الزوج من عمله أو يرقى في وظيفته، وقد تتخلى الزوجة عن عملها للولادة أو تعيَّن في مجلس ادارة المدرسة، ففي كل حالة ينشأ سباق لاعادة التوازن.

تدل الأبحاث على أن الامتعاض يقلل السعادة الزوجية أكثر مما يزيدها الرضا. لذلك يجب التغلب عاجلا على الخلافات من دون انتصار أي فريق، بل بإرضاء الفريقين: وهنا بعض القواعد:

- كونا دقيقين وتجنبا الملاحظات الشاملة مثل "إنك مسرفة" أو "إنك فظ،" وألِحّا على البحث في التغيرات المحددة التي تحسن العلاقة.
- أحسنا الاصغاء. استمعا وتجاوبا والتذمرات من دون اعتراضها بالمشاكل الخاصة.
- إبقيا في الحاضر ولا تجددا الماضي.
- إلتزما موضوعاً واحداً، وإن زادت الشكاوى دوِّناها وناقشاها لاحقاً.
- حاذرا التحليل النفساني. فلتقتصر

انتقاداتكما على السلوك المنظور ولا تحاولا تحليله.

• تشاجرا على انفراد وليس أمام الآخرين. عيِّنا موعد النقاش حين تكونان مرتاحين لا منفعلين حتى الجنون، أي بعد العشاء مع القهوة مثلا.

• لا تتفوها بكلمة "طلاق." فالتهديد بإنهاء العلاقة لدى مواجهة خلافات صعبة أمر يتفه الزواج.

الراية الحمراء السادسة هي "جهل السنة العشرين." في حالة والدة لورا تأخرت هذه المرحلة عشر سنين، لكنها قد تبكر أيضاً، وأحياناً تعرف بـ "سن اليأس عند الرجال." ولا يتضمن هذا الهروب دائماً تورطاً مع امرأة. قد يقرر الزوج الرحيل الى بلد آخر أو المجازفة بمدخرات العائلة في مشروع للغنى السريع. وبذلك تصبح الحياة معه صعبة.

هذه المعاناة لا تبقى داخل الرجل، إذ انه لا يملك قدراته السابقة. فابنه يغلبه في كرة السلة، وعقله لم يعد سريعاً كما كان، والشبان ينالون الترقيات التي طالما تمناها، والسنوات المتبقية غير كافية ليفعل كل ما يريده في الحياة. إنه في أمس الحاجة الى التفهم والعزاء اللذين يفترض أن تقدمهما زوجته اليه.

شعرت والدة لورا ببعض الرأفة على زوجها التائه. وعندما زارها ليأخذ بريده قدمت اليه القهوة وجلسا وتحدثا. وهو بات يزورها أحياناً لتناول العشاء. إنها تتمنى أن تسوى الأمور بينهما قريباً.

الراية الحمراء الاخيرة هي "هلع الشيخوخة." بعض الرجال يخافون التقدم في السن ومع ذلك يستسلمون اليه متوهمين العجز. وما لم يحظوا بالمساعدة فإنهم يضيعون سنين في الموت بدلا من الحياة.

لكن الرجل الذي اكتسب من أزمات حياته إدراكاً أشمل لحدوده وقدراته وأصبح أقل نشاطاً، ولكن أكثر حكمة، يختلف في سنواته الاخيرة عن سواه. فهو يتوقف عن العيش للغد البعيد ويبدأ إظهار تقديره لبهاء كل يوم وإعجابه بزوجته خصوصاً، تلك التي وقفت إلى جانبه في الأيام العصيبة، ويجعلها تشعر بذلك الإعجاب.

أما الأزواج الذين هم في مأمن بعد تخطيهم خطر السنة العشرين فحياتهم شهر عسل ثان. لكن شهر العسل هذا في نهاية زواج طويل ليس نتيجة حتمية، بل استحقاق. والذين استحقوه يقرون بأنه يستأهل كل جهد.

جويس برادرز

الكاتبة دكتورة في علم النفس مشهورة بكتبها ومقالاتها الصحافية وبرامجها الاذاعية والتلفزيونية.

لا تقدمي الطعام في حينه، فالجائع يلتهم أي شيء.

ك.م.

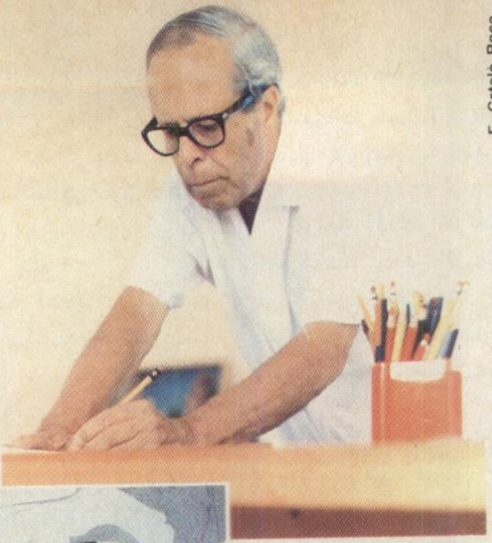

سيرت في منزله بجزيرة ايبيزا. (تحت) الخريطة الرئيسية لمدينة تشيمبوتي الجديدة في بيرو.

سواه يرى المساكن أبنية عادية مشادة بالاسمنت والحديد والزجاج. أما هو فكان يراها هياكل تنبض بالحياة ويسكنها بشر

أمضى هوسيب لويس سيرت ما يزيد على خمسين عاماً يبتكر ويعلم فن هندسة معمارية ذات ألوان أخاذة تغمرها الشمس وتبعث البهجة في النفوس. وعرف كأحد المهندسين المعماريين المجلين في القرن العشرين، وحاز تكريماً عالياً في الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ووطنه اسبانيا.

الحيوية التي أضفاها سيرت على هندسته ترجع الى أيام طفولته في اسبانيا. وهو قال مرة: "في جميع أعمالي هناك عنصر أساسي مهم توحيه أجواء البحر الابيض المتوسط، يبرز الحنين الى مناخ معين ونور معين والى جميع المؤثرات البصرية التي عرفتها في وطني أيام حداثتي."

ذلك كان مناخ كاتالونيا ونورها، تلك المقاطعة الواقعة شمال شرق اسبانيا والتي تنحدر شواطئها الصخرية الى البحر الابيض المتوسط. هناك في برشلونة ولد سيرت في أول يوليو (تموز) ١٩٠٢ لعائلة أريستوقراطية تعشق الفن.

فكر سيرت أولا في امتهان الرسم. لكن والده أراده أن يتعلم مهنة أخرى مشدّداً

هوسيب سيرت مهندس الجمال

على أن "لا أحد يكسب رزقه من الرسم." فاقترح عليه خوسيه ماريا أن يدرس الهندسة المعمارية. وعمه رسام جداري شهير يزدان مدخل بناية قاعة "راديو سيتي" في نيويورك برسومه.

كان على طالب الهندسة المعمارية في العشرينات أن يلتحق بالمدرسة العليا للهندسة المعمارية في برشلونة. تلك كانت مدرسة من "الطراز القديم" تتبع طريقة الفنون الجميلة في التعليم ويشعر فيها الطلاب بأنهم يضيعون شبابهم في دراسات كلاسيكية لا صلة لها بالواقع، كبناء نماذج لهيكل "بارثنون" في أثينا. ولم تكن المدرسة لتعترف بالالماني والتر غروبيوس والامريكي فرانك لويد رايت والفرنسي لو كوربوزييه، الذين كانوا في صدد احداث نمط جديد من الهندسة المعمارية غير مقيد بالتفاصيل التاريخية التي عفاها الزمن، واعتمدوا فيه تخطيطاً جيداً يوفر خفة في البناء وتهوئة وافية.

كان سيرت في طليعة الطلاب الذين صمموا على استكشاف تلك الهندسة المعمارية "العصرية." التقى في دارة عمته بباريس عدداً من الشخصيات التي كانت تعمل لاحداث ثورة في الفن: رافيل المؤلف الموسيقي ودياغيليف منظم عروض الرقص وفيار الرسام. وفي ١٩٢٦ اكتشف سيرت عالم لو كوربوزييه. قال: "لم أكن سمعت به، لكنني وجدت في محل صغير بساحة الفاندوم في باريس الكتب التغييرية المتطرفة التي وضعها ففتنت بها وجلبتها الى برشلونة وبدأت وأصحابي التباحث فيها."

كتب لو كوربوزييه ان الابنية يجب أن تشاد بكل أمانة، بالمواد الحديثة كالفولاذ والزجاج والاسمنت. ويجب أن تصمم علمياً كي تخدم سكانها جيداً، وألا تعتمد الزينة التقليدية في تجميلها.

كفاح شعب – عندما علم الطلاب أن لو كوربوزييه قادم ليحاضر في مدريد كتبوا اليه يسألونه ان يلقي لهم محاضرة أيضاً. وتذكر سيرت لاحقاً: "أثارت اهتمامه الهندسة المعمارية المحلية ومكث معنا بضعة أيام. اصطحبناه الى

وحدات سكنية في بغداد.

الملاهي في منطقة الميناء حيث وضع رسوماً من وحي المكان. ثم استدار نحوي سائلا: لماذا لا تأتي الى باريس عندما تنهي دراستك وتعمل معي؟ وهكذا توثقت بيننا أواصر صداقة لمدى الحياة."

ذهب سيرت الى باريس عام ١٩٢٩ وانضم الى مجموعة من المهندسين المعماريين الدوليين في محترف لوكوربوزييه. وفي السنة ذاتها فتح مكتبه الخاص في برشلونة. كانت تلك فترة ثورة اجتماعية. وفي ١٩٣١ أصبحت اسبانيا جمهورية. ومنذ البداية ربط سيرت عمله بمبادىء الجمهورية الناشئة. كانت جميع مواضيع زمرته من مهندسي العمارة "الجديدة" تتعلق بتحسين البيئة. وهو قال: "كنا شباباً لنا آمال وخطط كبيرة. وكانت لدينا جرأة الشباب التي يجب أن يحتفظوا بها على الدوام."

أعطت الجمهورية سيرت أول مهمة له ذات شأن خارج بلاده: إنشاء جناح خاص بالدولة الاسبانية في معرض باريس الدولي عام ١٩٣٧، بالتعاون مع نحاتين ورسامين. فرسم بابلو بيكاسو، الذي تأثر كسائر الفنانين بالحرب الاهلية الاسبانية التي بدأت عام ١٩٣٦، لوحة جدارية للجناح هي "غيرنيكا" التي باتت أشهر لوحة رسمت في القرن العشرين. وحاز افتتاح الجناح ثناء وتقديراً كبيرين، وكان هدفه تركيز انتباه العالم على كفاح الشعب الاسباني.

لكن الجمهورية الاسبانية سقطت عام ١٩٣٩ ولم يعد سيرت مرغوباً فيه في وطنه، فاعتزم وزوجته العمل بنصيحة والتر غروبيوس وزيارة أمريكا. واندلعت الحرب العالمية الثانية فيما كانا هناك فبقيا في الولايات المتحدة وأصبحا بعدئذ مواطنين أمريكيين. وخلال الحرب وبعدها كتب سيرت وألقى محاضرات في مدينة نيويورك ورسم خططاً، معظمها لم ينفذ أبداً، لمدن جديدة في الامريكتين الوسطى والجنوبية. ونمت شهرته لكن عمله كمهندس معماري بقي مجمداً.

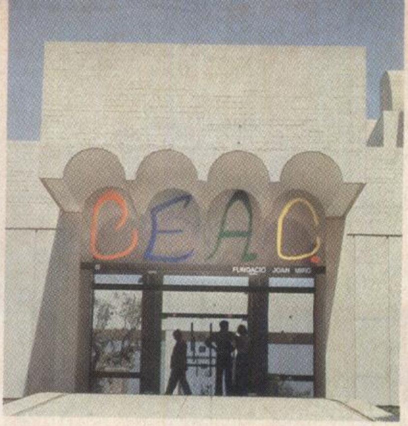

مركز ميرو في برشلونة، أحد أعظم أعمال سيرت الاخيرة.

سر عبقريته – في ١٩٥٣ تغيرت الحال اذ عين سيرت عميداً لمدرسة التصميم في جامعة هارفرد المرموقة وخلف غروبيوس كرئيس لدائرة الهندسة المعمارية.

وبحلول العام ١٩٥٥ كان سيرت نضج كمهندس معماري ومصمم، ويشهد على ذلك المحترف الذي بناه لصديق العمر الرسام خوان ميرو في جزيرة مايوركا. وتبع ذلك بناء السفارة الامريكية في بغداد عام ١٩٦٠، ثم طوف من الاعمال استمر ثلاثاً وعشرين سنة: منازل ومدارس ومتاحف وجامعات وأبنية سكن ومكاتب.

عندما عملت معه في مكتبه في كامبردج بولاية مساتشوستس كان أصبح مهندسا ذا شهرة عالمية. أتذكره رجلا مرحاً متواضعاً خالياً من الادعاء، يلبس بذلة اسبانية رمادية قاتمة ويضع على عينيه نظارتين كبيرتين لهما اطار من عظم.

وأذكر عندما كنت أرسم يوماً خريطة للواجهة الامامية لمبنى وحدات سكنية جديدة، رأيت سيرت بجانبي. وبعد قليل، من دون ابداء أي ملاحظة أو انتقاد، وضع ورقة رسم فوق خريطتي وتناول قلم رصاص وأخذ يرسم ببطء وتأن خريطة جديدة. فاقترب بعض المهندسين الشباب بهدوء كي يشاهدوا ما يجري. كان سيرت يعيد ترتيب النوافذ والشرفات ويبدل مقاييسها، فبدت بنايتي العادية كأنها بعثت حية بعصا ساحرة. عندئذ أدركت سر عبقرية سيرت.

أنا كنت أرى في مبنى الوحدات السكنية بناء عادياً مشاداً بالاسمنت والزجاج، أما سيرت فكان يراه هيكلا

Photos: Sert, Jackson & Associates

ينبض بالحياة ويسكنه بَشر. رأى بعين خياله أشعة الشمس تتدفق في البناء والنسمات العليلة تخطر في أرجائه والنسوة يتطلعن من نوافذه والمحبين يتنزهون أمامه.

لم يكن سيرت يرسم الا لابتكار مساكن تبدو كأنها تتوسل الى الناس كي يشغلوها. فمجرد نافذة، بتغيير بسيط في الشكل، أصبحت إطار صورة جميلا، والشرفة انقلبت تعريشة تظللها أغصان متشابكة.

صفة انسانية - بعد مضي سنوات زادت معرفتي بسيرت، فسألته ما هو في رأيه أهم أمر يتعلمه الطلاب. فأجاب: "لو كنت أدرِّس هذه الايام لحاولت أن أجعل الناس أقرب الى تفهم الهندسة المعمارية الصحيحة كما أراها أنا. إنها تصور مساكن تبعث البهجة والراحة في النفوس."

التمتع الانساني، ذلك كان سر سيرت. لقد تمتع بالحياة والطعام والشراب والاصحاب والنكات والسيارات ونور الشمس والماء والنحت والرسم. كره الادعاءات الفارغة وتلك الابنية التي تعلو وتبدو مهددة أرواح الناس. ان هندسة البناء يجب ان تصطبغ بصفة انسانية.

نمت شهرة سيرت واجتذبت مهندسين معماريين من أنحاء العالم. كانت طريقته في العمل فريدة. كان يدخل غرفة الرسم مع أحد شركائه ويبدأ فوراً الكلام عن المشروع، فيزيد خطوطاً على الرسوم هنا ويقترح تغييراً في مقياس الخرائط هناك، فيما يتراكض مساعدوه لاجراء التغييرات التي طلبها. ويزدحم حوله الرسامون ليصغوا اليه. ونادراً ما تذمر منهم لانه طبع على حب التدرب والاستطلاع.

أحب سيرت التعاون مع الفنانين. في أوج عمله ابتكر مؤسسة "مايت" وهي متحف ينطوي على انحناءات بيضاء متعالية فوق جدران حجرية جميلة وحدائق وساحات في تلال الريفييرا الفرنسية المخضبة بكروم العنب. كان كثير من الفنانين الذين عملوا معه رفقاء له منذ أيام الدراسة في مقاهي باريس. وبعضهم، مثل النحات ألكسندر كالدير والرسام خوان ميرو، عملوا معه في الجناح الاسباني بمعرض باريس. وآخرون، بينهم النحات ألبيرتو جياكوميتي والرسام فرنان ليجيه، انضموا اليه في حينه. وجميعهم حازوا شهرة عالمية.

عرفان أخير - ان طابع البهجة الذي تميز به متحف مايت، ككثير من أعمال سيرت، مأخوذ عن الهندسة الشعبية في حوض البحر الابيض المتوسط، خصوصاً في جزر البليار قبالة شاطىء كاتالونيا الاسباني. هناك بيوت المزارعين المبنية من الجص الابيض والمغري تبدو على وشك السقوط كالمكعبات الخشبية التي يلعب بها الاولاد، نزولا على جوانب تلال عارية الى مياه الموانىء الزرقاء. أحب سيرت هذه المساكن البسيطة وسطيحاتها الظليلة وألوانها الزاهية، وأخذ عنها مجموعة تصاميم لبيوت في جزيرة إيبيزا. اثنان منها، أحدهما في القرية والآخر في التلال، كانا ملك سيرت

حيث أمضى وزوجته مونتشا إجازات طويلة في أواخر سني حياتهما. وفي أوائل السبعينات أبدى سيرت عرفانا آخر لكاتالونيا: أبدل اسمه من هوسيه لويس الى هوسيب لويس بحسب ما يكتب في كاتالونيا (★).

بعد سنوات، على أثر اعتزالي العمل في مكتب سيرت، بلغني أنه مريض. اتصل بي أحد زملائي السابقين وأخبرني أن سيرت الذي بلغ الثمانين اتصل به طالباً نقله الى المستشفى. وهو قال له بلهجة واقعية: "سيقدم الي الأطباء نتيجة الفحوص، ولا أنتظر أخباراً حسنة."

لم يمض وقت طويل حتى ترك سيرت وزوجته كامبردج بهدوء ورجعا الى كاتالونيا، أولا الى ايبيزا ثم الى برشلونة حيث توفي سيرت بداء السرطان في مارس (آذار) ١٩٨٣. كان قريباً من البيت الذي ولد فيه، كذلك من أحد أعظم أعماله الاخيرة: مركز ميرو لدراسة الفن المعاصر، الجاثم على تلة تشرف على المدينة. هذا المركز، بهندسته الجريئة وبساطته، يجسّد الكثير مما رآه سيرت جديراً بالاهتمام: نور الشمس والفن والناس والبساطة... وكاتالونيا.

أنكر من أقواله جيداً كلماته عام ١٩٨١ لدى قبوله الميدالية الذهبية للمعهد الامريكي للمهندسين المعماريين: "عشت متفائلا، مؤمناً بالجوانب الايجابية للحياة والطبيعة والجمال. عشت بنّاء. اذا أردنا ممارسة مهنتنا، بناء الاشياء، فعلينا حتماً أن نؤمن بمستقبل أفضل للبشرية."

روبرت كامبل

(★) من José Luis الى Josep Lluis

وسادة سامر

بعدما قضى سامر يومه الأول في المدرسة عاد يتشكى من قسوة المقاعد. وهدأت امه من روعه ووعدته بأن تضع له وسادة يحملها معه.

وعصر اليوم التالي سلم سامر أمه الرسالة الاتية من المعلمة:

"عزيزتي السيدة جلنار،

أشكر لك عرضك الكريم بصنع وسادات لمقاعد صف سامر. وأفيدك بأن في الصف ٣١ تلميذاً."

د.س.

المسافر والمضيف

في رحلة جوية جلست الى جنب مسافر دأب على ازعاج المضيف واهانته، مع أن هذا كان يستجيب بكفاية لكل طلب. فجأة صاح رفيقي الممقوت: "أنت أغبى انسان لقيته."

فأجاب المضيف بهدوء: "وأنت أظرف انسان لقيته. لكن الاحتمال كبير أن يكون كلانا على خطأ."

د.ن.

يكفيها أنها أنيقة

لا يدعو إلى الدهشة أن ثلاثة ملايين شخص في فرنسا قرأوا كتاب "القطة في جميع مظاهرها"(1) لمؤلفه جان لوي هو. فالقطط تغزو العالم، وثمة ستة ملايين منها في فرنسا وما يزيد على ٣٠ مليوناً في الولايات المتحدة. وبغية اكتناه جوهر القطط عمد هو، مثل رسام ياباني يجتهد لرسم خط متناغم، إلى تخطيط صورة لهذا الكائن الاليف الذي تكتنفه الأسرار. هاكم دنيا القطط كما تتبدى في حركاتها

من وجهة نظر هندسية بحت، القطة شكل بسيط يتحدد ببضعة خطوط. وهي تسير في حركة واحدة، تضع أحدى قائمتيها الاماميتين أمام الأخرى وكأنها تتعقب سياجاً وهمياً. والقطة بالفطرة بهلوان يمشي على حبل. ولعلكم تتساءلون هل يبلغها المطر، اذ تبدو قادرة على الانسلال بين القطرات.

والقطة تحيا من أجل الاناقة. فمهما أنعمت النظر اليها عن كثب فلن تجد عيباً ولا ثنية واحدة غير متناسبة ولا حركة غير رشيقة. حتى أذناها تبدوان مصنوعتين بحسب الطلب. وكل أذن مزودة زهاء عشرين عضلة، وفي أسفلها وصلة

(١) Le Chat Dans Tous Ses Etats

Condensed from «le Chat Dans Tous Ses Etats,»
copyright © 1982 by Editions Grasset et Fasquelle, Paris

تكسبها حرية في الحركة. هاتان الاذنان تبوحان بالسر كله، فإذ تكونان مستقيمتين ومرتخيتين تشيان بارتباك القطة، مثل "قبعة حمار" على رأس تلميذ غبي. أدنى الاصوات تنبههما، وهما تؤديان وظيفتهما الاساسية كبوقي استماع يلتقطان الاصوات مثلما تلتقط اليد شيئاً.

حركة الالتفاف المفاجئة في أعلى الاذنين تعلن معركة وشيكة. وادارتهما إلى الخلف منبسطتين كي تغدوان محجوبتين تدريجاً، تنم عن خوف شديد. انهما ترجعان رأس القطة إلى الخلف، فيما ينفتح فكها ويتغضن الانف والوجنتان والرأس، وتظهر عشرات التجاعيد في الوجه. وتتخذ القطة سيماء التوتر.

نوم واستحمام - تمضي القطة ثلث وقتها نائمة. ان ما ينساب في عروقها منوم وليس دماً! وبسبب استعدادها الدائم للنوم وولعها بالسطوح الملساء المقعرة وسعيها المتواصل الى مزيد من الراحة والرفاه، فهي تفضل ارتفاعاً يبلغ ٦٠ سنتيمتراً، أي بعلو وسادة كرسي مضافة إليه سماكة حضن. لكنها تستوطن أيضاً مناطق هجرها الانسان اذا وجدها غير صالحة للسكن: سطوح الخزائن والرفوف وأدراج الثياب والسلال والأسرّة المظللة. حتى سلال الفاكهة تجتذب القطة. كما انها قد تغار من كيلوغرام من البرتقال.

أوضاعها تروي قصص لياليها. باديء الأمر يستبد بها الحذر فلا تنام عميقاً. رأسها الثقيل يحتك بقدميها المطمورتين في كسوة فراء. يقظة متوانية تخصِّر جسمها وتكسبه توتراً متغطرساً كتمثال في جدث. بعد نصف ساعة تتوقف هذه البلادة السكرى وتشرع القطة في الحلم منساقة على غير هدى. تيارات مهدئة تنفذ الى جسمها فتمدده وتدلكه. ثم تستدير وتتلوى في كل وضع ممكن، مستلقية على ظهرها وملتفة على نفسها وعلى بطنها ومتكورة مثل طابة.

كي ينام الانسان بسلام أحدث الحرائق في السهول ثم وضع لافتات "يرجى عدم الازعاج" في الفنادق. والقطط ذات تجهيز طبيعي وهي تبزّ جميع الكائنات بثلاث ساعات من الاحلام يومياً. والنوم يستتبع الذكاء، والقطط تزودنا صورة جيدة عن عالم يكون المنتصرون فيه هم الماكثون في الفراش.

ينبغي أن ندع القطط النائمة مضطجعة. وحين تستيقظ احداها تؤدي تمارين جمبازية سريعة تجعل جسدها رشيقاً. إنها تتمطى على البلاط وظهرها غائر وقدماها الاماميتان مشدودتان الى الامام بأقصى ما يمكن، كل منهما تسعى الى التمدد مسافة أبعد من الأخرى. والقطة تتثاءب بقوة تخالها انتزعت فكها من موضعه. ويساورك قلق بأنه في مكان ما ثمة رباط مطاطي يكاد ينقصف. ويتوالى التمدد ولكن الى أعلى الآن. يتقوس ظهر القطة ويبرز ذيلها منتصباً كحبل. كل ما حولها ينكمش، غير أن الجهد الزائد قد يكون مؤذياً لذا تقعي القطة وتشرع في الاستحمام.

اللعقات الأولى تتلقاها القطة من

أمها. تروقها التجربة فتعيد الحركة على جسمها بلا نهاية. وتمضي عدداً من ساعات يقظتها في ذلك. تمسح فراءها خلفياً، تصفع برغوثاً، تفرك رقعة من الجلد. إنه عمل مجهد ولا ينجز بسهولة. وبضربة دائرية آلية تنظف صدرها وكتفيها وظهرها. أمنيتها القصوى أن تتمكن ذات يوم من لعق جسمها تحت الذقن. وفيما هي متمددة على الطراز الروماني متكئة على مرفقها، تستكشف بطنها وتنقر احدى الطيات قرب ذيلها وترفع قائمة تلعقها من أعلاها إلى أسفلها وكأنها قطعة حلوى في طرف عود. ثم تتقوس كمنجل وتملس ذيلها وتكب على حل كتلة فراء متشابكة إلى حد يدفعها إلى انشاب أسنانها فيها.

لعبة الصيد - لسان القطة خشن ومطواع، تنتشر عليه حليمات صلبة معقوفة. وهي تستعمله فرشاة ومشطاً وليفة للاستحمام. تحرر معطفها من نسالته وتأخذ الفيتامين "د" من مادة الزهم(٢) الدهنية التي تفرزها فروتها. واللعاب الذي يروق القطة نشره على جسمها يصقل الجلد ويعطر الفرو بشذا عليل واه كالرماد الخامد فينعش الجسد الضنين بالعرق. وبين استحمام وآخر يتدلى لسان القطة احياناً من فمها بين نابيها السفليين كمنشفة في حلقة جاهزة للاستعمال ثانية.

لكن هذه المنشفة القرنفلية ذات النفع في أمور أخرى صغيرة لا تكفي لتنظيف وجه القطة. وقد عثر على حل عرضي لهذه المسألة: ترفع القطة كفها في زاوية قائمة، تنديها باللعاب وتفرك بها رأسها. الكف ثقيلة ومتيبسة كمفصل ملتو، وكثيراً ما تسقط في ايماءة يأس، كمهرج يبيض وجهه.

بعض الرماة اليابانيين يتركون وتر القوس مشدوداً لبرهة، وحين ينتهي تأملهم يطلقون للسهم العنان. وهذه هي الطريقة التي تصيد بها القطة. فهي تدب إلى الامام وعلو ظهرها عن الارض لا يجاوز ارتفاع العشب. فجأة تتجمد رابضة. قوائمها المطوية تبدو كبيرة جداً، كالزوائد على خاصرتي جندب. تنتظر وتراقب. يغمرها شعور بالقوة والاختباء. يحدب جسمها فيما يتذبذب ردفاها بشدة وكأنها ملتصقة بالأرض غير قادرة على تحرير جسمها. ثم بوثبة واحدة تقع على فريستها. ساقاها الخلفيتان تعملان كمحور ارتكاز، تحافظان على توازنها وتبقيانها في وضع يتيح لها فراراً سريعاً عند الضرورة. وفي غضون ذلك تتولى القدمان الاماميتان تثبيت الضحية إلى الأرض.

حالما تنفق الضحية تبدو كأنها منسية. تلعق القطة جسمها. تتجول هنا وهناك. تفحص الأرض بدقة وفضول. واذ تعود إلى فريستها تواصل التظاهر بالاشمئزاز. تلتقط الجيفة بفكيها وتهزها من جانب إلى جانب. يلتصق اللحم بأسنانها فتتنبه شهيتها. تنكفىء القطة إلى مكان آمن ورأسها مرفوع ينوء بثقل صيدها. تبدأ الوجبة بالخطم وتنتهي بالذيل، والقطة تنهش في اتجاه نمو الفرو.

---
(٢) Sebum

ماذا يتبقى من الفأرة بعد انتهاء الوليمة؟ معدة قرنفلية ملقاة على الأرض مثل حزمة أسمال بالية تركت على عجل.

لهو القطط - تبدد القطة طاقة لا حد لها في لهوها. كل شيء يصلح لعبة: بعوضة، طية ستارة، ورقة نبات ذابلة، يد لعوب، وحتى ظلها. انها تهاجم فلينة وتطارد خصلة شعر وتبتهج بمشاكسة اصبع قدم تحت ملاءة. تعبث كفها المنقبضة المخالب بالفريسة وهي تضربها برفق وكأنها تخشى أن تحرق ذاتها. ثم تغدو الكف أكثر جرأة، فتربت الفريسة ثم تضربها مرة تلو أخرى. تثب الضحية أو ترتد. حرارة المواجهة تعلو. تساعد القطة فريستها على الانخراط في اللعبة. ثم تقف والضحية بين كفيها الاماميتين. بعد ذلك تعدوان معاً. ترفع القطة الضحية أعلى ما تستطيع وهي تتمطى وتلتف على ذاتها حالمة بالفأرة المثالية المجنحة.

كل القطط تلهو متعقبة قططاً أخرى. والقطة التي تُمسَك تطارد الأخريات، وهكذا. لكن هذا لا يستبعد ألعاب الغميضة (الاستغماء) والمطاردة والقطة والفأر (حيث تؤدي احدى القطط دور الفأرة، متوارية ومتنقلة بسرعة من زاوية الى أخرى، فيما تطاردها أخرى خلسة. ولعبة الغميضة تفتقر إلى عصابة للعينين، فتحوِّل القطة المطاردة نظرها عن حجر الاستغماء، سابرة الظلال وهي تمد مخالبها الى شبه شارب أو قائمة أو ذيل. وبعد اندفاع سريع مستتر تضرب القطة "الفأرة."

أما مع البشر فالقطة ممثل بارع. انها تثب وتتقلب وتؤدي ألعاباً بهلوانية. قد تشق نفقاً تحت سجادة أو تخدش ببراثنها الغبار الخافق في أشعة الشمس أو تلاحق ذيلها سبعين مرة حول مصباح أرضي. انها تهاجم الاشياء لكنها تطارد الانسان خلسة. والقطة تتوقع أن ينضم إليها شريك في لهوها، وهي تطلب منه أن يبدي خيالا مجنحاً. والقطة تنفر من الكسل.

والقطة ولوع بالاشياء الجميلة وكأنها في لهوها تسعى إلى كسر الرصانة المكبوتة في وحدتها. وعلى نحو معبر عن العواطف دونما تحفظ، تلاطف القطة العالم بأسره. انها تغوينا وتجدد شبابنا.

القطة حيوان أليف واجتماعي، وهي مثل طفل شب سريعاً.

جان لوي هو

أستاذ بابا

في السنة الاولى من دراستي الجامعية تابعت مقرراً دراسياً عن الحضارات الغربية، وكان الاستاذ أبي. ومرة سئلت عن شعوري حيال تتلمذي على أبي فأجبت: "ليس الأمر بالغرابة التي تتصوّرون. فلقد أمضيت حياتي أصغي إلى محاضراته. ألاّ أنني لم أضطر قبل اليوم الى تدوينها."

هـ.ا.

شد الوجه وتقويم الانف
وتكبير الثديين وتصغيرهما
جراحات تجميلية باتت شائعة
فهل فكرتم يوماً في اجراء احداها؟

الجراحَة التجميليّة تشفي النفس؟

Photo: P. Laffon / Sygma

James Colburn / Photo Reporters

ماري ملفين
قبل الجراحة وبعدها.

□ لم يكن لماري ملفين (٢٨ عاماً) ذقن. وكان فكاها منحرفين الى حد يصعب عليها الاكل والتنفس. أجريت لها جراحة دامت خمس ساعات ونصف ساعة، فشق الجراح فكها الاعلى ثلاثة أقسام ووسّعه وشده الى أعلى. ودفع ذقنها الى أعلى والى أمام. حدث كل ذلك داخل فمها ولم يترك أي ندوب ظاهرة. وهي تقول: "في استطاعتي الآن ان أمضغ وأتنفس. وأشعر بثقة أكبر بالنفس."

□ نظر آرثر غيتز (٥١ عاماً) الى نفسه في المرآة ورأى في صورته ذقوناً زائدة وعينين منتفختين. ولكونه رئيس محاسبة في شركة كبرى خشي ان ينعكس منظر وجهه المتهدل سلباً على وظيفته. لذلك عزم على اجراء جراحة لشد الوجه.

لقد اختلطت الجراحة التجميلية(١) - الاختيارية لتحسين المظهر والشعور بحال افضل - بالجراحة الترميمية(٢) التي تعالج الحروق او تركب ثديين بعد استئصال الثديين الاصليين. في كلتا الحالين هدف الجراحة تجميلي، ومن شأن الجراحة الناجحة أن تحدث تأثيراً نفسياً كبيراً. يقول الدكتور توماس ريس من المركز الطبي بجامعة نيويورك: "ان ولداً في السن السادسة عشرة ذا ذقن صغير وأنف كبير قد يشعر بالعذاب."

والجراحة لا تتم بسرعة ومن دون ألم أو خطر. يقول الدكتور توماس كريزيك رئيس قسم الجراحة التقويمية(٣) في المركز الطبي بجامعة شيكاغو في ولاية ايلينوي: "اثناء الجراحة التقويمية قد يصاب المريض بتورم أو عدوى، وقد ينزف او يوسم بندوب."

لكن قلة من الجراحات الكبيرة هي أكثر أماناً من الجراحة التقويمية. لان المرضى غالباً يكونون في صحة جيدة، كما تجرى معظم الجراحات في الرأس والقسم الاعلى من الجسم حيث يتوافر الدم بكثرة نسبياً مما يؤدي الى شفاء سريع. والتخدير المتطور يمكّن الاطباء من اجراء جراحات في عياداتهم. والطرق التقنية الحديثة تزيل معظم الرضوض والخدوش التي كانت ملازمة لجراحة الوجه.

(١) Esthetic surgery
(٢) Reconstructive surgery
(٣) Plastic surgery

لكن خيبة المريض واردة وان تكن الجراحة ناجحة كلياً بحسب المفهوم الطبي. ففي وسع الجراح أن يجعل المرأة جميلة، لكن أفضل الجراحين يعجز عن جعل أقبح رجل في الدنيا يحبها.

جيري أدلر ومات كلارك

في "نيوزويك"

شفاء نفساني

الجراحة التجميلية قد تؤدي الى شفاء. يقول الدكتور هارفي أوستن الجراح التقويمي في ماكلين بفرجينيا: "الناس الذين يرون عيوباً في مظهرهم يناجون أنفسهم في شأنها. أعرف رجلا ذا أنف كبير كان يردد دائماً في سره: ترى هل ينظر هؤلاء الناس الى أنفي؟ انني أعلم أنهم ينظرون الى أنفي. ثم عزم على اجراء جراحة تجميلية. وأخبرني على أثرها أن أهم النتائج العملية كانت توقفه عن مخاطبة نفسه."

كاتلين ماكسا

في صحيفة "واشنطنيان"

لا تتفاءلوا كثيراً

معظم الجراحات التجميلية يعنى بالوجه والرقبة والاذنين والعينين وجلدة الرأس. في الولايات المتحدة يجرى سنوياً ما بين ٧٥ الفاً و١٠٠ الف جراحة للانف ونحو ٣٠ الفاً للذقن.

لم يتوقع احد هذا النمو الكبير للجراحة التجميلية عندما ابتدعها الجراحون خلال الحربين العالميتين. واليوم تعتبر الاوساط الطبية ان الجراحة التجميلية الاختيارية طريقة شرعية لشفاء الناس.

لكن الجراحة التقويمية ليست مجرد نحت في الصلصال أو حفر في الخشب. ان لحم الانسان فريد في ذاته. في امكان الجراحين أن يزيلوا ما هو زائد منه أو يعيدوا ترتيب المظهر، ولكن لا يسعهم اعادة بناء الوجه ليطابق صورة فوتوغرافية أو "الصورة المثالية" التي ينشدها المرء.

خلال الحرب العالمية الثانية تمكن ثلاثة من رجال المقاومة النروجيين المأسورين لدى الغستابو(٤) من الهرب واللجوء الى بريطانيا. وكانت لهؤلاء مكانتهم لدى استخبارات الحلفاء، فأجرى لهم جراح تقويمي بريطاني كل تقنية جراحية معروفة لتغيير ملامح وجوههم. لكن الالمان تعرفوا عليهم جميعاً وأسروهم ثانية بعيد رجوعهم الى وطنهم.

اذا كنتم تأملون من الطبيب أن يغير ملامحكم كلياً فسيخيب ظنكم. ولحسن الحظ فان بعض الناس لا يسرفون في التفاؤل، لذلك يسرون بما يصيبهم من تحسن بعد الجراحة.

الدكتور توماس ريس

وسيلفيا سيمونز

جراحات شائعة

شد الوجه(٥). اذ نتقدم في السن يتمدد جلدنا بفعل الثقل وتحرك العضل ويأخذ في التهدل. وأكثر ما يظهر ذلك في جفون العينين وزوايا الفم.

يتضمن شد الوجه ازالة الجلد الزائد

---

(٤) الغستابو هي الشرطة السرية النازية.

(٥) Face lift

بواسطة الجراحة، واعادة تركيب الانسجة العميقة في الرقبة والوجه وترتيبها. وتستغرق العملية بين ساعتين وثلاث ساعات تحت تأثير مخدر موضعي. ومع مرور الوقت تختفي معظم الندوب، وهي تتركز امام الاذنين وخلفهما وصولا الى خط الشعر في الرأس، فيمكن تغطيتها بسهولة. وخلال اسبوعين او ثلاثة أسابيع يزول الانتفاخ وفساد لون الجلد. ويتم الشفاء الكامل خلال مدة تراوح بين ستة اشهر وتسعة.

كم سنة يدوم التحسن في الوجه؟ انه يختلف باختلاف الافراد. سيستمر التقدم في السن طبعاً، لكن الوجه لن "يتهدل" على نحو فجائي.

السلخ الكيميائي(٦). هذا الاجراء يصحح الخطوط الدقيقة حول الجفون والشفتين والجبين التي يتعذر عادة محوها بواسطة شد الوجه.

يضع الجراح محلولا كيميائياً على قسم الجلد المنوي سلخه. وبعد ٤٨ ساعة يعالج الجلد بمسحوق يكبح نمو الجراثيم ويشكل قشرة صفراء قاتمة. في اليوم الخامس يضع الجراح مرهماً من المضادات الحيوية يليّن القشرة ويساعد في فصلها، ويستغرق ذلك بين سبعة ايام وعشرة. وعندما يحرر الجلد من القشرة يبدو ملمسه ناعماً كجلد طفل ولونه أحمر وردياً. ويزول هذا اللون خلال شهرين او ثلاثة اشهر. وان عادت بعض التجاعيد فانها لن تكون بارزة كالسابق.

كشط الجلد(٧). تقضي هذه العملية بنزع الطبقات السطحية للجلد بواسطة فرشاة دوارة او ورق زجاج. وهي تستخدم في الغالب لتمليس النواتىء كالتجاعيد والندوب الناتجة من حب الشباب (العُدّ). ويكوّن الجلد قشرة تشفى خلال ثلاثة اسابيع.

زرع الـ"كولاجين"(٨). تستخدم حقنات الـ"كولاجين" لمحو ندوب حب الشباب وخطوط التجهم العميقة بين الحاجبين وخطوط الابتسام العميقة بين الانف وزاويتي الفم. يحقن هذا البروتيين الحيواني المذوب في محلول مالح داخل طبقات الجلد العميقة لتسمينها. وتراوح المعالجة بين جلستين وست جلسات ويدوم تأثير التجميل بين ستة أشهر واثني عشر شهراً، وربما أطول من ذلك.

تقويم الأنف(٩). يجرى تقويم الانف داخله. بعد اعادة ترتيب عظام الانف والغضروف وأحياناً الغشاء الفاصل، يعاد الجلد لتغليفها. ويزول معظم التورم وفساد اللون حول العينين تدريجاً في مدى اسبوعين. وغالباً ما يكون تحسن المظهر رائعاً.

تقويم الجفون(١٠). مع مرور الزمن يأخذ جلد الجفن في التجعد والتهدل والتمدد. يتجمع الدهن تحت الجفنين الاسفلين وفي زوايا الجفنين الاعليين

(٦) Chemical peel
(٧) Dermabrasion
(٨) Collagen implant
(٩) Rhinoplasty
(١٠) Blepharoplasty

مسبباً نتوءاً في الجلد هناك. يصحح الجراح هذه النتوءات بإزالة قليل من الجلد الزائد والعضل والدهن من الجفون.

وتأتي النتائج عادة ناجحة الى حد ان تقويم الجفون بات الطريقة الشائعة لتحسين ملامح الوجه. ويدوم سرور معظم المرضى خمس سنوات أو أكثر.

الدكتور انجيلو كابوتشي

تكبير الثديين(١١). في وسع المرأة أن تنعم بثديين أكبر وأجمل، بواسطة جراحة آمنة نسبياً تستغرق تسعين دقيقة ويجريها جراحون في عياداتهم أو في المستشفيات.

وان تكن جراحات تصغير الثديين هي أقل من جراحات تكبيرهما، فانها تزداد شيوعاً. وهي تترك غالباً ندوباً كبيرة، فلا ينصح الاطباء باجرائها الا في حال المعاناة الجسدية الشديدة.

وليس هناك دليل على أن الجراحة التقويمية للثديين(١٢) تزيد خطر سرطان الثدي او تعوق اكتشافه. وليس هناك أيضاً ما يثبت أن تكبير الثديين يؤثر في الرضاعة.

في خمسة في المئة من الحالات أفيد عن فقدان الاحساس في الحلمتين على أثر تكبير الثديين. لكن الثابت أن معظم الخطر يكمن في الاثداء الفائقة الاكتناز.

هناك عامل حاسم في ازدياد الجراحات التجميلية، وهو تأثيرها في نظرة المرء الى ذاته. يقول الدكتور هارفي أوستن: "يتغير كلام المرضى، وتختلف مشيتهم، كأنما اصابتهم لمسة سحر."

كاتلين ماكسا

في "واشنطنيان"

(١١) Breast augmentation

(١٢) Mammaplasty

Condensed from Newsweek (May 27, '85), © 1985 by Newsweek, Inc., New York, N.Y.; The Washingtonian (October '86), © 1986 by Washington Magazine, Inc., Washington, D.C.; «More Than Just a Pretty Face,» copyright © 1987 by Thomas D. Rees, M.D., and Sylvia Simmons, by permission of Little, Brown & co., Inc., Boston; «Change of Face,» copyright © 1984 by Angelo Capozzi, by permission of Kampmann & Co., Inc., New York

طفل في مصرف

كنت في المصرف فلاحظت أمام احدى النوافذ الحديد امرأة تحمل طفلا. وكان الطفل يأكل رغيفاً من الخبز ما لبث أن رماه الى الصرّاف. فابتسم هذا وهز برأسه.

أما الام فقالت: لا، لا يا حبيبي." ثم التفتت الى الصراف وأضافت: "عذراً أيها الشاب، أرجو أن تسامح ابني، فقد اخذته هذا الصباح الى حديقة الحيوان."

ج.م.

سلحفاة السّباق الكبير

أظهر الرفقاء الثلاثة لهواة السباقات الكبيرة أن لب هذه الرياضة يكمن في الرفقة والمجازفة والشجاعة

بدأت القصة بتحد غير مقصود في موقف للاستراحة شمال ولاية مسيسيبي. كان راندي هاردينغ (٤٣ عاماً) مستلقياً قرب سيارته من طراز "فورد T"، ١٩١٣، ينتظر بعض أصدقائه المتسابقين. وبمصادفة محض، انحرف أحد المسؤولين عما يسمى "السباق الامريكي الكبير" بسيارته الى جانب الطريق على بعد امتار قليلة من سيارة هاردينغ وسأله: "هل مشيتها جيدة؟"

فرد: "انها لا تعرف التعب."

قال المسؤول: "حسناً، لكننا لا نستقبل

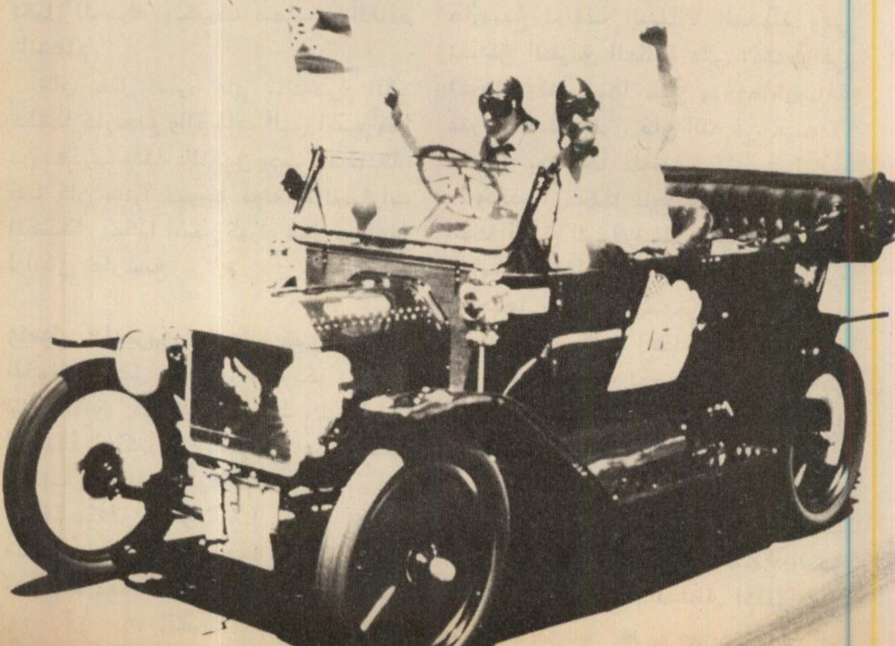

سيارات من الطراز «T» في السباق الامريكي الكبير، فهي غير قادرة على إكماله."

بدا كلام المسؤول تحدياً لهاردينغ. وبعد أربعة أسابيع، في أثناء اجتماع لنادي الآليات العتيقة في جاكسون بولاية مسيسيبي حذر هاردينغ من أن "سمعة الطراز «T» في خطر، والمسألة تتطلب دفاعاً قوياً!" ثم أعلن دخوله السباق. كان يحتاج الى مساعد يمكنه الغياب عن منزله شهراً ويعرف بعض الامور الميكانيكية.

كان كيرك هيل (٤١ عاماً) بين المستمعين. وهو أستاذ مادة العلوم في مدرسة ثانوية، له شاربان طويلان وعينان معبرتان مرحتان. ومثل هاردينغ، نشأ هيل في مناخ حار أوجب استخدام زيت ثقيل للمحرك وتكييف صمامات العادم بانتظام.

كان هيل على علم بالشهرة التي حققها هاردينغ والصفات التي اتسم بها من تهذيب وثقة بالنفس وحب للمصادقة، كما كان شاباً جنوبياً مولعاً بالسيارات العتيقة. وهكذا أصبح كيرك هيل مساعداً لراندي هاردينغ.

وصول خاسرَين – على مدى سنواته الخمس توصل السباق الامريكي الكبير الى البروز كأغنى سباقات السيارات العتيقة وأكثرها شهرة. ومن نقطة البداية في كاليفورنيا، تنطلق مئة سيارة عتيقة وكلها مصنوعة قبل العام ١٩٣٧، فتمضي ١١ يوماً قاطعة طرقاً محددة بسرعات معينة. والفائزة في كل يوم هي السيارة الاقرب الى الوقت المحدد لكل مرحلة من السباق.

معظم المتسابقين يلقون دعماً مادياً. فينزلون في فنادق ويتناولون وجباتهم في مطاعم فخمة وتشحن سياراتهم الى كاليفورنيا لدخول السباق. غير ان هاردينغ وهيل فضلا قيادة الفورد العتيقة عبر المدن الى نقطة الانطلاق، لاجئين الى التخييم والطهو فوق نار مكشوفة.

وخلافاً لهاردينغ، وجد هيل صعوبة في التفسير لزوجته وأولاده سبب عزمه على مغادرة المنزل لمدة شهر بهدف إجراء تجارب على سيارة عتيقة. وكان رد زوجته ليندا: "أنا لا أفهم الوضع، لكنني أظن أن عليك القيام بذلك."

وفي الخامسة من صباح الجمعة ١٣ يونيو (حزيران) ١٩٨٦، وقفت لو زوجة هاردينغ تراقب السيارة المحمّلة وهي تتسلق الطريق العالية حتى توقفت في آخرها. وقفز منها هيل ودفعها مسافة متر. فتمتمت لو: "كان الله في عونهما، ستكون رحلتهما طويلة."

وتقديراً منهما للولاية التي ينتميان اليها ألصق الرجلان على سيارتهما اسم "الآنسة ماغنوليا" وهي الزهرة التي تعتمدها ولاية مسيسيبي شعاراً لها.

ولاقت السيارة إعجاباً من الجمهور، فكل من مرت به لوّح بيده. وفي مراكز الاستراحة ومحطات الوقود كانت الجموع تحتشد لرؤية الاثر العتيق ولمسه.

بنهاية اليوم الثاني كان الرجلان قطعا حوالى ١٤٥٠ كيلومتراً. مرّا بوادي الموت في ولاية نيفادا، وهو دون سطح البحر بـ٨٦ متراً ويعتبر النقطة الادنى في

© 1986 by Jay Paris. Condensed from Mississippi (January — February '87), Jackson, Miss., with additions by the author. Photo: Greatrace, Ltd.

النصف الغربي من الكرة الارضية. ولدى مرورهما هناك لفتت سيارتهما رواد منتجع "رينو" الشهير. ومن ثم تابعا طريقهما عبر جبال سييرا نيفادا الى ساحل كاليفورنيا. وبعدما قطعا ٤٧٤٧ كيلومتراً في تسعة أيام، انطلاقاً من جاكسون، وصلا الى مركز السباق في أناهيم بولاية كاليفورنيا. لم يصادفا أي مشكلة. لم يثقب أي اطار ولم تتسرب نقطة ماء من مبرّد "الآنسة ماغنوليا."

عندما وصل هاردينغ وهيل - بقوة عضلاتهما - كانا يبدوان كأنهما قطعا الصحراء مشياً. وفي دقائق سرى نبأ وصولهما الى مركز ادارة السباق. فتقدم المتبارون لملاقاة القادمين اللذين تمنيا حظاً سعيداً لكل المشتركين. اما الصحافيون الذين كانوا ينتظرون وصول متسابقين مشهورين، فأبدوا سرورهم لرؤية خاسرَين في السباق.

حفلة تصوير - المرحلة الاولى من السباق الامريكي الكبير تتطلب من المتسابقين التوجه الى بالم سبرينغز في كاليفورنيا على الا يزيد متوسط السرعة على ٨٠ كيلومتراً في الساعة. لكن "الآنسة ماغي"، بسرعة قصوى بلغت ٩٧ كيلومتراً في الساعة، عانت في تسلق التلال. وعلى رغم ذلك مرّ هاردينغ وهيل بمتسابقين توقفت سياراتهم وكانوا توقعوا نفوق الطراز «T» في الصحراء.

وفي اليوم التالي بينما كانت "الآنسة ماغي" متوجهة الى وادي "غراند كانيون" انفجر اطارها الخلفي الايسر بفعل الشيخوخة. وتقضي القوانين بألا يتأخر أي من المتسابقين أكثر من ٤٥ دقيقة بين نقطة مراقبة وأخرى. لذلك نزع هاردينغ بقايا المطاط عن الاطار الحديد الداخلي في حين رفع هيل هيكل السيارة. وقد بلغت حرارة الجو ٤٨ درجة مئوية.

وحلّقت مروحية فوقهما، ووصلت عربتان تنقلان فريقاً من موظفي التلفزيون الياباني.

خاطب رئيس الفريق الرجلين: "مرحباً! ما نوع هذه السيارة؟"

واذ نظر هيل الى ساعة التوقيت أجاب هاردينغ بلباقة أهل مسيسيبي: "الآنسة ماغنوليا هي فورد «T» من صنع العام ١٩١٣."

وسأل المدير الياباني: "كم تبلغ سرعة ماغنوليا؟"

فجأة اندفع أربعة مصورين داخل السيارة وتحتها مع أجهزة صوت وعاكسات ضوء وآلات تصوير.

ومن دون التوقف عن العمل تابع هاردينغ الاجابة عن الاسئلة وعلى وجهه مسحات من الغبار الأحمر. وبدأ هيل يشعر بتوتر إذ كانت لباقة شريكه تكلفهما دقائق ثمينة. وأخيراً انصرف فريق التصوير وعادت "الآنسة ماغي" الى السير. وحسب هيل الدقائق التي استهلكاها فكانت أقل من ٤٥ بقليل. وفي تلك الليلة قرأ هيل مذكرة ملصقة على لوح في مخيم قرب غراند كانيون كتب فيها: "لم يتأهلا لمتابعة السباق."

فتش هيل عن هاردينغ فوجده قرب السيارة يعمل على اصلاح صماماتها. لقد اشتركا في السباق لاهداف ثلاثة: المنافسة واكمال السباق من دون حوادث

والمتعة. وظن هاردينغ انه يحق لهما التخلي عن أحد هذه الاهداف، فالسباق لم ينته بعد.

وأضاف هيل: "ولم نواجه أي مشكلة."

الى نيويورك – في اليوم الثالث تعطل جهاز قياس السرعة في "الآنسة ماغي." فاستعمل هيل ساعة التوقيت واشارات السير الدالة على المسافات بغية حساب السرعة.

انفجر اطار آخر بفعل حرارة الصحراء. واذ كان هاردينغ يغيّر الاطار الداخلي بهدوء توقف احد المتسابقين قربهما وناداهما: "هلّما يا رفيقيّ واركبا معي فالحر شديد." وشكره هاردينغ بلطف وعاد الى عمله.

توقف فريق التصوير الياباني ثانية خلف "الآنسة ماغي" وقفز أعضاؤه لالتقاط الصور.

وفي ريتشموند بولاية إنديانا اقتيدا الى مدرّج يضم ٥٠٠٠ شخص حيث كرّمتهما فرقة غنائية شعبية معروفة.

وفي أوهايو جاءت حشود أكبر لمشاهدة الرجلين الذائعي الصيت. وتنافس محافظو المدن وقادة الكشافة على مرافقتهما في جولات على الاقدام.

وفي ٥ يوليو (تموز)، اليوم الحادي عشر للسباق، ترك المتبارون ويلكس – بار في بنسيلفانيا في اتجاه مدينة نيويورك. وخسر هاردينغ وهيل إطاراً آخر وتخلفا ساعة كاملة لكنهما اجتازا نهر هدسون. واذ أدهشتهما مناظر نيويورك الخلابة أضاعا المخرج الذي يوصلهما الى مانهاتن السفلى ووجدا انفسهما في شارع طويل مكتظ بأبنية سكنية حقيرة.

وصرخ هيل: "أين نحن؟"

فأجابه صوت: "في هارلم(★)."

قبل تسعة أيام كان هاردينغ قرر أن يرفع علم ولاية مسيسيبي على سيارته. ولكن لم يبق من العلم سوى الرمز. وفيما توجه هاردينغ وهيل الى قلب المدينة ملوحين بأيديهما، وجدا سكان هارلم (الذين قد يكنون كراهية للبيض الآتين من الجنوب) متجاوبين معهما كما سكان دالاس وانديانابوليس وكولومبوس، فأقبلوا على مصافحتهما وتشجيعهما.

بعد اجتياز ١٠٦٣٤ كيلومتراً وثقب اطارين وانفجار خمسة اطارات داخلية وتعطل أربعة صمامات للعادم وانقطاع حزام المروحة، بلغ هاردينغ وهيل خط الوصول في مانهاتن السفلى في أول سيارة عادية من الطراز «T» من دون قطر.

وكان توم ماكري المدير التنفيذي للسباق نصح راندي هاردينغ بعدم الاشتراك في الطراز «T». الا أنه قال بعدئذ: "أنا مسرور لما فعلاه. فلب السباق يكمن في رفقة الطريق والمجازفة والشجاعة. ولم يتمتع أي فريق بهذه المقومات أكثر مما تمتع الرجلان الآتيان من مسيسيبي."

جاي باريس

(★) هارلم هو حي السود في نيويورك.

لیس للتفوّق بديل. حتى النجاح يقصر عنه. ت.ب.

منطقة كوربي الحره
في بريطانيا
كما تبدو من الجو.

المناطق الحُرّة تغزو العالمْ

هذه المناطق اصبحت، بفضل خفض الضرائب على الشركات والغاء الروتين الحكومي والتعريفات الجمركية، تستأثر بعشرة في المئة من التجارة الدولية...

بعد اقفال مصانع الصلب في مدينة يونغستاون بأوهايو وسط الولايات المتحدة، لتعذر توفير العمل لآلاف العاطلين، شاع في المدينة جو من اليأس. ثم في ربيع ١٩٨٦، اتصل أحد الاساتذة المحليين ويدعى دنكان هول برئيس مجلس مقاطعة كوربي في بريطانيا سائلا: "ما هو، على وجه الدقة، سر كوربي؟"

وكوربي منطقة صناعية يبلغ عدد سكانها ٥٥ ألفاً وتبعد قرابة ١١٠ كيلومترات عن لندن، وقد شلتها نسبة بطالة بلغت ٣٥ في المئة. لكنها سرعان ما وجدت سبيلا الى اعادة تشغيل آلاف الأشخاص. وبيّن هول كيف حدث ذلك في محاضرة معززة بشرائح مصورة. الشريحة الأولى اظهرت مصنع كوربي الكئيب مغلقاً. وهو الذي كان قلب أحد اكبر

مجمعات صناعات الصلب في اوروبا. وعرضت الشريحة الثانية قطعة الأرض المهجورة بعد إزالة المصنع.

وتلتهما شريحة اثارت شهقات صاخبة: ١١٣ هكتاراً ملأى بالمصانع الحديثة، وقد استوطنتها نحو ٣١٠ مشاريع صناعية تنتج سلعاً مختلفة تراوح بين الصابون والمراكب. ووجد ثلثا العاطلين عن العمل والبالغ عددهم ١٣ ألفاً، وظائف. وثمة مصانع ووظائف أخرى في سبيلها الى النشوء.

ما سر كوربي؟

لقد انشأت السلطات المحلية على أرض المصنع القديم "منطقة حرة" وهي منطقة تلقى معاملة حكومية خاصة فتتيح الضرائب المخفوضة والقوانين غير الصارمة، لمدة اقلها عشر سنين، ادارة صناعات ومشاريع بكفاية اكبر. بايجاز: لقد اوجدت السلطات هناك هونغ كونغ صغيرة بتوفيرها ظروفاً اقتصادية حرة أحالت تلك "الدولة الصغيرة" مركزاً تجارياً عالمياً.

بعث هونغ كونغ - انبثقت فكرة المشروع البريطاني عام ١٩٧٧ لدى الاستاذ الجامعي بيتر هول الذي لا تربطه صلة بكوري هول، وذلك بعدما عاين الاقتصادات الحرة النشطة في محيط آسيا، فقال موصياً: "اعيدوا بعث هونغ كونغ الخمسينات والستينات في مناطق صغيرة مختارة من المدن الداخلية، وراقبوا ما سيحدث."

لم يتبن الفكرة البريطانيون وحدهم. فثمة الآن ما يزيد على ألفي منطقة حرة في العالم، بعضها جديد وبعضها ذو سجل حافل بالنشاط والنجاح. وهذه المناطق الموزعة على كل القارات، تتفاوت مساحتها من بضع مئات من الامتار المربعة إلى عدة مئات من الكيلومترات المربعة، وهي ذات انماط مختلفة. وقرابة ثلثي المناطق الحرة في الولايات المتحدة وبريطانيا وبلجيكا وفرنسا، تشبه اساساً منطقة كوربي، اذ هي تجتذب الاستثمارات باعفاء المصانع والآلات الجديدة من الضرائب على الشركات، اضافة إلى الاعفاء من رسوم الاراضي وما اليها.

وهناك مناطق أخرى تمتد من كوريا الجنوبية الى كوستا ريكا ومن تركيا إلى تايوان، وهي اما موانىء حرة واما مناطق للتجارة الحرة تنشأ في احرام المرافىء او المطارات وتوفر حوافز اضافية باعفائها البضائع التي تخزن فيها من الرسوم التي تفرض عادة على المستوردات. واخيراً ثمة "مناطق صناعات التصدير" تصنع فيها او تجمع القطع المستوردة المعفاة من الرسوم من اجهزة التلفزة والسيارات والسلع الأخرى المعدة للتصدير.

ويقول عالم الاقتصاد الأمريكي والتر دايموند: "هذه المناطق، اياً يكن شكلها، هي مؤشر الى المستقبل. انها تساهم اليوم في عشرة في المئة من التجارة الدولية وتساوي قرابة ١٦٠ مليار دولار، ويقدر لهذا الرقم ان يتضاعف بحلول السنة ١٩٩٠."

ويرى عالم الاقتصاد الفرنسي دانيال لاليمان ان "ثمة اعداداً متناقصة من المنتجات ذات الهوية الايطالية أو

الامريكية أو المكسيكية الكاملة. والمناطق الاقتصادية الحرة تصلح مكاناً لتدويل الصناعات من طريق توفير مثل هذه المنتجات خارج البلدان التي تنشأ فيها." ومثال ذلك فإن مصنع سيارات فولكسفاغن الواقع خارج مدينة بتسبرغ الأمريكية، ينتج سيارات لسوق امريكا الشمالية، وتجمع فيه قطع المانية ومحركات مكسيكية واطارات برازيلية، في هياكل امريكية. وهكذا توفر الشركة ٢،٥ في المئة من كلفة القطع التي كان ينبغي استيرادها كلها من المانيا والمقدرة قيمتها بملايين الدولارات لـ١٠٠ ألف سيارة منتجة سنوياً. ويعزى ذلك إلى أن الشركة تدفع رسوماً اقل على قطع كهذه اذا تم تجميعها في الولايات المتحدة. في المقابل، تحصل مدينة بتسبرغ على ٢٥٠٠ وظيفة في عملية التجميع، اضافة إلى تشغيل نحو ٦٠٠ شركة امريكية تزود فولكسفاغن التجهيزات اللازمة.

ويعرب المستشار الاقتصادي مارك فرايزر من مكتبه في واشنطن، عن اعتقاده ان "المناطق الاقتصادية الحرة بدأت تؤثر على السياسات الحكومية. فبدلا من توزيع البيانات والنشرات الحكومية، يعمد السياسيون الآن إلى ايجاد مناطق غير خاضعة للتدخل الحكومي."

المحطة الالمانية – وللقيود المخففة أثر لدى المستثمرين يماثل أثر الغاء الضريبة ورسوم الاستيراد. وفي بريطانيا انشأت رئيسة الوزراء السيدة مارغريت

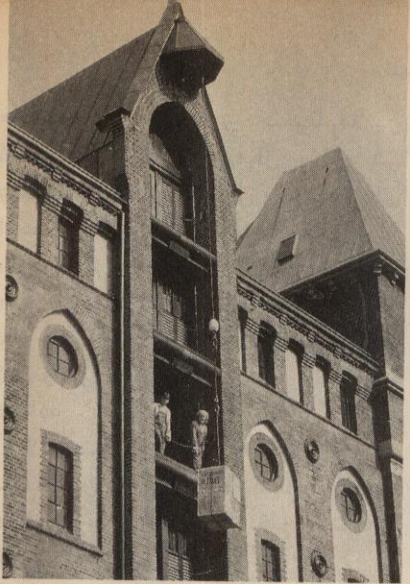
Michael Bassler

تحميل صاديق الشاي في ميناء هامبورغ الحر.

تاتشر ٢٥ منطقة حرة كجزء من برنامج حكومتها للانعاش الاقتصادي، وقد أدى ذلك إلى تقليص الروتين الحكومي. وتخطط فرنسا لانشاء ثلاث مناطق حرة بغية ايجاد وظائف للعمال المسرحين من احواض السفن في دنكرك وتولون – لاسين واوبان – لاسيوتا.

ولتأجيل دفع الرسوم في الموانئ الحرة جاذبيته. فموظفو الجمارك في المانيا الغربية يعاملون ميناء هامبورغ الحر الذي تبلغ مساحته ١٦ كيلومتراً مربعاً، كمنطقة اجنبية. ولا تستوفى اي مكوس حتى تنقل البضائع، عبر نقاط التفتيش، إلى مناطق أخرى من البلاد. وفي أحد المستودعات القرميدية التي ترقى إلى القرن التاسع عشر والمشرفة على رولكفال يظهر ناظر الميناء هانس جواكيم سيبرت اهمية ذلك الوضع، فيفتح باباً يفضي إلى حجرة تتكدس فيها

سجاجيد شرقية تساوي قيمتها ملايين الماركات الألمانية ويسأل: "هل في وسعكم ان تقدروا ما كان سيتوجب على المستوردين ان هم دفعوا ما يعادل ستة ماركات في المتوسط لكل متر مربع من هذه البضاعة عند انزالها من السفن؟" وهو يشير إلى المال المستلف وفوائده لاشهر أو لسنين في انتظار بيع آخر سجادة.

لا عجب اذاً ان ميناء هامبورغ الحر قد سلب لندن معظم تجارة السجاد الخاضعة هناك لرسوم جمركية اكثر ارتفاعاً ولروتين حكومي متشدد. إلى ذلك، يمر قرابة ١٢ في المئة من البن الاخضر في العالم عبر الميناء الالماني في سبيله إلى محامص اوروبا. ويحل هذا الميناء ثانياً بعد روتردام في استيراد الشاي إلى اوروبا. وتستعمل اوتوفيرساند، المؤسسة التجارية الكبرى ذات الفهارس المصورة في المانيا الغربية، مستودعات هامبورغ لخزن احذية كرة المضرب والغسالات وآلاف الأجهزة المستوردة، وبذلك ترجىء سداد اي رسم حتى تغادر البضائع الميناء الحر في طريقها إلى الاسواق.

لكن ميناء هامبورغ ومرافىء حرة أخرى تقوم بنشاطات تتعدى خزن البضائع. فهي تتولى اعمال التفريغ واعادة الرزم والفرز ومراقبة النوعية والتجميع مما يزيد من قيمة مستورداتها. وإلى هامبورغ ترد القطع من اليابان، وتغادره الدراجات النارية الى بقية انحاء اوروبا الغربية. ويستحيل الخشب اللبابي الفنلندي ورقاً، وزند الخشب الواحاً منشورة. كما تنزل فيه الحبوب والطحين.

الطيران والصناعة - قد يتجاوز التأثير الاقتصادي للميناء الحر المناطق القريبة وهذه هي حال مطار شانون الواقع خارج دبلن في ايرلندا. فهو أول مطار حر ومنطقة صناعية حرة تبتكر ما يسميه علماء الاقتصاد "التصنيع من اجل التصدير."

عام ١٩٥٨ شرعت الطائرات النفاثة البعيدة المدى اي تلك التي لا تتزود الوقود خلال قطعها المسافة بين نقطتي الانطلاق والوصول، في التحليق فوق شانون في رحلاتها بين امريكا وأوروبا. وقد علق النائب الايرلندي جايمس ديلون على ذلك نائحاً: "سنحظى بارانب تلهو على المدارج."

الا ان بريندان اوريغان، مدير الحانوت الشعبي المعفى من الرسوم في المطار، كان سابقاً زمانه آنذاك. فهو قال باصرار: "ينبغي ان نقنع اصحاب المعامل باقامة منشآت هنا." وعلى رغم التشكيك انشئت شركة تنمية مطار شانون الحر الحكومية ووضع لها نظام ادارة مستقلة اسندت الى اوريغان. وسرعان ما انطلق هذا الرجل، واعضاء فريقه المساعد، يقرعون ابواب أصحاب المصانع العالمية مقدمين حوافز تراوح ما بين المصانع الجاهزة للايجار والهبات النقدية لعمال القطارات.

آتت المغامرة ثمارها، فقد امّ المصانع الجديدة في الميناء الحر المحيط بالمطار، طليع الاسماء اللامعة في دنيا الصناعة: شركة "دي بيرز" مصنعة الالماس الصناعي، شركة "جنرال الكتريك" صانعة الصمامات الالكترونية

لاجهزة التلفزة، شركة "وستنكهاوس" العاملة في صنع مقاييس الضبط الالكترونية وشركة "وانغ" العاملة في تجميع اجهزة الادمغة الالكترونية. واليوم ثمة ما يربو على ٩٠ شركة تستخدم نحو ٤٥٠٠ شخص، كما ان ٩٠ في المئة من الانتاج الاولي لهذه المنطقة الحرة يصدّر إلى السوق المشتركة في شكل رئيسي.

لم تحظ فكرة في ايرلندا بالدعم الذي حظيت به فكرة التصنيع للتصدير. ففي ١٩٦٢ دعي اوريغان إلى تايوان، وما لبثت ان زارت شانون خمس بعثات صينية. آنذاك كانت نسبة ٦٠٪ من الصادرات التايوانية زراعية، أما اليوم ففي تايوان ثلاث مناطق صناعية حرة تنتج ما يزيد على ثلث القطع المستعملة في الصناعة المزدهرة لانظمة الادمغة الالكترونية ذات الذاكرة، إضافة إلى ألواح الدوائر المطبوعة والتلفزيونات الملونة وأصناف أخرى غيرها.

ويرى باسكال لورو، الخبير الفرنسي في شؤون المناطق الحرة ان المليوني فرصة عمل التي وفرتها هذه المناطق في العالم، اساسية لازدهار الاقتصادات الناشئة في العالم الثالث ونموها. وهو يقول: "الآن ثمة قرابة ٥٠٠ ألف يعملون في المناطق الحرة بأمريكا اللاتينية، ويتوقع ان يتضاعف هذا الرقم بحلول السنة ٢٠٠٠."

وقد تكون المواقع غير المرغوب فيها في دول العالم الثالث اماكن مثالية تنشىء فيها الشركات او المصانع متاجر ومعامل، شرط توافر حوافز الميناء الحر. عندما طار المستشار في البنك الدولي كارل غوديريز إلى بيليز عام ١٩٨١، عثر على دغل حار رطب في الساحل الشرقي بامريكا الوسطى حيث الاجور أعلى من مثيلتها في المكسيك. وفي ١٩٨٦ حين طلب من احدى الشركات اعداد دراسة عن الجدوى الاقتصادية لانشاء منطقة حرة في بيليز، تساءل غوديريز عما يدعو المستثمر إلى توظيف ماله في ميناء حر هناك. وقد زودته الخريطة التي في حوزته جزءاً من جواب. فبيليز موقع ممتاز لصنع السلع الاولية والوسيطة الآتية من جنوب المكسيك وتحويلها منتجات نهائية جاهزة للشحن من دون رسوم إلى الولايات المتحدة او السوق المشتركة.

حظوظ امريكا اللاتينية - ادرك رجال المال والاعمال الآخرون جاذبية امريكا اللاتينية كمنطقة حرة يرجى لها النجاح. وعندما تعذر على حكومة كوستاريكا اتمام مناطق ساحلية مخطط لها، منحت الأرض الصناعية الواقعة خارج العاصمة سان خوسيه، والتابعة للشركة الايطالية غروبوزيتا، الوضع القانوني للمنطقة الحرة. وهي تؤجر الآن وتبيع مساحات في المصانع إلى اصحاب المعامل. وعلى نحو مشابه، انفقت المجموعة الامريكية المختلطة المسماة "الصناعات الخليجية والغربية" تسعة ملايين دولار لانشاء منطقة حرة في جمهورية الدومينيكان، واستعادت هذه الكلفة من الايجارات التي دفعها صانعو الألبسة والتجهيزات الطبية وقطع غيار السيارات. وهم استخدموا اكثر من ٩٥٠٠ عامل.

وآخر تطور في المناطق الحرة ذو فائدة لدول العالم الثالث هو معالجة المعلومات لا البضائع. وفي وقت قريب سيفاجأ الكثيرون في الولايات المتحدة ممن يتصلون مجاناً بارقام هواتف تابعة للفنادق أو لسيارات الأجرة أو لمكاتب حجز مقاعد في الطائرات، اذ سيتلقون ردوداً على مكالماتهم الهاتفية بانكليزية ذات لكنة كاريبية. وتجري منطقة ميناء حر Teleport في جامايكا مزودة هوائياً خاصاً بها يتصل بقمر اصطناعي، ترتيبات من اجل تأمين خدمات الحجز هذه. ويصرح ادوارد سيغا رئيس وزراء جامايكا: "ستوفر لنا هذه الطريقة ١٠٠ ألف وظيفة جديدة." كما سيتمكن المسافرون الناطقون الاسبانية من الحجز في ميناء حر مماثل في الدومينيكان.

ويدعي منتقدو المناطق الاقتصادية الحرة بأنها تستأصل الأعمال من جزء من البلاد لحساب جزء آخر. غير ان المروجين للخدمات في كوربي يرون ان قسماً لا بأس به من تجارتهم الجديدة يجتذب من خارج البلاد، من اوروبا والولايات المتحدة على نحو خاص. كذلك ثمة معترضون على التنازل عن الضرائب معتبرين انها "هبات سخية." لكن الامر لا يبدو كذلك بالنسبة الى اوريغان في شانون "فاذا ما استمر عمل احدى الشركات هناك ثلاث سنوات، فان ما تخسره الحكومة من ضرائب دخل على الشركات تعوضه الضرائب على الدخل الفردي والمبيعات، وهي تستوفى من الاشخاص العاملين في المناطق الحرة."

وبفضل مزايا المناطق الاقتصادية الحرة، تخطط اعداد متزايدة من الدول، بينها اوستراليا وكينيا ويوغوسلافيا، لانشاء مناطق خاصة بها. ولا تجد المناطق الجديدة صعوبة في استقطاب شركات تلتمس مواطىء قريبة من أسواقها. يقول لاليمان: "المنطقة التجارية الحرة قاطرة اقتصادية في وسع الجميع ان يكونوا في طليعتها، بمن فيهم الشركة والبلد المضيف والأجير."

دونالد وديانا ستروتزل

الصغيرة والدكتور

خلال سنتي الثانية في كلية الطبّ كنت وزملائي الطلاب نرسل إلى أجنحة المستشفى لنتعلم فن المعاينة الجسدية. وكانت مهمتي الاولى معاينة امرأة مسنّة ترافقها حفيدتها. وعلى رغم الجهود الحثيثة التي بذلتها لفحص شبكية عينها بواسطة المعيان، لم أستطع أن أرى سوى غشاء ضبابي. وبعد محاولات عدّة ربتت الفتاة الصغيرة كتفي وقد كانت تراقب محنتي بصمت وهي واقفة عند مؤخر السرير. ثم قالت لي: "انك تنظر في عين جدتي الزجاجية يا دكتور."

ب.ف.

دائرة المعارف

اللغة العربية حافلة بكلمات سهلة وظاهرة الوضوح لكنها في الحقيقة مغلقة على كثيرين. هنا كلمات من هذه، منتقاة من الاعداد الاربعة الاخيرة من "المختار". وقد وُضع أمام كل كلمة أربعة معان، واحد منها صحيح. وعلى القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره صحيحاً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. **ازدرد:** احتقر - بلع سريعاً - ادّخر - لبس درعاً.
٢. **مشادّة:** دعوة - تهديد - طريق في الصحراء - مغالبة.
٣. **ذريع:** سريع وفظيع - معذور - فصيح - طويل الذراعين.
٤. **فشا:** انفتح وانفجر - عامَ - انتشر وذاع - قَشَر.
٥. **حاضرة:** قرية - مدينة كبيرة - واحة - قصر عظيم.
٦. **آثَرَ:** طلب الثأر - أودع سراً - حبس - اختار وفضّل.
٧. **تنحّى:** اعتزل - همهم - اعتلى - سعل في الكلام.
٨. **نضح:** أفشى - تكلم حسناً - نزف - رشح.
٩. **ضالّة:** عروس - شيء مفقود - هدية - فرس وحشية.
١٠. **شعواء:** عجوز - متفرقة ممتدة - مجنونة - كثيرة الشعر.
١١. **لغا:** تحدث كالاطفال - تكتّم - غنّى - تكلّم.
١٢. **شماتة:** فرح ببلية الغير - سرقة - تجعد الوجه - عبوس.
١٣. **أثخن:** أقسم - أصبح بديناً - بالغ - أضجر.
١٤. **مطموس:** مدفون - ممحيّ - مظلوم - غارق.
١٥. **غطيط:** نخير - صوت الوطواط - تثاؤب - من الطيور.
١٦. **سخام:** سواد القدر - سهام مبريّة - لعاب - غبار.
١٧. **يروغ:** يزبد - يذوب - يختفي - يذهب هنا وهناك.
١٨. **اتفاقاً:** قصداً - في وقت محدد - عَرَضاً - بين حين وآخر.
١٩. **تلبَّس:** تلفّت - اختلط وأشكل - خاف - وارب وغدر.
٢٠. **صبا:** أنعم النظر - أصاب - حنَّ - بلغ سن الصبا.
٢١. **صَقَع:** فوجىء - تملكه الغضب - هلك - ذهب.
٢٢. **ضعضع:** تكلّم هذراً - شقَّ بسكين - رمى - هدم.
٢٣. **أنمش:** ذو نمش - أحمر البشرة - أسمر - أشقر الاهداب.
٢٤. **مَحَق:** داس - كذب - أبطل ومحا - سحق.
٢٥. **ذرّت الشمس:** انكسفت - طلعت - غربت - احتجبت خلف الغيم.

الأجوبة الصحيحة

١. ازدرد اللقمة: بلعها سريعاً. المزْرَد: الحلق والبلعوم.

٢. مشادَّة: مغالبة. شادّه في الامر: غالبه وقاواه.

٣. ذريع: سريع، فظيع. موت ذريع: سريع. يقال: قتلهم أذرع قتل، أي أسرع قتل وأفظعه.

٤. فشا خبرُه: انتشر وذاع. تفشى المرض بالقوم: كثر فيهم.

٥. الحاضرة: المدينة الكبيرة. الحَضَري: خلاف البدوي.

٦. آثره: أكرمه واختاره وفضله. رجل أثير: مكرّم مكين.

٧. تنحّى عن موضعه: اعتزل. انتحاه: قصده.

٨. نضح: بلّ ورشّ وعرق. نضح الاناء: رشح.

٩. الضالّة: الشيء المفقود الذي تسعى اليه. الضلالة: الباطل والهلاك.

١٠. غارة شعواء: متفرقة ممتدة. شجرة شعواء: منتشرة الاغصان.

١١. لغا بالامر: تكلّم به. لغي بالامر: لهج به.

١٢. الشماتة: الفرح ببليّة الغير.

١٣. أثخن: بالغ. أثخن في الاعداء: بالغ وغلظ في قتلهم. أثخنته الجروح: أوهنته وأضعفته.

١٤. طمس: بعُد. أيضاً: درس وانمحى. المطموس: الممحي.

١٥. الغطيط: النخير. غطّ النائم: نخر في نومه. الغُطاط: أول الصبح.

١٦. السخام: الفحم وسواد القدر. أيضاً: الريش اللين تحت أجنحة الطير.

١٧. يروغ: يذهب هنا وهناك. راغ عن الطريق: حاد عنه مكراً وخديعة.

١٨. اتفاقاً: عَرَضاً. اتفق الامر: وقع عَرَضاً.

١٩. تلبَّس: لبس أي ارتدى. تلبَّس عليه الامر: اختلط واشتبه وأشكل.

٢٠. صبا إليه: حنّ.

٢١. صَقَع: ذهب. يقال: لا أدري أين صقع.

٢٢. ضعضع: هدم. تضعضع: خضع وذلّ وضعف جسمه من مرض أو حزن.

٢٣. وجه أنمش: ذو نمش، والنمش بقع في الجلد.

٢٤. مَحَق: أبطل ومحا. أيضاً: أهلك. امَّحق: اضمحلّ. المحاق: آخر الشهر القمري.

٢٥. ذرَّت الشمس: طلعت.

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز
١٤ - ٢٠: جيد جداً
٩ - ١٣: مقبول

عُنوانُ الحُبّ

لم تورث أبناءها الثلاثة سوى ثلاث رسائل ومع ذلك أعطتهم كل شيء

لو لم تكن جولي هي الفقيدة لأحبت تلك الجنازة. فها هم أبناؤها الثلاثة جالسون جنباً الى جنب في المقعد الامامي.

ستيف هو الابن الاوسط، جاء في الطائرة من المدرسة منتعلا حذاء الهرولة المخطط بالأحمر والأبيض والأزرق مع بذلة بنية من ثلاث قطع.

كان من الصعب التصديق أن جولي ماتت في السن الثامنة والأربعين ضحية سرطان قضى عليها بسرعة.

أما تشاك، وهو الأكبر سناً بين أخوته، فكان في منزله حين اتصلت به جدته تبلغه الخبر. وكان كل ما عرفه حتى ذلك الحين أن والدته "تعبة قليلا."

وكانت الفقيدة شديدة الفخر بابنها الذي لقبته "قرصان التلفزيون." وهو في الواقع يشغل وظيفة مدير مسرح في برنامج هزلي تلفزيوني. لكنه يحمل شهادة جامعية في الفنون السينمائية ويفهم عالِمها. وفي كل مرة التقيا لم يكن يتمالك عن التبجح. وفي زيارته

Condensed from «Motherhood: The Second Oldest Profession,» copyright © 1983 by Erma Bombeck, used by permission of the Aaron M. Priest Literary Agency, Inc., New York

الاخيرة سألها عن آخر فيلم شاهدته. فسمَّت له الفيلم وأضافت أنها أحبته كثيراً. فقال لها: "آه، لكنه لم يسجل موقفاً واضحاً ومميزاً."

كيف تصرف على هذا النحو من العجرفة؟ اليوم فات أوان تقديم الأعذار. وتحسّس بأنامله رسالة والدته في جيبه وفتحها للمرة العاشرة. كانت رسالتها الأخيرة إليه:

عزيزي تشاك،

بما أن هذه الرسالة لن تراها الا عيناك، أستطيع القول إنك كنت الأحب إلى قلبي أبداً.

ربما لأنك أول أعجوبة تحركت في أحشائي وأول تلميح صريح إلى خلودي.

كنت جزءاً من السنوات الرغيدة التي عشتها ووالدك. ذلك الجزء الذي جمع الضحكة إلى الفقر والدفء إلى البرد والنجاح إلى الخيبة.

كنت النموذج الأصلي. وقد يكون الذي جاء بعدك أحدث فقاقيع أكبر أو تجشأ بصوت أعلى أو نطق في وقت أبكر أو مشى أسرع. لكنك أنت الذي فعلت كل ذلك أولا.

ولربما عانيت قليلا افتقارنا الى الخبرة في شد حفاضاتك والحمّامات الخرقاء والوقاية المفرطة، لكنك حظيت بما هو أفضل من ذلك، حظيت بصبرنا وقوتنا وفتوتنا.

نلت منا الجزء الذي يشكّل أفضل ما استطعنا تقديمه. وهو كفاحنا وتغلبنا على المصاعب. كنت تجمع الزجاجات الفارغة لتبيعها وتؤمّن المال الكافي لحضور الأفلام السينمائية. كنت ستة مجلدات من صور الأطفال. كنت زيارات عاجلة للطبيب تنتهي بدواء لسوء الهضم. كنت لحم الغنم المدقوق للاطفال. كنت البداية (...) كنت مطلوباً، وكنت محبوباً.

أمك

الاوسط المخالف

طوى تشاك الرسالة عاجلا اذ اقترب منه ستيف وجلس بجانبه. وبادر تشاك أخاه: "حذاؤك جديد، أليس كذلك؟"

تنفس ستيف عميقاً وهز رأسه وحاول التركيز على أي شيء الا شقيقه. فهو لم يعد يقوى على النظر إلى تشاك منذ قرأ رسالة أمه اليه. انه لم يكن يدرك إطلاقاً أنها تكن له مثل هذا الشعور.

كدّ ستيف جاهداً للخروج على جماعته. فكلما أفسد الأمور كانت أمه تأخذه على حدة وتعبّر له عن تفهم العائلة، وإن لم يكن الواقع كذلك، كما في عطلة نهاية الاسبوع تلك حين غاب الجميع عن المنزل وتركوه في عهدته.

فلماذا لم تفقد صوابها كما الأمهات الأخريات حين سألته ليلة عادت إلى المنزل: "هلا أخبرتني بما حدث؟"

فرد: "وما الذي يجعلك تعتقدين أن أمراً ما حدث؟"

أجابت: "وجود ثلاثين من الجيران في حديقتنا وهم في ملابس النوم ينظرون الى سيارات الشرطة داخل حرم منزلنا."

- لقد أقمت حفلة.

"لكن تقرير الشرطة يفيد بارتكابك المخالفة ٧٤٦".

- وما هي هذه المخالفة؟

"سأقرأ لك ما ورد في التقرير: إقفال

الطريق لعرض غير مصرّح به. إيقاف غير مشروع لمرحاضين نقالين في مرأب السيارة الملحق بالمنزل. احتجاز مدير مدرسة عنوة. تجمّع غير قانوني لنحو ١٥٠ شخصاً في منزل مبني لايواء عائلة واحدة."

لماذا كان على هذا الجانب من الغباء؟ كلمة اعتذار واحدة كانت كافية لان تغفر له. لكنه لم يستطع التفوّه بها. واليوم لم تعد هذه الفرصة متوافرة. وتحسّس رسالتها. كيف عرفت حقيقته إلى هذا الحد؟

عزيزي ستيف،

إذا كنت شككت في الأمر، فإنني سأقوله لك في أي حال. لقد كنت الأحب إلى قلبي أبداً.

وشاء القدر أن تفوز بالمركز المزعج لكونك الثاني بين أبناء العائلة. ولكن بدلا من أن تستسلم كنت الأقوى. كم أعجبت بنشاطك واستقلاليتك ونفاد صبرك. لقد ارتديت ملابس عتيقة ولعبت بدمى محطمة ولم تفعل أي شيء أولا. لكنك سموت فوق كل تلك الأمور.

كنت الابن الذي استرحنا معه واستمتعنا. فأنت من جعلنا ندرك أن الكلب إذا قبلك على شفتيك فلن تموت، وإن فاتتك القيلولة فلن تمرض (...).

كنت جزءاً من سنوات طموحنا الحافلة بالانشغال بحيث اختلطت علينا الأولويات والقيم. فكنت تذكرنا بما كنا وتعيدنا إلى الصواب كلّما حدنا عنه. كنت الوليد الذي "أنزل الابن البكر عن الرف."

كنت من يدقّق في رصيدنا المصرفي حتى لم يبق فيه سوى ٢٧ سنتاً. كنت لنا المنزل الجديد الذي لم نستطع شراءه. فأنت الذي كنت تبقى في البيت ليلة كل سبت. لقد أنقذتنا من الضجر وعززت رغبتنا في الحياة.

كنت الثبات وكنت محبوباً.

أمك

الاصغر الصبور

نظر تيم إلى شقيقيه من بعيد قبل أن يسير في اتجاههما. كانت بذلته ضيقة، فهو في الرابعة عشرة من عمره وثيابه سرعان ما تضيق عليه.

شعر بالأسف لشقيقيه، إذ غاب عنهما جانب من أمه لم يعرفه سواه. فحين عاشوا في المنزل كانت هي تعطي وهم يأخذون. أما في السنة الماضية فقد أعطى تيم أمه العاجزة إلاّ عن القبول. لحسن حظه توافرت له في تلك السنة فرصة لتعويض كل ما سبّبه لها من أسى.

لقد كره فكرة كونه "الطفل". رفض الاشارة إليه على أنه "عائلتنا الثانية." عاش في منزل كان كل ما يفعله فيه والداه اتباع الحمية وحضور البرامج الوثائقية على التلفزيون.

شقيقاه حظيا بكل شيء: أب يمارس كرة القدم بعد العشاء وأم منشغلة بحيث لا تجد وقتاً لترتيب ما يحضره زوجها وابناؤها من صور لاعبي البيسبول البارزين وحفظها في ملفات.

على مدى السنة الماضية تحدثا ملياً في موضوع الاستياء الذي يشعر به، والرسالة التي تركتها له والدته فسرت كل شيء:

عزيزي تيم،

لا يجدر بالام أن تفضل ابناً على آخر، لكنك كنت الاحب إلى قلبي.

ففي وقت أحسست ووالدك أن الشباب ولّى جئت تذكرنا بأنه تبقّت لنا قدرة على العطاء. كنت الدافع الى استعمال صباغ الشعر وحفز خطانا ورفع مناكبنا وإعادة قوة النظر إلينا وبعث روح المرح فينا من جديد.

كنت الفرصة الثانية للتمتع بمعجزة الحياة.

وقد شاءتك المصادفات وارثاً لمضارب البيسبول المحطمة والقطارات المعطلة والبراد المليء باللبن وحيـاة حفلت أواسطها بالأزمات وكتاب أطفال لا يحوي سوى لائحة المقادير لاعداد فطيرة بالتفاح.

كنت الوارث لأمر لم يرد في خاطرنا إطلاقاً وهو أننا عرضة للموت.

معك أطحنا القواعد وخبرنا ماهية الطفل وكأننا نراه للمرة الأولى، فأحسسنا بحب يعجز المرء عن وصفه.

أحببتك للصبر الذي أظهرته والذي يتمتع به ابن الخامسة والثلاثين، وللحنان الذي يبديه إبن التسعين، وللروح العملية التي يتسم بها ابن الخمسين. وأكثر من ذلك أحببت فيك ابن السنوات الأربع عشرة التي تحملها بانزعاج ولكن بفخر.

كنت الذروة وكنت محبوباً.

أمك

ومع تلاشي الانغام الأخيرة الحزينة خرجت امرأتان من الباب الخلفي وقالت إحداهما: "ألا تسلخ القلب رؤية هؤلاء الفتيان وقد حرموا أمهم؟" فاقتربت منها رفيقتها وهمست في أذنها: "سمعت أن فاتورة المستشفى كلّفتهم كل ما يملكون. انها لم تترك لهم شيئاً."

إرما بومبك

سامي وأمه

سامي فتى في السابعة عشرة من عمره أمضى سنوات فتوّته وهو يعد نفسه للاشتراك في سباقات الدراجات. وتابع تمرينات قاسية في نادي الدراجات الذي ينتسب اليه.

وجاء يوم تقرر أن يشترك سامي في أول سباقٍ حقيقي. فرافقه والداه الى نقطة الانطلاق وهما يسديان اليه نصيحة آخر دقيقة. ولما أعطيت اشارة الانطلاق صرخت الام: "انتبه يا سامي، لا تسرع كثيراً."

ر.ل.

غداء البريد

ساعة ازدحام الظهيرة توجه شاب أنيق نحو علبة بريد. كان يحمل في إحدى يديه رزمةٍ رسائل ويمسك باليد الاخرى غداءه وهو علبة دجاج مشوي. وما كان من صاحبنا، وقد تقطّب جبينه من شدة التركيز، إلا أنه وضع طعامه بتأن في علبة البريد. ولما أقفل غطاء العلبة وقف يحدّق بارتياع إلى الرسائل التي بقي قابضاً عليها في يده الأخرى.

ب.و.

نظرة سريعة فاحصة الى مفاجآت الطقس

طرائف وأرقام من تشيرابنجي إلى فرناندو دو نورونها

الأمطر

اذا ذهبتم للتنزه في سيلاوس فخذوا معكم أنبوباً للتنفس تحت الماء. فهذه المستوطنة القائمة في جزيرة ريونيون بالمحيط الهندي تحتفظ بالرقم القياسي العالمي لسقوط المطر خلال أربع وعشرين ساعة، اذ يبلغ ١٨٨ سنتيمتراً.

والبقعة الاكثر تبللا في العالم هي جبل واياليل في جزيرة كواي بهاواي حيث يسقط المطر يومياً وبمعدل ١٢٣٤ سنتيمتراً في السنة. أما في تشيرابنجي بالهند حيث تهب الرياح الموسمية، فبلغ مجموع ما هطل من مطر خلال سنة ٢٦٤٧ سنتيمتراً مما يكفي لتعويم حاملة طائرات ويؤهلها لنيل "جائزة" الطوفان السنوية.

الأجَفّ

لن تحتاجوا الى مظلة اذا أردتم قضاء عطلة في صحراء أتاكاما في تشيلي التي

© 1986 by Peter Stark. Condensed from Outside (October '86), Chicago, Ill.
Illustrations: Sanford Kossin

تمتد ٩٦٥ كيلومتراً. ففيها مواضع لم تنق ماء المطر منذ قدوم الاوروبيين في القرن السادس عشر.

الأظلم

اذا كنتم ممن يفضلون الاماكن المقفلة المظلمة على النور في الهواء الطلق، فانكم تجدون مبتغاكم في جزر رات الواقعة في أقصى الطرف الغربي لجزر ألوشيان قبالة شاطىء ألاسكا، حيث لا تبين الشمس الا ٦٠٠ ساعة في السنة. وبالمقارنة تبدو ولاية نيويورك واحة تتوهج بالشمس ٢٤٠٠ ساعة سنوياً.

وفي شمال ولايتي واشنطن وفرمونت تتلبد الغيوم نحو ٣٠٠ يوم في السنة. أما في القطب الشمالي، بلاد الليل في منتصف النهار، فتختفي الشمس طوال نصف السنة.

الأشمس

الراغبون في اسمرار أجسادهم يمكنهم أن ينقلوا كراسيهم البحرية الى الجهة الشرقية من الصحراء الكبرى في شمال افريقيا حيث تسطع الشمس ٩٧ في المئة من الايام. ويمكنهم التفكير كذلك في سانت بيترسبرغ بولاية فلوريدا حيث بانت الشمس كل يوم بين فبراير (شباط) ١٩٦٧ ومارس (آذار) ١٩٦٩.

الأحرّ

من ينشد الحرارة يجد مبتغاه في العزيزية في ليبيا حيث ارتفع زئبق ميازين الحرارة مرة الى ٥٨ درجة مئوية. ولكم أن تختبروا أيضاً وادي الموت بين

ولايتي كاليفورنيا ونيفادا الذي يباهي بأحر فصول الصيف. ففي أحدى الموجات اللاهبة التي دامت ستة أسابيع بلغت الحرارة ٤٩ درجة مئوية.

الأبرد

في البرد القارس تشعرون بقرصة في الانف وتجمد في الدمع وخدر في أصابع اليدين والقدمين. لكن الحرارة في محطة فوستوك السوفييتية في قارة القطب الجنوبي هي دون ما عرفتم بنحو ٥٦ درجة مئوية. هذه المحطة تحمل الرقم القياسي العالمي: ٨٩،٢ درجة تحت الصفر.

وفي سيبيريا تحدث البرودة القصوى في "القطب البارد" بالقسم الشمالي الشرقي اذ يبلغ معدلها في شهر يناير (كانون الثاني) ٥٠،٦ درجة مئوية تحت الصفر. وبكلمات الكاتب ايفان تانيهل "يتجمد النَفَس ويسقط على الارض كمسحوق أبيض."

الأثبت

من الصعب أن تجدوا مكاناً يتميز بمناخ معتدل ومستقر الى حد الاضجار أفضل من جزيرة فرناندو دو نورونها قبالة ساحل البرازيل التي كانت مستوطنة يرسل اليها المجرمون. فخلال خمس وخمسين سنة بلغت فيها الحرارة القصوى ٣٠ درجة مئوية والدنيا ١٨،٦.

الاكثر تقلباً

لا يمكنكم التكهن بما يجب أن تحملوه في مناخ متقلب كالذي يسود مدينة براوننغ في مونتانا حيث، في العام ١٩١٦ مثلا، هبطت الحرارة ٥٦ درجة مئوية خلال ٢٤ ساعة، من ٧ درجات الى ٤٩ درجة تحت الصفر. وارتفعت الحرارة مرة في سبيرفش بولاية داكوتا الجنوبية من ٢٠ درجة تحت الصفر الى ٧،٢ درجات خلال دقيقتين. وعلى هذا المنوال تختبرون عدة مناخات منذ وصولكم الى الفندق الى أن يحين موعد العشاء.

بيتر ستارك

صور من الحياة

في أثناء التمرين راح الممثل البريطاني الشهير ريتشارد غولدن يطرح على المخرج الجديد أسئلة بريئة في ظاهرها، من نوع: "أيجدر بي أن أعتمر قبعة قديمة بالية؟" و"ألا تعتقد أنه من الأفضل أن ترتدي هذه الشخصية سروالا فضفاضا؟" و "ألا ترى أنه يحسن بهذا الرجل أن ينتعل حذاء مغبراً؟"

وكان المخرج مشغولا بأمور كثيرة أخرى، فأذعن لاقتراحات الممثل المسن. وهكذا فان غولدن، الذي يرتدي في حياته اليومية قبعة بالية وسروالا فضفاضاً وسترة عديمة الشكل وحذاء يكسوه الغبار، كان يصل الى المسرح قبل دقيقتين من رفع الستار، فيعتلي الخشبة معتمراً قبعته، ولا يلبث أن ينزعها ليمثل دوره. بعد ذلك يعتمرها مجدداً ويعود مباشرة الى بيته.

د.س.

سمكري البيت

سدّت بالوعة مغسلة المطبخ. وكنت أصلحتها مع زوجتي غير مرة فعرفنا تماماً ما علينا فعله. أرخيت عزقات الأنبوب المعدني، وبتنسيق تام دسّت زوجتي دلواً تحته فيما كنت انا أنزع الجزء المسدود. وتدفقت المياه الى الدلو ولم تسقط نقطة واحدة على الارض. فوضعت الأنبوب على الارض بتأن وقلت معتداً بنفسي: "لقد أصلحتها."

ثم حملت الدلو وسكبت محتواه في المغسلة.

ا.ش.

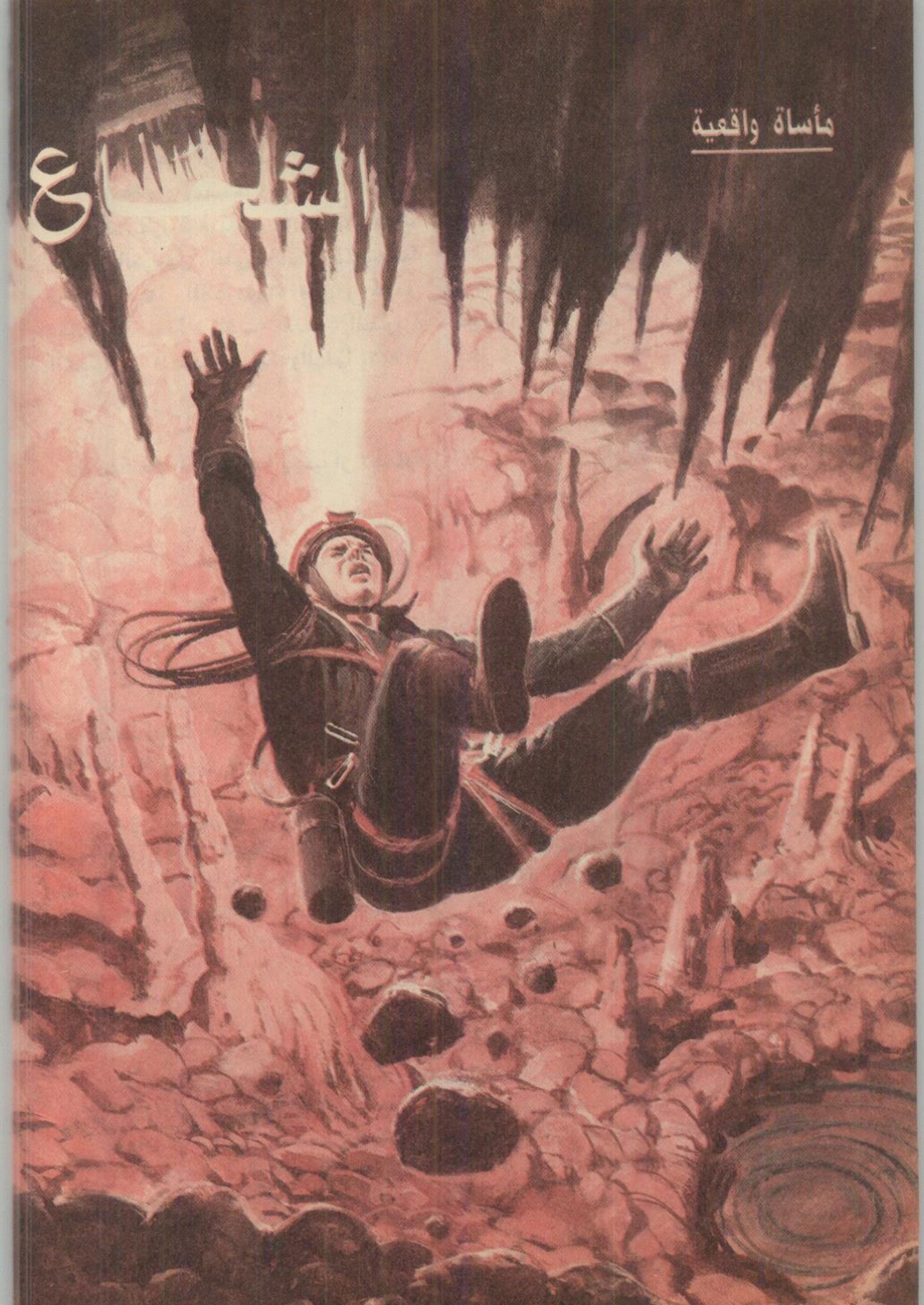
مأساة واقعية

يَسقط في القِمع

عمل المتطوعون ٤٥ ساعة لاخراج المستكشف المصاب من الكهف العميق. وبقي عليه هو أن يواجه وحده التحدي الأقسى في حياته

صباح يوم السبت ٧ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٥ وصل باتريك ليبير، وهو عامل كهرباء في السادسة والثلاثين من عمره، مع أربعة زملاء من هواة استكشاف الكهوف الى مدخل "بوم - دي - كريت" أحد أعمق كهوف فرنسا وأطولها. ويقع هذا الكهف بالقرب من بيزانسون عاصمة دائرة "دو" شرق فرنسا وينتمي الى شبكة كهوف "فيرنو" التي تمتد ٣٢ كيلومتراً. ودهاليزه الخمسة الكبيرة التي تصل بينها برك ومنحدرات أنهر وشلالات ما فتئت تجذب هواة استكشاف الكهوف من أنحاء أوروبا.

وكان الاصدقـاء الخمسة متلهفين لاستكشاف الكهف. فجمعوا عـدتهم مسرعين وأضاؤوا مصابيح خـوذاتهم وحزموا أكياسهم على ظهورهم. وسرعان ما ابتلعهم ثغر الكهف الذي يبلغ عمقه ٤٠ متراً. ووصلوا الى القعر بعد دقائق وتوجهوا نحو "المجمَّع" وهو نفق متعرّج يبلغ طوله ثمانية كيلومترات.

لم يكن المجمّع يبعد أكثر من ٨٠٠ متر، ولكن للوصول اليه اضطر الرجال الى الزحف على منحدر زلق يبلغ طوله ٦٠ متراً، ثم تلمسوا طريقهم الى أحد الدهاليز الخمسة الكبيرة. من هناك اجتازوا بركتين غمرتهم مياههما الى الخصر، ثم زحفوا على بطونهم عبر خمسة ممرات ضيقة شديدة الانحدار تعرف باسم "ثقوب القطط." وتابعوا هبوطهم زحفاً على سلسلة من الرفوف والافاريز وصولا الى "القمع"، وهو شق في الركام المتجمع من انهيال صخري سابق. ويبلغ طول القمع ٢٠ متراً وهو مثلَّم الجوانب وجدرانه متداعية هشة كأنهـا تنذر بالانهيار في أي لحظة. وكان على الرجال أن يدفعوا خوذاتهم وأعتدتهم أمامهم ليتسنى لهم المرور عبره.

كان ليبير أول الواصلين الى القمع. لوى جسده الناحل الذي لم يزد وزنه على ٦٢ كيلوغراماً، وحشر نفسه في الفتحة المعقوفة. ولم يعد يفصله عن المجمّع سوى رواق يبلغ طوله ٢٠٠ متر تتخلله جداول وأنهار ونزلة حادة طولها ١٢ متراً. ولأن سقف الرواق كان منخفضاً، اضطر ليبير الى حمل عدته بين يديه وهو يخوض في المياه. وبعدما اجتاز الرواق بدأ يهبط النزلة بحذر وبطء شديدين ووصل الى أحد

Illustration: Hugh Hirtle

الجسور. ولم يبق بينه وبين القعر سوى أربعة أمتار. فجأة زلت قدمه. وحاول أن يتشبث بأي شيء، واستحال عليه ذلك فهوى الى الخلف ولفّه الظلام.

شعر ليبير بعد سقوطه بآلام حادة مزّقت خاصرتيه وأعقبتها رجفة لم يستطع ان يتحكم بها وفقد كل إحساس في ساقيه.

وصل فرنسوا بوشي بعد ليبير مباشرة. فرآه ممدداً على ظهره كدمية من قماش ألقيت من جرف عال. وسمعه يقول انه لا يستطيع الحراك. فصرخ لرفاقه طالباً النجدة: "باتريك مصاب وهو يحتاج الى اسعاف. سأبقى أنا معه." كانت الساعة الاولى والنصف بعد الظهر.

خطر الانهيار - استغرقت العودة الى مدخل الكهف ومنه الى أقرب كشك للهاتف في قرية دسيرفييه ثلاث ساعات. وفي أقل من ثلاثين دقيقة كان ثلاثة من خبراء الكهوف المدنيين وثمانية من رجال الاطفاء من بيزانسون في طريقهم الى ليبير، وجميعهم من مستكشفي الكهوف المحترفين. في تلك الاثناء اتصل مكتب السلامة المدنية بالمستشار الفني في دائرة دو، ايف أوكان الخبير في حوادث الكهوف، وطلب منه أن يرسل أفضل رجاله الى مكان الحادث في أسرع وقت ممكن. كما اتصل بالدكتور جان باريو وهو طبيب له خبرة واسعة في حوادث الكهوف ويقيم في شامبنيول التي تبعد مئة كيلومتر عن مكان الحادث.

عندما وصل الدكتور باريو الى بوم في الساعة السادسة والنصف مساء وجد أوكان في انتظاره. ارتدى الاثنان الثياب الخاصة بالكهوف وربطا جسميهما بحبال مزدوجة وانطلقا الى الداخل. وتبعهما اطفائي تطوّع ليحمل احدى حقائب باريو المعدنية التي احتوت على معدات طبية مختلفة، من شاش مطهّر وقفازات طبية الى ثوب عازل يحفظ حرارة الجسم ثابتة ويسمح باجراء فحص طبي للمصاب في حرارة دون الصفر من خلال فتحات خاصة.

في الطريق الى المجمّع سجّل أوكان الامكنة الدقيقة التي ربما تطلبت نسفاً بالديناميت في حال اقتضى اخراج ليبير حمله على نقالة. وبعدما شق الثلاثة طريقهم بجهد عبر القمع قال أوكان: "ان استخدام المتفجرات هنا ربما شكّل خطراً كبيراً، لأن أي ارتجاج قد يسبب انهيار الكهف على من في داخله."

انقضت ثلاث ساعات قبل أن يصل الرجال الثلاثة الى ليبير. وما ان وصلا حتى قاس الطبيب سرعة نبضه فوجدها تزيد على المعدل ٣٨ نبضة في الدقيقة. ثم حقنه دواء مسكناً للألم وعلّق له محقنة للأوردة ملأها بالغلوكوز. بعد ذلك أجرى له فحصاً سريعاً تبين على أثره أنه لم يصب بأي كسور، الا أنه كان يعاني صدمة عنيفة جعلت كلامه مشوشاً.

استعان باريو بغطاء عازل للحرارة لينصب خيمة صغيرة، ووضع مصباح خوذته داخلها ليشيع فيها بعض الدفء في ذلك الجو البارد. ولكن عندما أراد أن يتناول الرداء العازل من الحقيبة لم يجده فيها، فكلف أوكان أن يرسل اليه واحداً. وكان هذا يهم بالصعود الى السطح من اجل

تأمين اللازم لعملية الانقاذ، من متفجرات ورجال وعتاد.

في مدخل الكهف كان ارفيه سيغان مدير مكتب السلامة المدنية ينظم اللوازم والمعدات. وهو حصل على كمية من الوقود لمولدات الكهرباء وعلى عدد من الشوادر والاسرّة وحتى على مطبخ نقّال من وحدة للجيش كانت تخيّم قرب الكهف. وأصبح في الامكان ايواء نحو ٦٠ رجلا اشتركوا في عملية الانقاذ.

لاقامة خط هاتفي ووصله بالمجمّع أنزل رجال الاطفاء نحو ٩٠٠ كيلوغرام من معدات الاتصال، فيما تولت فرقة من العمال دق سفافيد تحمل بكرات في جدران الكهف، وأسلكوا فيها حبالا من النايلون تسهيلا لاقامة جسور من حبال فوق الفجوات والمياه العميقة والمنحدرات التي يتعذر على حاملي النقّالة تسلّقها.

قفزة الضفدع – خرج ليبير اخيراً من حال الصدمة. لكن الألم عاوده وتمتم: "ما هو حظي في الخروج حياً يا دكتور؟ انني لا أستطيع الحراك. كيف سأخرج من القمع؟"

فأجابه باريو بنقرة خفيفة على البطن: "ستخرج بما لديك هنا وببعض المساعدة من هذه." وآراه محقنة تحتوي على دواء مسكّن.

الرابعة فجر الأحد، بعد قرابة ١٥ ساعة على الحادث، عاد أوكان يرافقه اثنان من رجال الانقاذ ومعهم الرداء المطلوب ونقالة يمكن طيّها. انتحى أوكان بالطبيب وأخبره: "هذه الحمالة تطوى على نحو يسمح بتمريرها عبر معظم الاروقة. ولكن أمامنا خمسة ثقوب شبه عمودية لا يمكن ان تعبرها حمالة ما لم يتم توسيعها بالديناميت. والى الآن لم يعثر سيغان على جان – ماري فرواسار خبير المتفجرات."

أدخل الطبيب ليبير في الرداء العازل ووضعه على الحمّالة ليتسنى له معاينته بدقة. وتبين له بعد الفحص ان حاله العضوية جيدة لكنه كان يرتجف وعند اللمس يصرخ من الألم. اما حاله النفسية فكانت مبعث قلق أشد. وهو روى للطبيب ما حل بأحد هواة استكشاف الكهوف الذي علق بين صخرتين: "لم يستطع ان يسترخي ليخرج صدره، وتوفي في الكهف. ربما تكرر ذلك معي."

ترُى هل ستصيب ليبير حال من الرعب وهو في القمع؟

في تمام التاسعة صباحاً بدأ خط الهاتف يعمل واتصل سيغان بباريو وسأله هل في وسع مريضه أن ينتظر بضع ساعات ريثما تكسى قاعدة القمع بالاسمنت بعد توسيعها بالديناميت. وجاءه الجواب قاطعاً: "لا، انه يتألم ويهذي."

انتهى العمل ظهراً بتثبيت السفافيد والحبال. ثم وصل خبر أن فرواسار في طريقه الى الكهف. وللحال أصدر سيغان امراً باخلاء المكان. وعاد قلب ليبير يخفق على نحو طبيعي.

وكان أوكان أرسل اثني عشر رجلا ليجتازوا بالحمالة مسافة الاثني عشر متراً الاولى ذات الافاريز والجدران الزلقة الهشة التي قد لا تتحمل البكرات. تقدم

الرجال، وباريو في مقدمهم، ببطء شديد في المياه الصاخبة التي غمرتهم الى الركب. ولتحقيق بعض التقدم كانوا يلجأون الى طريقة "قفزة الضفدع" التي تقضي بأن يقف ثلاثة رجال، كل واحد خلف الآخر في وضع منحن وسيقانهم ملتصقة بالجدرانِ، مشكلين من ظهورهم المتراصة جسراً تدفع الحمالة فوقه. وكلما قطعت الحمالة جسراً أقاموا آخر بالطريقة ذاتها.

وتولى رجال الانقاذ الاصغر حجماً حمل النقالة في الممرات ذات السقوف الكلسية المنخفضة التي لا يفصلها سوى متر عن الارض التي تخترقها جداول ملتفة كالدوامات. وكان عليهم لكي يجتازوها ان يتخذوا وضعاً جاثماً يقصم الظهر. وفي أماكن أخرى حيث السقف أشد انخفاضاً واجه الرجال وضعاً أدق وأصعب، اذ كان على ثلاثة منهم أن يدبوا في الوحل على أكفهم وركبهم ويسحبوا الحمالة من الامام فيما يدفعها آخرون من الخلف. فارتدوا لذلك قفازات ولفوا ركبهم بلبادات واقية.

"هيا! هيا! هيا!" - في تلك الاثناء وصل فرواسار الى الكهف. وفي الساعة الثالثة كان أتمّ توسيع ثقوب القطط بواسطة مثقاب أولا ثم بالتفجير مستعيناً بشحنات خفيفة من المتفجرات لئلا يسبب الانفجار انهيالا صخرياً. وبنتيجة التفجير الذي كشط طبقة من الصخر وجعل الجدران ملساء ازداد اتساع كل من الثقوب الخمسة ٧٠ سنتيمتراً في المتوسط.

عندما وصل ليبير الى القمع فُك رباط الحمالة ونزع باريو عنه الرداء العازل وألبسه ثياباً جافة واستعدّ ليعطيه حقنة اخيرة من المسكن. وبات الامر بعد ذلك متوقفاً عليه إذ كان مطلوباً منه أن يصعد القمع زحفاً ويجتازه قبل أن تتلاشى قواه.

قال له باريو: "ان كنت تعتقد ان ذلك فوق طاقتك، أخبرنا الآن وسنفكر في طريقة أخرى." والواقع أن تلك كانت الطريقة الوحيدة. وفي محاولة لرفع معنويات ليبير جعل باريو يحدثه. أخبره أن زوجته ماري - جان ووالديه ينتظرونه خارج الكهف وان ابنتيه الصغيرتين في البيت تتساءلان لماذا لا يخرج والدهما من ذلك الثقب.

أنزل ليبير نفسه ببطء عن الحمالة وأخذ نفساً عميقاً. ووسط دهشة الجميع اطلق صرخة مدوية صمت الآذان: "هيا!" واندفع في الممر. وكلما تقدم خطوة بساقه اليمنى السليمة ردد صيحة الحرب الانكليزية تلك: "هيا! هيا! هيا!"(★) فجأة صرخ أحد الرجال "هيا يا ليبير!" وتبعه ثان، ثم ما لبث الجميع أن انطلقوا في الهتاف كأنهم في مباراة رياضية يحمسون فريقهم المفضل. وقوّى هتافهم عزيمة ليبير.

في النقطة الاضيق داخل القمع وجد ليبير نفسه محشوراً بين السقف وصخرة مسننة. فجزع وحاول أن يتحرك، الا أن الالم استنفد قواه. وتساءل ما اذا مصيره سيكون مثل مصير ذلك المستكشف المسكين.

ظل ليبير ساكناً بضع دقائق لم يأت

(★) «Go! Go! Go!»

خلالها حركة. فجأة انطلق الهتاف مجدداً وراح الجميع يصرخون بصوت واحد: "هيا يا ليبير! هيا يا ليبير!"

فصرخ: "انني عالق!"

ورد أحدهم: "استرخِ وتحرّك ببطء."

أرخى ليبير الجزء الاعلى من جسده وراح يضرب الصخر الصلصالي الى ان وجد موطىء قدم. وصاح: "استرخِ وادفع!" وتقدم ٤٠ سنتيمتراً. لقد نجح. أعاد الكرة وحقق ٤٠ سنتيمتراً أخرى. وغمره فرح عارم زاد سرعته. ثم برفسة أخيرة أصبح طليقاً.

تعلم الانكليزية – بعد دقائق رأى ليبير النور المنبعث من مصابيح الخوذ. زاد سرعته وعاد يصرخ: "هيا!" وعندما شارف النهاية ولم يبق امامه سوى متر واحد امتدت اليه يد قوية وانتشلته ليُطالع بالوجوه الباسمة لاثني عشر رجلا راحوا يهللون ويصفقون. لم يتمالك نفسه وسالت دموعه على خديه ووصلت الى زاويتي فمه الذي افترّ عن ابتسامة عريضة.

كانت الساعة السابعة مساء وتعين على الدفعة الاخيرة من رجال الانقاذ ان يعملوا ثماني ساعات اخرى لينقلوا الحمالة عبر الممرات المتبقية وثقوب القطط الخمسة التي وسعها فرواسار ببراعة. وفي قعر المدخل لُفّ ليبير بغطاء من قماش مشمّع ورُبط الى حمالة صلبة لرفعه عبر الامتار الاربعين المتبقية. وخلال ساعات قليلة تم نقله الى المركز الاستشفائي في باربوا حيث أخضع لفحوص شتى. وأظهرت صور الاشعة كسرين في عظم الحوض.

في اليوم التالي جلست زوجته ماري – جان قرب سريره وسألته عما سيفعله في اوقات الفراغ، اذ سيتعين عليه ملازمة الفراش لمدة شهرين. فأجاب: "سأتابع تعلم الانكليزية."

فقالت زوجته متعجبة: "لم أكن أعلم أنك ابتدأت، ماذا يمكنك ان تقول بالانكليزية؟"

نظر اليها ليبير وقال بهدوء: "هيا! هيا!"

وليم كيرنز

كلب وفي!

قال مزارع عجوز: "أنا مدين بحياتي لكلبي."

فسأله جاره: "لماذا؟"

– مرضت لعدة أيام. فاستولى الرعب على زوجتي واستدعت الطبيب. لكن كلبي الوفي هذا لم يدعه يدخل أبداً.

م. و.

نحن نعطي النصائح الجيدة بعد أن يمنعنا العمر من إعطاء الأمثلة السيئة.

ج.ا.

أعطوا بلطف وخذوا بفرح

كلنا يحب العطاء. فما الذي يجعل القبول صعبا علينا؟

عندما اعتذرت عن عدم حضور اليوبيل الفضي (★) لزواج بسبب كوني أعزب ولا رفيقة لي، الحَّ عليّ جاراي دينا وسيروس اللذان يسكنان في الطبقة التي تعلو طبقتي، باصطحابي الى الحفلة. وعندما تعطل بعد يومين جهاز الراديو الذي يرافقني طوال أمسيات الشتاء أصلحه لي نجلهما فالي.

كنت ممتناً جداً. وأرسلت اليهم علبة شوكولاتة مع كلمة شكر. لكن دينا جاءت الى بابي تحمل علبة الشوكولاته مضطربة وقالت بصوت مرتجف: "عفواً، لن نقبل هذا منك."

اوضحتُ لها اني أردت فقط ان أعطيهم شيئاً في مقابل فضلهما.

فردت: "ولَكن لا حاجة الى شكرنا، فنحن أصدقاؤك."

أقنعتها أخيراً بالاحتفاظ بالشوكولاتة، لكنها لم تكن مسرورة. أما أنا فاحترت وتألمت. لماذا لا يقبلون هديتي تلطفاً؟

في ما بعد بدأت أدرك أن دينا رأت أن هديتي نوع من ايفاء دين وتحقير لعمل ودي. وأنا؟ أنا لم أكن مجنوناً فأصدق أنني أستطيع دفع ثمن اهتمامهم. لكنني أردت أن اعطيهم شيئاً في المقابل. وهكذا أدركت أنني أنا الرجل العاجز عن القبول بلطف.

ما الذي يصعِّب علينا أن نأخذ؟ لي

(★) اليوبيل الفضي هو الذكرى الخامسة والعشرين لمناسبة ما.

صديق عاشق دائماً ومغازل دائماً، ولكن ما ان تبدأ المرأة مبادلته الحب حتى يكون هو أنهى العلاقة. ويقول: "ما دمت أنا الذي أغازل فأنا المتسلط، أما اذا انقلبت الآية فتكون هي المتسلطة علي."

انه الخوف من فقدان السلطة الذي يمنع الكثيرين من أن يأخذوا. عندما نعطي نشعر بأننا آمنون ومسيطرون. أما الأخذ فيميل ميزان القوة ويجعلنا نشعر بأننا مدينون لشخص آخر.

اعتادت صديقة لوالدتي أن تجلب لنا كلّما زارتنا حلوى أو جبناً مستورداً أو أغطية وسادات طرزتها بيديها. ولكن اذا ما أعطيناها كعكة قالت: "أنا لا آكل حلوى أبداً." واذا ما أعطيناها مخللا قالت: "أنا لا أتحمّل المخلل، انه حامض جداً." انها دائماً ترفض هدايانا. فلكي تبقى واثقة بنفسها عليها أن تكون هي التي تعطي.

قد يكون هناك سبب آخر يحول دون أن نأخذ، هو الخوف من عجزنا عن العطاء بمقدار ما نأخذ. لي صديق عجوز لم يكن موسراً، اعتاد أن يأتي الى بيتنا ليشاهد برامج التلفزيون. ولكن قبل أن ينتهي البرنامج كان يعود الى منزله قائلا: "كم يعرضون من هُراء، اني سعيد بان لا جهاز تلفزيون لدي." وفي الاسبوع التالي يعود ليشاهد الحلقة التالية. انه لم يستطع أن يقاوم أخذ البهجة، لكنه لم يجسر على الأخذ بلطف، فهذا يجعله يعترف بجميل لا يمكنه رده.

تعلّمنا في طفولتنا أن العطاء فضيلة. أما الأخذ فلأنه الضد أصبح بالنسبة الينا خطأ نقترفه.

لكنَّ الأخذ هو أيضاً فضيلة. انه يعني احترام النفس الى حد الايمان بأن الناس يهتمون بنا ويريدون أن يرونا سعداء. انه يعني الكف عن ادعائنا الاكتفاء الذاتي والاعتراف بان لدى الآخرين قدرة على إغنائنا واعطائنا ما نحتاج اليه. انه يعني فتح الباب على داخلنا، على نفوسنا القابلة للانجراح، والبقاء غير هيّابين عندما يدخلها الحب.

فردوس كانغا

اجتهدوا يا أولاد!

أسرّت الي جارتي أنها تتمنى لو يجتهد أولادها قليلا في المدرسة. قالت: "أنا لا أريدهم أن يكونوا عباقرة، لكني سئمت الذهاب إلى اجتماع رابطة الأهل والاساتذة تحت اسم مستعار."

أ.ك.

الصبي عندما يكبر

ذات صباح رفض الصبي أن يقبّل أمه قبل ذهابه إلى المدرسة بحجة أنه أصبح كبيراً. ووقفت أمه تراقبه من النافذة. وسرّت لما رأته يتوقّف أمام كلبه ليعانقه ويقبّله طويلا.

ل.ك.

تقرير الى المستهلكين

إحْذرُوا البَضائع المزّيفة

المزورون ينسخون كل أنواع البضائع، من قطع السيارات الى أقراص منع الحمل. هذه التجارة الزاهرة خسارة فادحة للاقتصاد وخطر جسيم على السلامة العامة

إبان رحلة عمل في الشرق الاوسط صادف موظفو "تويوتا" محلا يبيع "قطع تويوتا أصلية." وعندما أنعموا النظر تحول سرورهم هلعاً. فمصافي الزيت اللامعة المعروضة صنعت من علب عصير مرمية ويمكنها تخريب محرك السيارة بسهولة.

تشكل البضائع المزيفة المختلفة الأصناف، من أمتعة "لوي فيتون" الى الأدمغة الالكترونية من طراز "آپل"، ثلاثة في المئة من التجارة العالمية، أي ما يعادل ٦٠ مليار دولار بحسب تقديرات غرفة التجارة الدولية. وفي حين أن نسخات مقلدة من سلع شهيرة، مثل جينز "ليفايس" وساعات "رولكس"، تغطي معظم الانتاج البديل، فقليلة هي السلع المحصنة ضد التقليد. ولما كانت البضائع

قطع غيار سيارات
وعقاقير مزورة ضُبطت في آسيا.

Condensed from Newsweek International (December 24, '84), © 1984 by Newsweek, Inc., New York
Photos: Richard Tomkins / Gamma Liaison

المزيفة أردأ نوعية من الأصلية فإنها قد تهدد السلامة العامة.

وكشفت دراسة للجنة الاتحادية الأمريكية للتجارة أن براغي التثبيت الزائفة "العالية المتانة" التي تستعمل في الطائرات في أنحاء العالم هي عرضة للكسر تحت الضغط أكثر من البراغي الاصلية. وفي حادث مميت لتحطم مروحية بالقرب من لوس أنجلس حمَّل المحققون المسؤولية قطعة مزيفة في أحد أجزاء الدوَّار. وتباع في الشرق الأوسط ودول آسيا بطانات كوابح مقلدة ولا تستطيع وقف السيارة بسرعة كالقطع الاصلية.

وبدأت قوارير من دواء السعال "فيكس ٤٤" وغيره من المستحضرات الصيدلانية الزائفة تظهر على رفوف الصيدليات في آسيا. وفي العام ١٩٨٣ كشفت السلطات التايلندية معملا في بانكوك يصنع مضادات حيوية (أنتيبيوتيك) تشابه تلك التي تنتجها شركة "ويلكوم" البريطانية.

وفي العام ١٩٨٤ ذعر المستهلكون الأمريكيون عندما سحبت شركة الأدوية "سيريل" من الاسواق اكثر من مليون علبة من أقراص منع الحمل "أفيولن - ٢١" إذ اكتشفت شحنات فاسدة. وبدا أن الاقراص مزيفة وأقل فاعلية وإن لم تحتوِ على مواد مضرة. وردت "الإدارة الأمريكية للغذاء والدواء" مصدر هذه الشحنة إلى ثلاثة موزعين أمريكيين تسلموا ٢٠٠٠ صندوق زائف من شركة تصدير يابانية.

خسارة مليارات - باشر بعض الحكومات المعنية جَبْه المشكلة. وتعتبر الولايات المتحدة اقتناء المنتجات المزيفة أو توزيعها أو بيعها جريمة اتحادية عقابها غرامة مقدارها ٢٥٠ ألف دولار للأفراد ومليون دولار للمؤسسات والسجن خمس سنوات للمتورطين.

Maous / Gamma Liaison

محدلة تسحق ساعات مزورة.

وتشددت فرنسا في التدقيق في العلامات التجارية والترخيصات لتمكين ضباط الجمارك من مصادرة البضائع المشبوهة. أما إيطاليا، موطن الكثير من التزييف، فتتخذ تدابير أكثر صرامة ضد البضائع المقلدة البسيطة والأسواق المفتوحة التي تبيعها. وفي العام ١٩٨٣ بدأت تايوان، أحد أكبر مصادر البضائع المقلدة، تخطط لتعديلات شاملة في قوانين العلامات التجارية وحقوق النشر

لتضبط السيطرة على الاتجار بالمواد المزورة.

لكن ضباط الجمارك لا يدققون الا في أجزاء صغيرة من جميع الواردات، فلا يتوصلون معظم الاحيان الى ضبط البضائع المزورة. ويقع معظم العبء على الشركات الاصلية التي تتقلص أرباحها وتفقد سمعتها بسبب التقليدات الرخيصة. وقد انضم ما يزيد على ٣٠٠ شركة في العالم الى "التحالف الدولي المضاد للتزييف" (١) الذي يعمل على ضبط هذه التجارة اللامشروعة والتأثير في الحكومات من اجل اتخاذ اجراءات صارمة للحد من نشاط المزيفين. وأطلقت غرفة التجارة الدولية من مركزها في باريس مشروعاً مشابهاً يحض على قيام استخبارات تتقصى التزييف داخل الشركات والمؤسسات القانونية والقضائية.

تأخذ شركات كثيرة مبادرات في هذا الشأن مستخدمة محامين ومخبرين. ففي العام ١٩٨٤ أنفقت شركة "لوي فيتون" الفرنسية لصنع الحقائب، اكثر من مليون دولار في عملية تقصي التزييف ونجحت في التوصل إلى ادانة مزيفي منتجاتها في اليابان وإيطاليا والولايات المتحدة وفرنسا. واستخدمت شركة "بلو بيل" الأمريكية صانعة جينز "رانغلر" مؤسسة خاصة لمراقبة أعمال التزوير في الشرق الأقصى. وفي العام ١٩٨١ أعلنت "كارتييه" إتلاف ٤٠٠٠ نسخة مزورة من ساعتها الشهيرة "تانك" بواسطة محدلة بخارية، وهي تنفق ثلاثة ملايين دولار سنوياً في مقاومة التزييف. ولكن حتى الدعاوى القضائية الناجحة لا تفقد المزورين عزيمتهم لوقت طويل. ويقول رونالد ليرمان المحامي التجاري في نيويورك: "علينا الملاحقة من غير انقطاع وإلا عاد التزوير."

معظم المقلدين يمكن العثور عليهم في آسيا، وهم يعملون في مشاغل صغيرة وفي مصانع حديثة على السواء. ويعتمد التايوانيون أساليب تقنية متطورة لاستخراج نسخات مطابقة لكل شيء، من الدمى إلى المواد الكيميائية - الصناعية. أما في سنغافورة فالصناعات السرية متخصصة بأشرطة التسجيل والفيديو المزورة. وأما هونغ كونغ فاختصاصها تقليد المصنوعات الجلدية.

ما من صناعة تأذت من التزييف أكثر من صناعة السيارات. الشركات اليابانية تشك في صحة قطع الغيار المبيعة في جنوب شرق آسيا والشرق الأوسط. وتقدر "الجمعية البريطانية لصانعي السيارات وتجارها" الخسارة الأوروبية في هذا الحقل بأكثر من ١٢٠ مليون دولار سنوياً، معظمها في أسواق العالم الثالث. وتخمن الولايات المتحدة خسارتها بثلاثة مليارات دولار سنوياً.

آسيا هي المصدر - في الستينات والسبعينات ازدهرت تجارة البضائع المزورة في آسيا. وكان السبب الأول نظرة الشركات الغربية إلى المنطقة كسوق غير واعدة للمنتجات الفاخرة، فلم تأبه لحماية علاماتها التجارية هناك. ولكن مع نمو آسيا اقتصادياً وبدئها تصدير

(١) International Anticounterfeiting Coalition

البضائع المزيفة إلى الغرب، شعرت الشركات الاصيلة بالخطر. فقد كان المزورون يصنعون نسخات عن معظم الأصناف المعروفة لدى المستهلك، إضافة إلى المنتجات التي تتطابق وتقنية البضائع الأصلية وتصميمها لكنها تحمل اسماً تجارياً مختلفاً متجنبة قوانين حق النشر والعلامات التجارية.

الحكومات الغربية، والحكومة الأمريكية على نحو خاص، تضغط على الدول النامية لمحاربة المزورين. وقد زار تايوان وفدان مفوضان من الكونغرس (البرلمان) الامريكي في العام ١٩٨٣ لاقناع حكومتها باتخاذ تدابير وافية. وفي يوليو (تموز) ١٩٨٤ طلب وزير الخارجية الامريكي جورج شولتز من رئيس وزراء سنغافورة لي كوان يو اتخاذ اجراءات صارمة ضد النسخات اللامشروعة عن "الملكيات الفكرية" كالموسيقى والكتب، كذلك قطع الأدمغة الالكترونية وبرامجها.

وتجاوبت عدة حكومات آسيوية. فضباط الجمارك في هونغ كونغ يشنون غارات منظمة على تجار التجزئة (القطاعي) والباعة المتجولين. وفي العام ١٩٨٤ صادروا بضائع مزيفة بقيمة أربعة ملايين دولار. ويقدر موظفون رسميون أنه، في ذاك العام، تم شحن ٨٥ في المئة من بضائع هونغ كونغ المزورة عبر البحار ومعظمها الى أسواق العالم الثالث.

تحاول حكومات بعض الدول النامية غض النظر عن التزوير لانه يؤمّن ألوف الوظائف. وغالباً ما تكون العقوبات خفيفة والسلطات التنفيذية غائبة والعقبات القضائية في كل مكان. في مدينة مكسيكو خاضت "كارتييه" نزاعات قضائية دامت اكثر من عشر سنين لاغلاق المخازن التي تحمل اسمها وتبيع بضائع مزيفة. ورأى المصمم ألدو غوتشي أن القوانين التجارية في المكسيك واسعة المنافذ مما يعسّر إغلاق محلات "غوتشي" المزورة التي ما زالت تعمل هناك.

إلا أن الاصلاح ممكن. فقبل ثلاثين سنة كانت اليابان رائدة تقليد البضائع الغربية. ثم في العام ١٩٥٩ وبتأثير من الدول الصناعية أقرت طوكيو قانوناً للصادرات يقضي بالتثبت من أصالة سبع فئات منها قبل شحنها الى الخارج. ومع الوقت ازداد عدد هذه الفئات الى خمس عشرة. وعلى رغم ذلك فإن صناعة التزوير المحلية في اليابان ما زالت زاهرة.

التزييف المتطور - تحاول بعض الشركات جعل عملية نسخ منتجاتها امراً صعباً بوضع "بصمات" خاصة بنماذج ليفية موحدة لا تقرأ الا بواسطة آلات فاحصة. ومع ذلك فالتطور التكنولوجي يساند المزورين. انهم يستطيعون الآن نسخ اي شيء بآلات متطورة "تقرأ" أبعاد القطعة الأصلية ثم تستخرج نسخة مطابقة لها. يقول جيم دوران وهو عضو في فريق جمركي في شيكاغو: "في كل مرة نظن أننا وضعنا حاجزاً يجد المزورون طريقاً للالتفاف عليه."

ذات مرة حَسِب ضباط الجمارك أنهم اكتشفوا وسيلة مضمونة للتعرف الى

النسخ المزورة من الادمغة الالكترونية "آبل." فالمفتاح لنسخ "آبل" هو انتاج رقاقة الكترونية (٢) تتضمن نظام العمل الحيوي في الدماغ الالكتروني، أي القسم الأهم الذي يمكن تسجيل حق نشره. فيتفحص الضباط برامج الأدمغة الالكترونية المشبوهة ليقارنوها ببرامج جهاز "آبل" الاصلي. وبعد فترة وجيزة بدأت الآلات ترد على الولايات المتحدة مجزأة أو مع برامج "هرائية" يمكنها اجتياز الفحص الجمركي. وبعد دخولها البلاد تركّب رقاقات الذاكرة المزورة بكل أمان. وتباع ألوف من أجهزة "آبل" المزيفة من طريق اعلانات مبوبة في الصحف بأسعار لا تتجاوز ثلثي سعر الجهاز الاصلي.

وحتى هذا الحين ما زال المزورون هم الرابحين في المعركة. وهناك فرصة ضئيلة لقلب الآية. ويقرّ رئيس شركة "كارتييه" آلان دومينيك بيرين: "في أحسن الأحوال يمكننا ضبط هذه التجارة فحسب."

لكن إنجاز المزيد يتطلب جهوداً أكبر من جانب الحكومات والصناعات. وما دامت المخاطرة قليلة والربح وفيراً فسيبقى التقليد مزدهراً.

"نيوزويك إنترناشونال"

(٢) Microchip

غفوة موسيقية

كان النعاس يغلب أحد نجوم الرياضة في المدرسة حالما يبدأ درس الموسيقى، فيغط في غفوة إلى أن يدقّ الجرس مؤذناً بالخروج. وذات يوم وصل الرياضي الى الصفّ متأخراً عشر دقائق. فأوقف الاستاذ محاضرته فجأة وابتسم بسخرية ثم قال له: "عليك ألّا تتأخر يا ابني. فأنت تعلم كم تحتاج إلى غفوتك."

ج.غ.

سبّاح في الصحراء

دهش بدوي لرؤيته سائحاً مرتدياً سروال سباحة في الصحراء. واذ رآه السائح ينظر اليه متعجباً قال له: "اني ذاهب للسباحة."

فأخبره البدوي "ان البحر يبعد ١٣٠٠ كيلومتر من هنا."

فهتف السائح وقد أشرق وجهه: "١٣٠٠ كيلومتر! يا لروعة هذا الشاطىء!"

ج.ا.

صور من الحياة

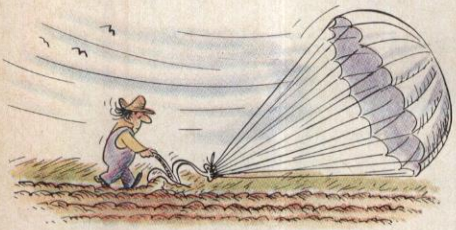

الاختيار الصعب

كان أبي يشاهد التلفاز في غرفة الجلوس عندما نادته أمي من المطبخ: "ماذا تريد للعشاء؟ أتفضل البيض أم الدجاج؟"
فأجابها أبي: "كما تشائين، لا فرق لدي."
وألحّت أمي: "قل لي ماذا تفضّل." فأكد لها أبي أن ما يسعدها يسعده. إلّا أنها راحت تصرّ عليه كي يختار بين الاكلتين. فاستسلم أبي وقال: "حسناً لنأكل البيض." عندذاك هرولت أمي من المطبخ صائحة: "ما الأمر؟ ألّا تحب طريقتي في طهو الدجاج؟"

د.ر.

أرق نائم

عندما كنت أخرج من البيت مساء كانت أمي تبقى مستيقظة تنتظر عودتي. ومرة غلبها النعاس فتركت لي ورقة دوّنت عليها: "أهلا بك. أيقظني عندما تعود، فأنت تعلم أنه لا يغمض لي جفن إلّا عندما تصبح في المنزل."

ب.هـ.

سمينة ومرحة

لدي صديقة مدمنة الحمية. وقد سمعتها ذات يوم تتحسّر على اخفاقها في محاولة انقاص وزنها وتسأل زوجها: "أتفضل زوجة ناحفة ومتذمّرة أم سمينة ومرحة؟"
فأجابها: "كم عليك أن تسمني بعد لتصبحي مرحة؟"

ل.و.

عقد صغير

وعدت خطيبتي بعقد ذهبي في عيد ميلادها. ولكن لمّا ذكر الصائغ ثمن العقد الذي اعجبنا أطلقت صفيراً خافتاً. ثم سألته مشيراً إلى مجموعة عقود أخرى: "وهذه كم ثمنها؟"
فأجابني الصائغ: "إنها تساوي ثلاث صفرات يا سيدي."

ب.ب.

زحمة المترو

في قطار المترو بباريس وقفت وزوجتي تمكيناً لامرأتين متقدمتين في السن من الجلوس. وكان ثمة رجال كثيرون جالسين، فقال أحدهم لزوجتي: "يا سيدتي، أنت واقفة على قدمي." فردت بحدة: "لو كنت رجلا فاضلا لوقفت أنت على قدميك."

ج.ل.

هل يحيا الانسان بالخبز وحده؟ وهل التثاؤب معدٍ؟ والى اي حد يتحمل مواليد القمر جاذبية الارض؟ سيسيل أدامس "يجيب" عن هذه الاسئلة وغيرها...

هل تميل الأرض إذا قفز مليار صيني دفعة واحدة؟

إنه الظهر تقريباً ولم يزل سيسيل أدامس، الذي يعتبر نفسه "أذكى الناس،" متأخراً يوماً واحداً عن برنامجه. فهو يحاول الاتصال بشركة "أوتيس" للمصاعد ليسأل هل زر "غلق الباب" في المصعد يؤدي دوراً عملياً أم انه مهدىء للتوتر فقط. (الأزرار تعمل فعلا، لكنها تكون أحياناً مكسورة أو منفصلة.)

في هذه الأثناء اتصل مسؤول في شركة كبرى لمستحضرات التجميل نافياً ما روته إشاعة من أن "البروتيين الحيواني المتحلل بالماء" في أحد أصناف الشامبو مستخرج من دم. (إنه ليس دماً بالتحديد، لكنه ليس أفضل من الدم. ربما كان محلول حوافر أحصنة مغلية.) وحتى الساعة لم يتمكن أدامس من الحصول على اثبات من أي مسؤول في كلية الزراعة بجامعة ايلينوي في أوربانا بأن الديوك الرومية الداجنة بلهاء فعلا بحيث تنظر إلى فوق أثناء عاصفة ماطرة متأملة ما يجري، ثم تغرق. (إنها بلهاء، ولكن ليس إلى ذاك الحد.)

إن أدامس في حاجة إلى أجوبة لعموده

Condensed from Discover (January '87), © 1986 by Time Inc., New York, N.Y.
Illustrations: Chris Demarest

الصحافي المشهور "الحقيقة الجلية - تفسير موجز لجميع غوامض الكون" (١). والغوامض الرئيسية اليوم هي، إلى حد ما، نماذج عما يثير عقول القراء الذين يسميهم أدامس "الملايين المتزاحمة."

أين، إن لم يكن هنا، يسأل العالم اللاهث: هل تتسبب قطعة نقد في مقتل أحد المارة على الطريق إن هي رميت من ناطحة السحاب "امباير ستايت" التي تعلو ٣٨٠ متراً في نيويورك؟ (على الأرجح لا.) لم لا يرى الناس صغار الحمام أبداً؟ (لأنها تعيش داخل أعشاش مخبوءة.) اذا قفز مليار صيني عن مقاعدهم في آن، فهل تميل الأرض عن محورها؟ (لا.)

اختبارات ذاتية - منذ العام ١٩٧٤ وأدامس يمدنا بإجابات موثوق بها ومضحكة ووقحة عن الوف الاسئلة المماثلة. عموده الصحافي ينشر في بضع عشرة مدينة أمريكية. ردوده جارحة وفظة ومختصرة تكشف الغوامض برشاقة. لماذا تؤلمك أسنانك اذا علكت رقاقة من الألمنيوم؟ (لأن اللعاب يوصل الالكترونات بين الالمنيوم وحشوة الفضة في الاسنان مما يخز الأعصاب.)

عندما تعجز الاتصالات الهاتفية والجولات المكتبية عن إيجاد الجواب، يجري أدامس اختبارات شاقة. فلكي يتثبت من أن سيارته تقتصد الوقود أثناء إدارة مكيف الهواء أو فتح النوافذ، أمضى ساعات طويلة في القيادة مقفلا النوافذ والمكيف. (كان الحر خانقاً، وفتح النوافذ لم يوفر

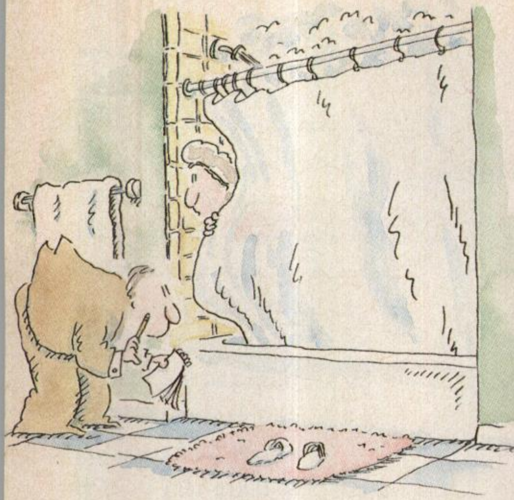

الوقود لأنه يزيد نسبة السحب في عكس اتجاه الهواء.) كما أنه استحم تحت رشاشات (دوش) باردة وساخنة ليكتشف سبب انتفاخ ستارة الحمام نحو الداخل في بعض الاحيان. (أفضل التعليلات أن ارتفاع الهواء الساخن يسبب اندفاع الهواء البارد الى الداخل ليحل محله، أو أن الماء المتساقط يسحب الهواء حول الستارة.)

أدامس في منتهى الدهاء وحسن الاطلاع، حتى انه يبدو كصلة بين كوميدي ساخر ومكتبة عملاقة. "باري، إنك تطلب مقرراً مختصراً في الديناميكا الحرارية." كتب ذلك موبخاً قارئاً سأله هل وضع كوب ماء في خواء الفضاء البارد يسبب غليانه أم تجمده. (من المتوقع أن يتبخر الماء ثم يتجمد للحال.)

سر جاذبية "الحقيقة الجلية" رسالتها المبطنة: ان للعالم معنى، وللطبيعة

---

(١) «The Straight Dope — All major mysteries of the cosmos succinctly explained.»

قوانينها، وسيسيل أدامس هنا ليفسرها لكم.

تلقى طالب جامعي في الفيزياء رداً على سؤال طالما أقلقه وهو: لمَ يصدر إبريق الشاي أصواتاً عالية متتالية أثناء تسخينه ثم يهدأ فجأة قبل أن يبدأ الماء الغليان؟ (ينتج الصوت من انفجار فقاقيع البخار المتصاعدة لدى وصولها الى الماء الأكثر برودة، ويهدأ هذا الصوت عندما يصبح الماء ساخناً على نحو متناسق في جميع المواضع.

شهير منغلق - لست متأكداً من أن ذاك الرجل الاجلح ابن السادسة والثلاثين، المولع بالكتب والشديد الصراحة وغير المرتب الذي قابلته، هو سيسيل أدامس. لقد أصر على أن اسمه إد زوتي وأنه مساعد أدامس ومحرر أخباره الذي يرهقه العمل ويتقاضى أدنى الأجور.

ويقول زوتي ان سيسيل أدامس الحقيقي منعزل إلى أقصى الحدود ويتهرب من أعداد لا تحصى من الصحافيين (دائماً يظهر زوتي بدلا من أدامس.)

لا بد من أن زوتي حاد الذكاء ليحل مكان أدامس. لكنه يبدو طبيعياً جداً، فهو يمارس الرياضة بانتظام في ناد للصحة ويقلق لكثرة تناوله القهوة. فهل يعقل أن يجيب هذا الشاب اللطيف أحد سائليه: "لو كان الجهل رقائق من الذرة فأنت جنرال ميلز." (وهو اسم لاكبر مصنع لرقائق الذرة في العالم.)

اكتسب زوتي مهاراته الاستقصائية في جامعة نورث وسترن بولاية ايلينوي حيث درس الصحافة. عين لفترة قصيرة مراسلا لوكالة أنباء محلية في شيكاغو. وتضمن عمله "الاتصال بالنساء اللواتي ترملن حديثاً وسؤالهن هل كان أزواجهن ذوي أهمية ويستحقون كتابة قصص عنهم."

ذاك تطلب وقاحة فوق مستطاع زوتي. فتوقف عن العمل بعد ثلاثة أشهر وتحول الى أمور أخرى منها حفر ثقوب لأعمدة الأسيجة في مونتانا. وفي العام ١٩٧٨ برزت "الحقيقة الجلية." وباتت إحدى مهمات زوتي الاتصال بباحثين مرموقين للسؤال عن ظواهر بسيطة في جسم الانسان.

حتى أعمق الأبحاث قد تعجز أمام أسئلة بسيطة إلى درجة التضليل.

مراجع عائلية - إلا أن زوتي لا يستسلم بسهولة. وغالباً ما يلجأ إلى "حاشية" من الخبراء المرشدين. فدائرته الداخلية تشمل نطاق العائلة. زوجته ماري من أسرة مثقفة، وأحد أشقائها عالم فيزياء وآخر عالم أحياء متزوج عالمة أحياء. وإحدى شقيقات ماري متزوجة عالم فيزياء أيضاً. ويقول

زوتي مازحاً إنه لم يتزوج حباً، بل لاقتراب طويل الأمد من مصادر للمعلومات.

مراسلو أدامس كثر. ذات مرة استهل عموده بالآتي: "أود التصريح أولا أني لا أؤلف هذه الاسئلة. وما عليكم إلا قراءة تلك التي لا أرد عليها."

ولقد رأيت الاسئلة التي لا يجيب عنها، وبينها بطاقة بريدية سأله صاحبها: "ماذا يحدث اذا غطست في بركة من الجيلو؟ أيمكنك السباحة إلى السطح أم انك ستغرق؟" (ستتمكن على الأرجح من السباحة إلى السطح إن لم تغص إلى الأعماق.)

يقول زوتي: "هناك أسئلة ترتعد لمجرد التفكير فيها. ما رأيك في هذا التساؤل: "اذا ولد طفل على القمر وعاش على سطحه عشرين سنة، أيمكنه تحمل جاذبية الأرض إن أعيد اليها؟ اننا نفكر في إنجاب أطفال." (خبير في الطب الفضائي يرى أن الجهاز العضلي القمري سيكون ضعيفاً جداً.)

في أي حال، هناك كثير من الاسئلة المدهشة: لماذا تتوق الكلاب، حتى أجبنها، الى المغامرة أثناء التجول في سيارة مفتوحة النوافذ؟ أتميز الكلاب كل المعلومات الشمية؟ ("ومن يأبه لذلك؟" يجيب أدامس. ويشاركه الاطباء البيطريون ومدربو الكلاب في لامبالاته، على رغم الاعتقاد أن الكلاب تحب النوافذ المفتوحة مثلما يحبها الناس وللاسباب ذاتها.)

وما رأيكم في هذه: هل يحيا الانسان بالخبز وحده؟ وكم يبقى قيد الحياة؟

(بين ثلاثة أشهر وستة، شرط توافر الماء.)

عدوى التثاؤب ـ ردود أدامس الرشيقة والمستهترة أكسبته حشوداً من المعجبين. وهو كتب: "قبل مجيئي كان الناس يموتون من دون أن يعرفوا لماذا تطلق سكاكر النعناع الأخضر شرارات أثناء مضغها في الظلام." (بلورات السكر تحدث شرراً عند سحقها، تحت تأثير يسمى "تلألؤ الاحتكاك" (٢). ويزيد النعناع الأخضر هذه الشرارات.)

أما عن التثاؤب، فبحسب أدامس "لا

أحد يعلم إن كان التثاؤب معدياً." (تؤكد إحدى النظريات أن التثاؤب هو انعكاس لتنبه الدماغ الذي يدفع بين الحين والآخر كمية ضرورية من الأوكسجين إلى الرئتين فالمجرى الدموي.)

"وبما أن معظم الناس يعملون في الساعات ذاتها، وبالتالي يتعبون في الوقت نفسه، فيتوقع في نهاية السهرة أن يصبح الجميع على شفير التثاؤب. وقوة الايحاء لدى رؤية الآخرين يتثاءبون كافية لدفع الجميع الى التثاؤب."

ادوارد دولنيك

(٢) Triboluminescence

برنشتاين ينحني لميدوري الصّغيرة

عازفة في السادسة عشرة سحرت رواد قاعات الموسيقى

غالباً ما كانت ميدوري، وهي في السن الثانية، تتسلق مقعد البيانو لتمسك بكمان والدتها العازفة المحترفة سيتسو غوتو (٣٨ عاماً) فكانت الوالدة تنهرها: "أرجوك يا ميدوري، لا تلمسيها." فسعر الكمان نحو ٤٠ ألف دولار أمريكي.

لكن ميدوري لم تكن ترضخ لرجاء أمها، فتتطاول لتمسك تلك الآلة التي تصدر أصواتاً سحرية كلما مررت والدتها على أوتارها تلك القوس المصنوعة من شعر الخيل. وبعد طول انتظار، يوم احتفلت ميدوري بعيد ميلادها الثالث، حصلت على طرد فيه كمان صغيرة بنصف الحجم الطبيعي لكمان والدتها.

وبعد أقل من ثلاث سنوات أذهلت ميدوري جمهوراً في أوساكا حين عزفت مقطوعة معقدة للايطالي نيكولو باغانيني، فكانت أناملها تنساب على الاوتار كانسياب مياه الينابيع مولدة انغاماً ذات سحر وحيوية مذهلين. كانت تلك بداية رحلة غنية لاحدى عازفات الكمان العظيمات في هذا القرن.

وتذكر والدة ميدوري: "منذ ولادتها أدركت شدة تأثرها بالموسيقى. وفي السن الثانية كانت تجلس في الصف الاول من مقاعد قاعة الاستماع حيث كنت أتمرن. وذات يوم سمعتها تدندن لحناً من كونشيرتو لباخ هو المقطوعة التي تدربت على عزفها قبل ذلك بيومين." أما الكمان فكان لها تأثير المنوم المغناطيسي في البنت الصغيرة.

Photo: Brent Petersen

وعلى مدى سنوات تمرنت الام والابنة معاً يوماً بعد يوم، فكانت ميدوري سريعة الغضب عنيدة المراس تجد في البكاء تعبيراً عن الخيبة. لكنها لم تكن لتبتعد عن الكمان. وتقول والدتها: "خلافاً لما قد نظن، كانت المثابرة وحدها السبيل الى تخطي كل مشكلة تواجهها."

اصطحبت سيتسو ابنتها الى التمارين فكانت تتركها تتمرن في القاعة بينما هي تعزف على خشبة المسرح. واثناء أحد التمارين سمع موسيقي أمريكي من أصدقاء سيتسو عزف ميدوري فهتف: "لا أصدق أنها في الثامنة، يجب أن تسجل شريطاً أحمله معي الى الولايات المتحدة."

وهذا ما حصل. وسجل الشريط في البيت بمسجلة صغيرة وضعتها الوالدة في حضنها فيما عزفت ميدوري كونشيرتو ولحناً معقداً لباغانيني وكونشيرتو لباخ، الى الكونشيرتو الثالث للفرنسي سان ساينس.

دموع المعلم - حين سمعت دوروثي ديلاي الشريط المسجل، وهي عازفة ذائعة الصيت تدرِّس العزف على الكمان بمعهد جوليارد في نيويورك، لم تصدق أذنيها اذ وجدت العزف مذهلا الى أبعد حدود.

وبصفتها عضواً في اللجنة الحكم لمهرجان الصيف الموسيقي في آسبن بكولورادو، وافقت ديلاي على قبول الشريط بديلا من عزف شخصي أمام اللجنة، ودعت ميدوري الى المشاركة في مهرجان ١٩٨١.

استعدت ميدوري بحماسة لفرصة العمر التي فسحت أمامها. وكانت أمها تردد لها: "دعي الموسيقى تحملك على أنغامها. فموسيقاك لها عقلها، ولا بد من أن تجدي لها قلباً." وهكذا شهد مهرجان آسبن الحفلة الموسيقية الاولى التي أقامتها ميدوري في الولايات المتحدة وخطوتها الاولى على الصعيد العالمي ونقطة التحول البارزة في حياتها العملية. وبعد الاستماع اليها دعاها عازف الكمان الشهير بينشاس زوكرمان الى عزف مقطوعة موسيقية أمام تلاميذه المتقدمين في آسبن.

وقفت ميدوري بلا وجل أمام مستمعين في أضعاف سنها، بقامتها اليابانية التي لا تتعدى ضعفي طول الكمان التي تعزف عليها. وبثقة بالنفس كبيرة رفعت كمانها وعزفت الكونشيرتو الثاني لبارتوك، وهي معزوفة صعبة يعجز حيالها بعض أبرز العازفين. فجاء أداء ميدوري ذروة في الابداع حتى ان المعلم زوكرمان لم يتمالك نفسه وهتف: "انه أداء غير عادي. وشخص مثل ميدوري لا يظهر الا مرة كل ٥٠ او ٧٥ سنة."

وفي آسبن التقت ميدوري المعلمة دوروثي ديلاي للمرة الاولى. ولما طلبت هذه منها العزف اختارت معزوفة لباخ يشق على الناشئين عزفها. وما ان فرغت منها حتى وقفت ببراءة وقد ارتسمت ابتسامة ناعمة على وجهها وهي غير مدركة مدى الاثارة في الانجاز الذي حققته. وللحال قبلتها ديلاي تلميذة في معهد جوليارد وأوصت لها بمنحة دراسية كاملة. ولما سألت ميدوري عن مغزى المعزوفة الجليلة ذات الايقاع القوي

نيدو الحليب الأفضل
INSTANT
سريع الذوبان
NIDO
Nestlé
نيدو
نستله
Lait entier en poudre
enrichi de vitamines A et D
Full cream powdered milk
enriched with vitamins A and D
حليب مجفف كامل الدسم
أضيف إليه فيتامين «أ» و«د»
PI 3693 A
نيدو الأفضل طعماً، الأسرع ذوباناً، الأضمن نتيجة والأوسع إنتشاراً.
نيدو السريع الذوبان:
ضمانة أكيدة لنموّ أولادكم.
Nestlé
تضمنه نستله

أجابت: "انها تحكي قصة كلب عزيز قضى." فبدا واضحاً أن هذه الموسيقية الناضجة ما زالت تملك قلب طفلة.

وفي العام ١٩٨٢ انتقلت سيتسو وميدوري الى نيويورك تاركتين حياتهما الرغيدة في أوساكا. ووجدت سيتسو شقة سكنية صغيرة ذات غرفة واحدة فاستأجرتها وعملت مدرسة عزف على الكمان، في حين تابعت ميدوري دراستها في معهد جوليارد. وباتت ديلاي بمثابة فرد من العائلة يخفف عن ميدوري ووالدتها الوحدة والمشاكل.

انحناءة وابتسامة - لا بد من توافر شروط في المرء كي يصبح عازف كمان عظيماً: تكرُّس وذكاء غير عادي وتنسيق مثالي بين اليد والعين ويد تمسك القوس بليونة الصفصاف. والمميز ان هذه الصفات اجتمعت في ميدوري وهي لما تزل طرية العود، اذ لا تذكر بالتحديد متى بدأت العزف على الكمان: "أعتقد أن الأمر أشبه بتعلم النطق، هو عملية طبيعية."

ولعل من أصعب الصفات وأندرها لدى الموسيقيين الناشئين، وكم هي غزيرة لدى ميدوري، التصميم على مواصلة التمارين ساعات مديدة في اليوم على مدى سنوات. ويعزو بعضهم ذلك الى اخلاقية العمل اليابانية التي بثتها فيها أمها، حتى ان ميدوري تقول: "لم يدم غيابي الاطول عن كماني سوى يوم واحد أحسست خلاله بفراغ رهيب. فمن الصعب أن أفكر في أمر يبعث في نفسي فرحاً كالذي يمنحني اياه العزف." وتحني رأسها وتبتسم.

وحتى في عمرها الصغير تحظى ميدوري بحياة عملية هي موضع غيرة عازفين كثيرين. ففي العام ١٩٨٢، وكانت في السن الحادية عشرة، شاركت في حفلة رأس السنة مع "أوركسترا نيويورك الفيلهارمونية".

ومنذ ذلك الحين عزفت في اليونان والنمسا والمانيا والمجر (هنغاريا) وهونغ كونغ وكندا. وفي ١٩٨٥ عادت الى اليابان ضمن الاوركسترا الاوروبية للناشئين بقيادة ليونارد برنشتاين لاحياء حفلة في الذكرى الاربعين لتدمير هيروشيما بالقنبلة الذرية.

وفي شهر مارس (آذار) ١٩٨٦ سجلت أسطوانتها الاولى وضمنتها أربع مقطوعات كونشيرتو ترافقها الاوركسترا السيمفونية في سان بول بولاية مينيسوتا. وكانت ميدوري في حفلة سابقة مع تلك الفرقة عزفت المقطع الختامي من الكونشيرتو الثالث لسان ساينس في أداء اعتبره أحد النقاد "حدث الامسية." ولم يكن انجازها محدود الاهمية، خصوصاً أن العازف الشهير اسحق شتيرن شارك هو أيضاً في تلك الحفلة التي ختمتها ميدوري، يرافقها شتيرن وزوكرمان، بمقطع من "كونشيرتو لثلاث كمانات" من ألحان الايطالي أنطونيو فيفالدي، وهي مناسبة وصفتها بأنها من أسعد لحظات حياتها.

الوتران المقطوعان - لم تتسع شهرة ميدوري في الولايات المتحدة الا منذ ٢٦ يوليو (تموز) ١٩٨٦ حين قدمت عزفاً شائقاً في مهرجان تانغلوود الموسيقي

في مساتشوستس. ففي المقطع الاخير من "سيريناد" لليونارد برنشتاين (الذي تولى قيادة الفرقة) انقطع وتر في كمان ميدوري، فتقدمت بهدوء من مساعد قائد الفرقة واستعارت كمانه. ونظراً الى ارتفاع درجة الرطوبة شدت وتر الكمان أكثر من العادة لترسل الصوت أقوى في الليل الرطب، مما أدى الى انقطاعه مجدداً. فاستعارت كماناً ثانية وواصلت العزف وكأن شيئاً لم يكن. وفي ختام المعزوفة صفق الجمهور مذهولا بأدائها في حين انحنى برنشتاين أمامها وضمها بكلتا يديه.

وتدرس ميدوري حالياً العزف على البيانو، كما تجد متسعاً من الوقت للعزف على الكمان الوسطى (فيولا). الا ان الكمان تظل محور حياتها، وهي تتابع دروسها في معهد الاولاد المحترفين في نيويورك وتعمل مع ديلاي ما لا يقل عن يومين في الاسبوع. وبعيد الظهر تعود الى الشقة الصغيرة حيث تقطن ووالدتها، لتمضي الساعات الباقية من النهار في التمرن على العزف.

وتصر سيتسو على أن تؤدي ابنتها التمارين في غرفة الجلوس حيث تنير النافذتان منبر النوطة الموسيقية. وبعد المغيب تشعل مصباحاً مثبتاً فوق المنبر وتتابع تمارينها حتى منتصف الليل. ونادراً ما تجد متسعاً من الوقت لحضور البرامج التلفزيونية، لكنها تهوى القراءة. أما اوقات فراغها فتعني لها خلاف ما تعنيه لكثيرين: "آه كم أحب أن أروي غرستي،" مشيرة الى نبتة الافوكادو قرب النافذة.

تكشُّف موهبة – في ١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٦، بعد أسبوع من احتفال ميدوري بعيد ميلادها الخامس عشر، وقفت بحياء على مسرح سانت لويس بولاية ميسوري لابسة فستاناً من الساتان الوردي لتواجه جمهوراً ارتدى فيه الرجال بذلات تكسيدو سوداء والسيدات فساتين طويلة لامست أطرافها الارض. وببطء دسَّت الكمان تحت ذقنها. كان وجهها ساكناً وحاجباها مقطبين. وقد قال زوكرمان مستوحياً مظهرها العميق: "متى شاهدت وجهها أدركت أنك تستمع الى روحها."

ولحظة فرغت ميدوري من عزف كونشيرتو «E minor» للالماني مندلسون خال الجمهور أنها ستطير عن المسرح بفعل قوة كمانها، لكنها راحت تتمايل على أنغام الموسيقى وشعرها يتطاير فيما هي تضغط بذقنها الكمان المهتزة. ولما أنهت عزفها تجمد المستمعون لوهلة ثم انفجروا في تحية مدوية.

"انها عبقرية!" قالت احداهن مدهوشة. فصحح لها رفيقها: "لا! انها هبة من الرحمن!"

مارك والترز

الإعاقة مسألة ذهنية. واذا أمكنك تأدية عمل واحد على نحو جيد، فثمة من يحتاج اليك في مكان ما.

شركة "موبيل أويل"

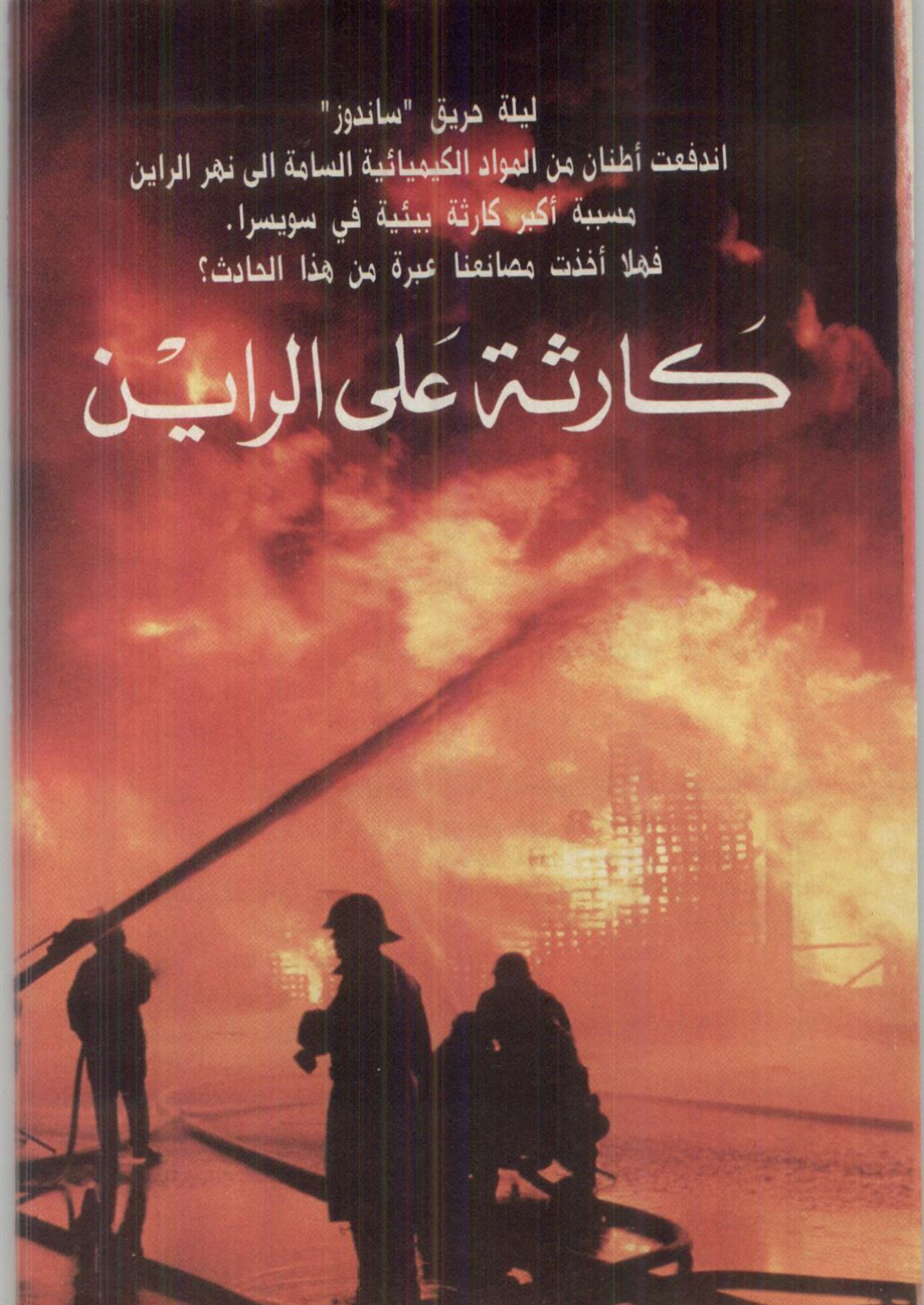
ليلة حريق "ساندوز"
اندفعت أطنان من المواد الكيميائية السامة الى نهر الراين
مسببة أكبر كارثة بيئية في سويسرا.
فهلا أخذت مصانعنا عبرة من هذا الحادث؟
كَارثة عَلى الرايْن

مساء الجمعة ٣١ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٦ كان أحد حراس شركة"ساندوز أ.ج." يجول في المجمّع الضخم للشركة السويسرية في متنزه شفايتزرال الصناعي على الضفة اليسرى لنهر الراين جنوب شرق مدينة بال. وفي العاشرة والدقيقة الثامنة فتح الحارس باب المخزن ٩٥٦، وهو بناء يبلغ طوله ٩٠ متراً وعرضه ٥٠ متراً، ومشى في الممرات التي تحوط جانبيها براميل ملأى بمبيدات الحشرات والاعشاب والمواد المذيبة والمرققة للدهان. وبعد ثلاث دقائق غادر الحارس المبنى، وكان كل شيء على ما يرام.

و"ساندوز" ثالثة كبرى الشركات الكيميائية في سويسرا بعد "سيبا - جيجي" و"هوفمان - لاروش"، كما انها واحدة من الشركات الاقتصادية الشهيرة في سويسرا وفرنسا وألمانيا الغربية. فهي تنتج أشياء كثيرة، بدءاً بكيميائيات صناعية ومروراً بعقاقير ومواد غذائية وانتهاء بمواد بلاستيكية. وهي تحقق مبيعات سنوية يبلغ متوسطها ثمانية مليارات فرنك سويسري (٥،٣ مليارات دولار).

وفي الساعة ١٢،١٩ بعد منتصف الليل أطلقت دورية للشرطة كانت تجوب المنطقة إنذاراً عبر الجهاز اللاسلكي: "المخزن ٩٥٦ يحترق!" وحين وصل فريق الاطفاء التابع للشركة بعد ثلاث دقائق كانت ألسنة اللهب اخترقت سقف المبنى وظهرت في سماء المنطقة غيمة كبيرة من الدخان الاسود. أمر قائد فريق الاطفاء ورنر كاب عناصره بتوجيه خراطيم الماء الى الحريق، إلّا أن ذلك لم يؤثر في النار المتأججة.

وسرعان ما حضر رجال مكافحة الحرائق في شركة "سيبا - جيجي" القريبة، كذلك رجال من بلدة موتنز ومن قرى مجاورة. وبدا جلياً أن الوضع كان ينتقل من الخطر الى حال يكتنفها اليأس. فالى ١٣٥١ طناً من المنتجات الكيميائية في المخزن ٩٥٦، ومعظمها سام، كانت هناك مواد متفجرة وسريعة الالتهاب، بما فيها غاز "فوسجين" السام. وعلى أرصفة الراين كان ثمة ١٠٠ صهريج ملأى بالوقود والبتروكيميائيات العائدة الى "ساندوز" وشركات أخرى.

في الساعة ١٢،٢٨ ليلا اتصل فريق الاطفاء في المدينة بالمفتش جورج كوخ رئيس دائرة الاطفاء في كانتون بال. وبعد عشرين دقيقة وصل الشاب ذو الثلاثين عاماً واتصل هاتفياً بوحدات اضافية وأمر زورق الاطفاء التابع للكانتون بملازمة أحد الارصفة. وهذا الزورق يضخ ١٢٨٤٠ ليتراً من الماء في الدقيقة. وفيما الرجال ينقلون خراطيم الماء في اتجاه الراين أمر كوخ وكاب باطلاق مدافع الرغوة على النار، ولكن من دون جدوى. ويتذكر كوخ: "كان جحيماً يمتد على هواه. فالحرارة مرتفعة الى درجة أننا، على رغم استخدامنا ثياباً واقية وآلات تنفس، لم نستطع الاقتراب أكثر من خمسة عشر متراً. شعرنا بأن لا حول لنا في تلك اللحظة."

واذ أثبتت الرغوة عدم جدواها لم يبقَ سوى الماء. ولسوء الحظ فان كميات هائلة من المواد المخزنة في شفايتزرال

تفاعلت بحدّة مع الماء. وكان المخزن ٩٥٥ الذي يبعد ١٨ متراً فقط عن المخزن ٩٥٦ يحتوي على مادة الصوديوم. والماء والصوديوم يولدان غاز الهيدروجين الذي قد ينفجر بفعل الحرارة المرتفعة ويهدد مخازن أخرى.

كتل حمراء بشعة – ما ان تم تجهيز الخراطيم في زورق الاطفاء حتى وجّه الرجال دفقاً من الماء بين المخازن، وركزوا على المخزن ٩٥٦. لكن هذا تلقف مياه الراين ودفعها عالياً الى السماء في شكل بخار حيث اختلطت بالغيمة السوداء على ارتفاع حوالى ٦٠٠ متر. وفي حين ارتفع في الفضاء عمود من الهواء الساخن، تسارع الى المكان هواء عليل غذى النار فازدادت أجيجاً.

تابع رجال الاطفاء ضخ ما استطاعوا من الماء في الجحيم الملتهب الذي كان يرد بزمجرة الاعاصير. وانطلقت صفائح بيضاء ساخنة في الفضاء إثر انفجار براميل الكيميائيات الواحد تلو الآخر محدثة دوياً صاعقاً. وقبل انقضاء الليل كان ٣٩٢ رجلا من ١٥ فريقاً صبوا ستة ملايين ليتر من الماء على ألسنة اللهب.

وأخيراً، بعد انقضاء أكثر من ثلاث ساعات، بدا الحريق كأنه يخسر قوته. لكن بال باتت تواجه هواء ملوّثاً وغازات سامة.

كتلة متشابكة بقيت بعد حريق "ساندوز".

ولّد الحريق في ذروته حرارة مرتفعة بلغت ١٤٠٠ درجة مئوية كافية لحرق الكيميائيات في المخزن ٩٥٦ والتسبب في انحلالها. وبعدما انحسر الحريق هبطت درجة الحرارة مولّدة مواد جديدة صعب على الكيميائيين السويسريين تحديد خصائصها. أمّا هانز وينكلر مدير دائرة السلامة والبيئة لدى "ساندوز" فخشي من تولد أملاح فوسفورية(★) هي قاتلة إن وجدت بكثافة.

وفي ساعات الصباح الاولى تلقى رجال الاطفاء نصائح باستعمال كمامات للغاز.

وكتدبير احترازي إضافي أمر المسؤولون باطلاق صفارات الانذار، وكان ذلك للمرة الاولى في منطقة بال منذ الحرب العالمية الثانية. وعندما عكر زعيق الصفارات السكون في موتنز كانت الساعة ٣،٤٥ صباحاً، وأفاق ألوف السكان على استنتاجهم المخيف: قنابل ذرية.

(★) Phosphorous esters

photos: Jacquez Cardin / Sygma

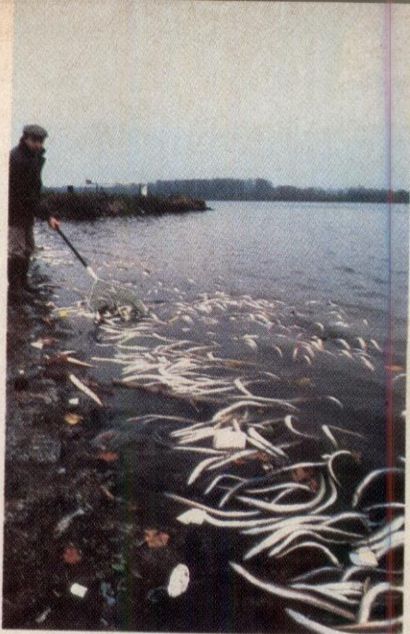

سمك أنكليس نفق في الراين إثر تلوثه بمواد كيميائية سامة خلال حريق ساندوز.

لكن الاشعاعات الذرية لا رائحة لها. هذا ما فكرت فيه آن ماري رايخ المقيمة في المدينة. فهل سيأتي الموت نتيجة استنشاق الغاز؟ وكانت غازات الكبريت أثارت الحناجر وأدت الى انهمار الدموع. وشعرت آن ماري بوهن في جسمها، مثل كثيرين غيرها، كما شعرت بغثيان قوي.

امّا بيتر لوباتشر في موتنز فأيقن للحال أن الغاية من صفارات الانذار هي فتح الراديو. وأول خبر سمعه كان عن حريق في "ساندوز." وجعل رجال الشرطة يذيعون عبر مكبرات الصوت تحذيرات الى الاهالي لكي يلزموا بيوتهم ويغلقوا نوافذها وأبوابها وينتظروا تعليمات جديدة. أوقفوا الحافلات والقطارات وسدوا الطريق الرئيسية التي تربطهم بزوريخ.

وفي الساعة ٦،٠٥ صباحاً أعلن كوخ رسمياً إطفاء الحريق. لكن ما بقي كان كتلا ملتوية. وحول البراميل المحترقة غطت الارض كتل حمراء بشعة من الكيميائيات والماء لم تكن خصائصها معلومة.

نفوق الاسماك – في السابعة صباحاً أعلن كيميائيو "ساندوز" ومنطقة بال أن الخطر زال وأن الغيمة التي تخيّم على المنطقة كانت تحتوي على مادة "ثيول" المتدنية الكثافة، وهي مادة كبريتية عضوية تمجها حاسة الشم ولكنها غير مؤذية. بعدئذ أخذت شركة "ساندوز" تقلّل من أهمية الحادث مقدار الامكان. ففي الساعة ٨،٣٠ صباحاً أعلن مسؤولون في مؤتمر صحافي عقدوه في شفايتزرال أن حريقاً شبّ في أحد المخازن فاحترقت مواد كيميائية وتولّدت منها غازات غير ضارة.

ولكن في اليومين اللذين أعقبا الحريق بدأ المراسلون يسألون عن المواد التي كانت في المخزن ٩٥٦ وعن مصير الملايين الستة من ليترات الماء. فدبّ ذعر على طول الطريق التي تمتد ٨٧٦ كيلومتراً بين بال وروتردام (هولندا) وبحر الشمال. فقد كان الجواب البديهي أن الماء الذي حمل خليطاً من المواد السامة القاتلة عاد الى النهر عبر مجاري مياه المطر في "ساندوز."

يقدَّر أن ما يراوح بين عشرة أطنان و١٥ طناً من الكيميائيات السامة انتقلت الى نهر الراين، وهي أكبر كمية قاتلة تنصبّ فيه مرة واحدة. وما أقلق علماء

البيئة في سويسرا وألمانيا الغربية وفرنسا وهولندا هو ثلاث فئات من الكيميائيات التي كانت في المخزن ٩٥٦. اثنتان منها تنحلان كيميائياً وبيولوجياً، فتتلاشيان طبيعياً مع الوقت، لكن الثالثة تحتوي على زئبق، وهو سام وغير قابل للانحلال.

واذ توجهت المواد السامة الى بحر الشمال نفق عدد كبير من الاسماك. لكن قوتها أخذت تخف تدريجاً كلما طالت المسافة التي تقطعها. ومع ذلك شاهد الناس على شاشات التلفاز أطناناً من سمك الانكليس النافق.

وتعذر تنبيه جيران سويسرا على نحو واف، لأن الارتباك ساد جميع المستويات وعجز مسؤولو "ساندوز" على مدى ١٧ يوماً عن تقديم لائحة كاملة بالكيميائيات التي حواها المخزن ٩٥٦. يقول تيو باشمان رئيس بلدية مدينة سان لوي الفرنسية المجاورة لبال: "لم ينذرنا أحد رسمياً، بل أنذرنا مواطن عادي يعمل في بال وكانت الساعة الرابعة والنصف صباحاً."

ويقول ألفرد إكسينجر مدير المختبر المائي في جامعة ستراسبور: "لم أسمع بالنبأ الا في الاولى والنصف صباح الأحد عندما اتصل بي العمدة." قنوات عدة في الراين أصابها تلوّث لأن الحراس الفرنسيين عجزوا عن إغلاق البوابات في الوقت المناسب.

ويذكر بيتر بينمان مدير مختبر بادن فارتمبرغ في أوفنبرغ بالمانيا الغربية: "بدأنا نحلّل نماذج مائية من بال في الثامنة صباح الأحد. ولكن عندما وجدنا مقادير قليلة من المواد السامة تعذر علينا الحصول على معلومات دقيقة من "ساندوز." وهكذا بدا أننا نحن، وليس ساندوز، أبلغنا الى المسؤولين في ألمانيا الغربية وفرنسا صباح الاحد وجود مواد كيميائية في النهر."

ولبُعد هولندا عن بال كان لها أسبوع من الترقب. فأمرت نيلي سميت - كراوز، وزيرة النقل والمسالك المائية، باغلاق تلك المسالك بغية دفع موجة السموم الى بحر الشمال. كذلك أوقفت سحب مياه الراين الى محطات التنقية ١٤ يوماً.

تسربات أخرى - عقب الكارثة بأسبوعين وجهت سلطات بال الى شركة "ساندوز" تهمة "الاهمال الشامل" مضيفة أن الشركة ألحقت ضرراً بالراين الاعلى لسنوات. واعتبر ستانلي كلينتون ديفيس، مفوض الاسرة الاوروبية لشؤون البيئة، أن اجراءات "ساندوز" لم تكن كافية ودعا سويسرا الى العمل مع بلدان السوق المشتركة لمنع تكرار الكارثة.

قد يكون سبب الحريق ضرباً من الاهمال. علماً أن الشرطة ومسؤولي ساندوز، بعد أشهر من التحقيق، استبعدوا فكرة التخريب المتعمد. ومهما يكن فقد تسبب الحريق في واحد فقط من التسربات الكثيرة التي حدثت في خريف ١٩٨٦.

واعترفت "سيبا - جيجي" بأنه قبل اندلاع الحريق بساعات قليلة تسرب الى نظامها المائي حوالى ٤٠٠ لبتر من المواد السامة انتقلت الى الراين.

وبعد أسبوع حولت "ساندوز" الى

النهر، من غير قصد، كميات أخرى من المياه كانت تضم مواد سامة. وفي ٢١ نوفمبر (تشرين الثاني) تسرب ٥٠ كيلوغراماً من الغراء في "سيبا - جيجي" أدّت الى تكوّن غيمة من الـ"فينول" والـ"برومين" فوق بال. وفي اليوم نفسه أعلنت شركة "باسف" العملاقة في لودفيغشافن بألمانيا الغربية أنها دفعت، من غير قصد، ٢٠٠٠ ليتر من المواد السامة الى مجاري المياه. وبعد أيام أعلنت "هوفمان - لاروش" أن أبخرة ضارة انتشرت في الجو بعدما تسرب ٥٠ ليتراً من مادة "ميثيلفينيلسيتون" من أحد المستوعبات. وفي ٢ ديسمبر (كانون الاول) أطلق تحذير دولي آخر عندما تسرب ٥٠٠٠ ليتر من خليط "لاتكس" و"بوليفينيل كلورايد" الى الراين مصدرها مجموعة "لونزا" السويسرية في فالدشوت على بعد ٦٠ كيلومتراً من بال.

لعنة أم بركة؟ - هل كانت تلك الايام نحساً على نحو استثنائي؟ أم كانت أياماً عادية لكن الاضواء سلّطت عليها بفعل تركيز الصحافة على النهر؟ وإذ يتواصل دفق المواد السامة الى النهر يرجّح بعض المراقبين الاحتمال الثاني.

وعلى رغم أن ضرراً لحق بالنهر على طول ٨٠٠ كيلومتر فان أثر الامطار ودفق المياه العذبة من الروافد كان حميداً. وبنتيجة ذلك تكونت أعداد جديدة من الاسماك، لكن الانكليس لا تتوقع عودته بكثرة قبل بضع سنوات. أما مياه الشرب في فرنسا وألمانيا الغربية وهولندا فلم تتأثر بالسموم. ويعود ذلك الى إغلاق معظم السدود ودفع المياه الملوّثة منها الى بحر الشمال.

لقد اعترفت "ساندوز" بمسؤوليتها عن التلوث ووعدت في أوائل نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٦ بتعويض الاضرار لحكومات سويسرا وفرنسا وألمانيا الغربية وهولندا. وفي فبراير (شباط) ١٩٨٧ خصصت "ساندوز" مبلغ مليوني فرنك سويسري (١،٣ مليون دولار) لاعادة تأهيل الاسماك في الراين. وخصص ١٢ مليون فرنك لدراسة عن الوسائل الممكنة لتنظيف النهر.

في أي حال كان على صناعة الكيميائيات القبول بفقدها ثقة الناس. وكانت هذه الصناعة في سويسرا تشرف على إقامة تمديداتها من دون تدخل خارجي. ويقول هاردي جيزن المتحدث باسم وكالة حماية البيئة في سويسرا: "ثمة حاجة أكيدة الى مزيد من الرقابة."

إن الاخطاء التي ارتكبت ينبغي تلافيها باحداث تغييرات ملموسة في الصناعة ككل، وذلك نظرا الى المسؤولية تجاه السكان والنهر الذي يخدم جزءاً كبيراً منهم. وقد أدى "جحيم شفايتزرال" أكثر من أي وقت مضى الى نشوء حاجة ملحّة الى محادثات بين سويسرا والاسرة الاوروبية بغية تطوير قوانين البيئة الدولية وتنسيقها.

ومهما يكن فان ١٩٨٧ هي "سنة البيئة" التي نظمتها السوق المشتركة. وعلى رغم تشاؤم البعض فان هذه المناسبة قد تكون فرصة للانقاذ فيتحول حريق "ساندوز" من لعنة الى بركة.

رودولف شلمنسكي

قلّة الأدب
عادة قبيحة
أم تطوّر اجتماعيّ

الكياسة ملح المجتمع
وأصولها في خطر

□ دخلت ديبورا وايتمان حجرة هاتف عمومي. وبعدما أجرت بضع مكالمات لاحظت أن رجلا ينتظر فروغها فعرضت عليه بتهذيب أن يقاطعها ويستعمل الهاتف.

أخذ الرجل الهاتف وشرع في اجراء المكالمات الواحدة تلو الاخرى. وبعدما أنجز عدداً منها سألته ديبورا هل سيتأخر كثيراً، فكان جوابه: "لا أظن أن علي ان أطلب اذنك لاستعمال هاتف عمومي."

□ في رحلة عمل كانت سوزان بيكس

Condensed from The Wall Street Journal (March 12, '87),
© 1987 by Dow Jones & Co., Inc., New York, N.Y.

مسافرة مع ثلاثة زملاء لها لا يحملون الا حقائب حافظة للاوراق. أما هي التي كانت تخطط لتمديد اقامتها فحملت حقيبة للاوراق اضافة الى كيس وحقيبة ثياب. وبين المطار وسيارة الاجرة ومكتب الوكيل حملت سوزان أمتعتها وحدها وسبقها الرجال الثلاثة. قالت: "أظن أن هذه وقاحة هائلة، فلو كانوا في وضعي لعرضت مساعدتهم."

□ فرانك بيفر هاو للسينما. وهو يزداد سخطاً من تصرفات المشاهدين "الشبيهة بتصرفات المتفرجين في غرفة التلفاز." قال: "سمعت مرة خطيبين يخططان لعرسهما ولشهر العسل أثناء عرض الفيلم."

لا ريب في أن الكياسات الصغيرة اليومية باتت عادات مهجورة مثل تقاليد حلوة كثيرة.

صحيح أن هناك أقطاراً تتمسّك أكثر من غيرها بما تبقّى من سلوك خيّر. ومن المسلم به أن طرائق الكياسة في المدن الصغيرة تعمّر أطول منها في المدن الكبيرة، ولكن يبدو أن الناس في كل مكان يشعرون بأن عبارة "الكياسة العامة" باتت تحمل تناقضاً بيّناً.

تقول سكرتيرة ادارية: "الكياسة تخف يوماً بعد يوم. فاذا ما فتح امرؤ لي الباب صُدمت ووقفت كالبلهاء، فقد اعتدت أن تقفل الابواب في وجهي."

وتضيف أبيغيل فان بورن، الصحافية صاحبة المقال اليومي الشهير "عزيزتي آبي": "اذا كان المرء لطيفاً أو كريماً فذلك حدث." ومقالات فان بورن تشير الى النقاط المغيظة والمزعجة في المجتمع، من قلة الادب في طوابير المخازن الكبرى الى وقاحة النُدُل في المطاعم.

الشباب غالباً يعتبرون شرَّ مشاكسين. ويرى رونالد بايس العالم النفساني في المركز الطبي في نيو انغلند أن "استعداد الاولاد لتشرُّب قواعد السلوك التي ربي عليها الوالدان هو في خطر بسبب وجود الام والاب خارج البيت أكثر من ذي قبل. خلال سني الطفولة يجب أن يحذّر الوالدان أطفالهما قائلين: اسمعوا، لا يمكنكم ان تعملوا كل شيء تريدونه في هذا البيت أو هذا العالم، اننا سنضع بعض الحدود."

ادوارد وين أستاذ التربية في جامعة ايلينوي بشيكاغو ينحي باللائمة، جزئياً، على السينما والتلفاز: "أنظروا الى "روكي" (١). انه يكاد لا يستطيع أن يلفظ عبارة "من فضلك." في الافلام القديمة مثل "روبن هود" كان البطل يظهر شهماً دمث الاخلاق حتى في القتال، ولم يعتبره أحد رجلا ضعيفاً."

طوني غرانت، العالمة النفسانية الاذاعية، تتساءل عما اذا كانت التغيرات الناتجة من تحرر النساء هي السبب: "النساء تقليدياً أوجدن جواً للكياسة. فاذا نشأ جيل من النساء العنيفات فلن نرى واحدة تدافع عن اللياقات الاجتماعية."

وثمة آخرون ينحون باللائمة على جيل الـ"أنا". الناس باتوا أنانيين أكثر من ذي قبل. وأحد المراقبين يفسر المسألة بقوله انها "أنا" ضد "هم".

ويرى جيمين مِهتا، وهو مستشار اداري بريطاني في بنسلفانيا، أن

(١) روكي بطل فيلم حديث يتضمن مشاهد عنف.

"الامـريكيين يستطيعون أن يكـونوا عنيفين من دون أن يقصدوا ذلك." ففي عيادة طبيب العيون بادرته مساعدة الطبيب آمرة: "تعال الى هنا،" وقادته الى غرفة المعاينة. "في بريطانيـا يقولون: اتبعني من فضلك."

كيف يتجاوب المتمدنون مع العنف؟ جودث مارتن صاحبة المقال اليومي المعروف الذي توقعه باسم "الآنسة أخـلاق"(٢) تتحـدث عن "التهـذيب الصاعق": "اذا قال لك امرؤ: بالله أنت تبدو في حال مخيفة، وأجبت: حسناً، وأنت نفسك لا تبدو رائعاً، فتكون عند ذاك وضعت نفسك دون مستواه. أما اذا حدقت اليه وأجبت: كم هوِ لطيف منك أن تقول ذلك، فربما أسكتّه."

وفي واقع الكياسة حالياً تقول "الآنسة اخلاق": "نحن على علو نصف خطوة من الدرك المطلق، لكنني أرى بعض الامل لأن المشكلة تحدّدت."

والى أن تحل تلك المشكلة، لمراقب قديم هذه النصيحة لتحمّل العيش في عالم الخشونة: "ابتسموا وابحثوا عن هؤلاء الذين يودون ان يكونوا أكياساً وكونوا على ثقة بأن لدى الناس الطيبين روحاً اجتماعية أصيلة. قد لا نربح في المدى الطويل، لكننا في مسيرتنا سنكون أكثر سروراً."

صحيفة "وول ستريت"

(٢) Miss Manners

الأم والمكنسة

بينما كنت أنتظر دوري أمام صندوق الدفع في أحد المحلات التجارية لاحظت امرأة تشتري مكنسة كهربائية لترسلها الى ابنتها في مدينة أخرى. وبادرتها البائعة: "لا شك في أنك تتمنين لو تسلّميها الهدية بنفسك."

فردت المرأة: "لا. الواقع أني قادمة من عندها. ولهذا السبب ترينني أرسل اليها مكنسة كهربائية."

م.ف.

وتر حسّاس

دخلت محل القبعات امرأة مرحة في السادسة والستين وبادرت البائعة: "أريد شيئاً يلائم امرأة متقدمة في السن."

فتلعثمت البائعة وبدت مرتبكة ثم سألت: "أتريدين شيئاً لوالدتك؟"

فكان جوابها انها اشترت قبعتين!

ل.ل.

لحظات إبداع

غالباً ما تتغيّر حياتنا برؤيا بعض الأفراد الذين يصرّون على تحقيق أفكارهم

تلك الاضمامة من الوريقات الصفر التي تلصق بالتقارير وأجهزة الهاتف وجدران المطابخ من دون أن تترك أثراً من اللاصق هي نافعة جداً بحيث يصعب علينا الاستغناء عنها. ان اوراق شركة «3 M» من نوع «Post — it» هي احدى عجائب المنتجات المسوّقة في هذا العقد.

لكن الخبراء عارضوا الفكرة في بدايتها. وخاض أصحاب المشروع حربهم منفردين. ولو لم تكن السكرتيرات يتمتعن بحس صائب (اذ عرفن بالبداهة ان الفكرة رابحة) وكان في شركة «3 M» مهندس كيميائي عضو في جوقة غنائية (يحتاج الى ورقة لاصقة لاستخدامها كعلامة فاصلة في كتابه الموسيقي) لما تحققت الفكرة ووجدت طريقها الى السوق.

ابتكر اللاصق في أواخر الستينات بجهد سبنسر سيلفر الكيميائي في مختبرات البحث المركزية لشركة «3 M». كان سيلفر يختبر مجموعة من المواد اللاصقة التي تتأثر بالضغط.

نتج من التجربة لاصق "غير عدواني،" أي انه لا يلتصق بقوة، ويُحدث ما يسميه علماء الشركة "لزوجة" بين سطحين لكنه لا يربطهما بعنف. ربما لم يكن اللاصق جيداً كمادة للصق، لكن سيلفر افتتن به.

عرض سيلفر اكتشافه على آخرين في الشركة لكنهم كانوا في صدد البحث عن لاصق أفضل. ولم تكن لدى سيلفر فكرة

Condensed from «Breakthroughs,» copyright © 1986 by Arthur D. Little, Inc., published by Rawson Associates, New York, N.Y.

أكيدة عن الغرض الانسب لاستخدام لاصقه.

بيد انه استمر منذ ١٩٦٨ الى ١٩٧٣ يعمل بهدوء كي يحظى ابتكاره باهتمام زملائه. وعرضه على كل أقسام الشركة، الا أن معظم العاملين فيها سألوه: "ماذا نفعل بلاصق لا يلصق؟" ولكن لم يقل له أحد: "توقف، لا تضع وقتك."

فان "قتل" مشروع سيلفر المحبب لديه هو خرق للمبادىء الثابتة لشركة «3 M». ولم يكن من داع لتثبيط همته ما دام يؤدي الواجبات الموكلة اليه.

وكان سيلفر يأمل أن يجد شخصاً يواجه مشكلة يمكن أن يجد لها حلا باستخدام ابتكاره الذي مضت عليه خمس سنوات. ووجد ضالته أخيراً في آرثر فراي، وهو مهندس كيميائي عضو في جوقة غنائية ويعمل ميكانيكياً في المناسبات.

يتذكر فراي: "ذات يوم عام ١٩٧٤ كنت أغني مع فرقتي فانتابني شعور بتلك اللحظات الخلاقة." كانت علامات الورق التي يضعها بين الصفحات لمعرفة دوره في الترتيب تطير وتقع على الارض أو تختفي بين طيات الكتاب. وقال فراي في نفسه: "ليت هناك لاصقاً على تلك العلامات."

وما لم يحققه سيلفر وشركة «3 M» استطاع فراي تحقيقه في لحظة ابداع. تسلّم فراي قيادة المشروع من سيلفر المتعب وتخطى عوائق جمّة مثبطة للعزيمة. قال له المهندسون الميكانيكيون انه لا يستطيع مدّ اللاصق بالتساوي على الورق. لكن فراي ركّب في قبو بيته آلة حققت ذلك.

خلال سنتين أنتجت شركة «3 M» نماذج أولية لاوراق «Post — it» تكفي حاجات جميع مكاتب الشركة. وشغف الموظفون بالوريقات، لكن حماستهم لم تؤثر في موظفي قسم التسويق في الشركة لان اختبارهم في أربع مدن أظهر أن الفكرة لن تحظى بنجاح مؤكد. لكن رئيس فراي، جيف نيكولسون، عرف أن على المرء أن يستخدم الوريقات كي يتسنى له تقديرها.

كانت لنيكولسون صلاحية محدودة لترويج وريقات «Post — it» خارج نطاق الشركة. لكنه عمل ما كان عليه. ذهب الى ريتشموند بفرجينيا، وهي احدى المدن التي أجري فيها الاختبار، واصطحب معه جوزف رامي نائب رئيس أحد أقسام الشركة. وأخذا يذرعان السوق التجارية ويدخلان المكاتب معرّفين بنفسهما وسائلين الموظفين: "جرّبوا هذا."

وكان تجاوب متسلمي الوريقات البرهان القاطع الذي احتاجا اليه.

اذا كان هناك من سر للابتكار في شركة «3 M» فانه يرجع الى أن قيم الافراد تأتي في المقام الاول قبل قيم الشركة.

مواجهة التحدي

مشاكل القدمين معروفة لدى الرياضيين منذ القدم. وفي الخمسينات كان الرياضيون يهرولون بأحذية غير مريحة، بل مؤذية. وهذه حقيقة مؤلمة كان مقدراً لها أن تبقى سائدة لولا جهود رجل مثابر من مدينة يوجين في ولاية اوريغون يدعى بيل بويرمان. فهو الذي ساهم في ابتكار حذاء الركض الحديث وصنع بيديه

نماذج أصلية للحذاء المريح الذي يعم الان أنحاء العالم.

بصفته المدرّب الرئيسي للسباقات في جامعة أوريغون في مدينة يوجين عرف بيل بويرمان أن الاحذية الرياضية لم تكن في المستوى المطلوب. لذلك وضع تصميماً لحذاء أخفّ وأمتن وأشد تمسكاً بالارض، وعرضه على الشركات الكبرى لبيع الادوات الرياضية فرفضته جميعها.

وضع هذا الرفض بويرمان أمام فلسفته الخاصة التي تنطوي على "مواجهة التحدي." كان يعلّم تلاميذه الرياضيين أن يتحدّوا المنافسة لمقوماتها الفكرية والروحية لا للجوائز التي ينالونها. "ففي حال الاخفاق تكتسبون خبرة تساعدكم على النجاح في المحاولة الثانية، فتصبحون أكثر معرفة بأنفسكم وبمنافسيكم أيضاً."

أما استجابة بويرمان للتحدي فكانت من هذا المنطلق: "ان لم تجد أحداً يؤدي العمل عنك فاعمله بنفسك." لذلك تعلّم فأصبح صانع أحذية.

استخدم بويرمان ورق أكياس قديمة للبقالة وشرع في الرسم والقطع والتركيب الى أن تم له وضع أفضل تصميم. وأخيراً صنع بيديه أول زوج أحذية، خفيفاً وأملس. وفاز في السباق المتبارون الذين انتعلوا أحذيته الطريفة.

ورأى أحد تلاميذه، ويدعى فيليب نايت، ان الرياضيين سيقبلون على هذه الاحذية المتفوقة اذا كان هناك صاحب معمل يصنعها. ولكن من يكون هذا وكل الشركات الامريكية رفضت العرض الذي قدمه بويرمان؟

عام ١٩٦٢ سافر نايت الى اليابان واتصل بشركة "اونيتسوكا تايغر" التي كانت أحد أنجح صانعي الاحذية الرياضية. فقدمت الشركة الى نايت عرضاً مغرياً: "سنصنع لك أحذية بحسب تصميمك وتكون شركتك الموزع الوحيد في الولايات المتحدة." لذلك أسرع نايت في العودة الى أمريكا للحصول على ألف دولار لدفع ثمن الدفعة الاولى من الاحذية ولانشاء شركة.

انشئت الشركة على طاولة المطبخ في منزل بويرمان. وبعد مرور ما يزيد على سنة وصلت الشحنة الاولى من أحذية بويرمان الى اوريغون وعددها مئتا زوج.

بدأت الشركة أعمالها برأس مال ضعيف. وكان نايت وبويرمان يعملان فيها جزءاً من وقتهما فيما كان فريق صغير مخلص يتولى بيع الاحذية في سيارات توقف في الاماكن الرياضية المناسبة. ومع اضافة بويرمان تحسينات الى أحذيته بدأ الناس يدركون مغزى ذلك الابتكار وأبعاده. وبات نايت وبويرمان على أهبة قطف ثمار موجة اللياقة البدنية التي كانت على وشك اجتياح الولايات المتحدة.

ولكن في العام ١٩٧٢ وقعت الكارثة اذ أوقفت "تايغر" كل طلبات الشركة وتبعت ذلك دعوى قضائية تبين فيها أن "تايغر" أنشأت شبكة توزيع مستقلة في الولايات المتحدة. ولم تمض أربع وعشرون ساعة حتى كان نايت طائراً الى اليابان حيث تعاقد مع شركة جديدة لصنع الاحذية. وتنتج هذه الشركة الان احذية بقيمة ٩٠٠ مليون دولار وسميت "نايكي".

لم تمر في خاطر بويرمان ونايت وفريق "نايكي" فكرة الاخفاق. لقد نقل بويرمان الى نايت والاخرين أن الالتزام المشترك يقضي بانجاز فردي بارز ورغبة في وضع هذا الانجاز في خدمة المجموعة. وبفوزه تكراراً على جميع منافسيه في البلاد أثبت بويرمان جدوى هذا المبدأ في رياضة الركض، كما أثبت نايت فاعليته في مجال العمل التجاري.

عطاء العاديين

عندما كان فريدريك سميث طالباً في جامعة ييل في نيوهافن بولاية كونيتيكت أخذ بفكرة تسليم البريد في اليوم الذي يلي تسلّمه. وكانت هذه فكرة ثورية حقاً في الستينات حين كانت تسليمات "الافضلية الاولى" تستغرق ثلاثة ايام.

بموجب الفكرة تعمل المطارات كأنها محاور العجلات(١) وطرق الشحن كأنها شعاعاتها(٢). تجمع الرزم طوال النهار من المحلات التجارية بواسطة شاحنات تتجه في نهاية النهار الى المطار. ومن هناك تنقل الرزم في الطائرة الى "محور" اكبر وسط أمريكا حيث تفرغ جميع الطائرات حمولتها. ثم تفرز الرزم ويعاد تحميلها في الطائرات التي تعود من حيث أتت.

طوّر سميث الفكرة وقدمها في كتاب الى أستاذه في التجارة الذي أعطاه علامة متوسطة قائلا: "فكرتك جديرة بالاهتمام لكنها غير قابلة للتطبيق."

وكلما قال له الخبراء ان فكرته "سخيفة" زادت ثقته بصلاحيتها. كان واثقاً بأن الناس سيعتمدون عليها حين يعلمون أن بريدهم سيصل في الغد الى وجهته المقررة. لكن سميث، وهو في الحادية والعشرين، لم تكن لديه المستلزمات الضرورية للقيام بمثل هذا المشروع.

لكنه استعاض عن ذلك بالخبرة القيادية التي اكتسبها في حرب فيتنام حيث وعى أهمية فرض احترامه على مرؤوسيه وواجب التزامه الاهتمام بشؤونهم.

تعلم أيضاً أن يقدر الليونة في التفكير لدى مشاهدته رجالا يموتون لان قادتهم لم يحيدوا عن الخطط المرسومة حتى في الحالات الطارئة. ورأى الجنود العاديين يستجيبون عفوياً للأزمات المستجدة. واستنتج: "دع الاشخاص العاديين يواجهون التحدي فيقومون بالمواجهة خير قيام."

أدرك سميث أنه في حال مواجهة شركته المتاعب فانه لن يكون هو هناك دائماً لتسوية المشاكل. عليه لذلك أن يتكل على أناس آخرين يكونون مؤهلين للمهمة، وحاجته اليهم تفوق حاجته الى المال والطائرات. ويختصر آرثر باس أسلوب سميث، وهو لازم الشركة منذ بدايتها: "جمع أشخاصاً كانوا فخورين بما يؤدونه، سواء أكان عملهم في الشاحنة أم في الطائرة أم في المطار. وحيثما كان المرء يعمل فانه كان وحده، لكن الكل كان يتكل عليه، فعليه أن يؤدي مهمته."

كان ممكناً أن يتوقف المشروع الناشىء عشية الافتتاح في ١٢ مارس

(١) Hubs
(٢) Spokes

(آذار) ١٩٧٣ حين وصلت الطائرات من أنحاء الولايات الشرقية الى "المحور" الرئيسي ومعها ست رزم فقط. كما كان ممكناً أن تتوقف الشركة في نهاية ابريل (نيسان) ١٩٧٣ عندما بلغت خسارتها الاجمالية ٤،٤ ملايين دولار. كذلك كان يفترض أن تنهي أعمالها في سبتمبر (أيلول) ١٩٧٣ عندما تخلفت عن تسديد ديون مستحقة بعدة ملايين من الدولارات. وبعث سميث بمذكرة الى المستخدمين جاء فيها: "بأسف عميق نرجو منكم أن تمتنعوا عن قبض أجوركم أو ايداعها المصارف الى يوم الاثنين المقبل."

حين بلغ الدين المستحق على الشركة ٣٠ مليون دولار عمد موظّفو الاموال في الشركة الى اطاحة سميث وعينوا مكانه جنرالا سابقاً في سلاح الجو. غير أن سميث دافع عن موقفه واستعاد رئاسة الشركة خلال سنة.

كان الافلاس واقعاً يهدد الجميع: رئيس الشركة كما العمال. وعندما تهدد الازمة المالية الجميع فان وقعها يخف، ويصبح كل فرد في الشركة ملتزماً تنظيم المشروع وانجاحه.

وعندما يبدأ الساعي جولته لجمع الرزم يفترض فيه أن يجمعها في الوقت المحدد ويسلمها الى المطار. لا أحد يجادل ما دام السائق تمكن من ايصالها. وهناك روايات عن سعاة باعوا ساعاتهم ليشتروا وقوداً للسيارة، التزاماً منهم واجب عملهم.

ويتذكر تاكر تايلور وهو مستخدم سابق: "ان كون الشركة لا تملك المال لم يكن مهماً حقاً. وهنا يبرز التحدي الكبير. كان علينا أن نبرهن أنه على رغم عدم توافر المال ففي الامكان تحقيق المشروع."

واليوم نرى شركة سميث، "فيدرال اكسبرس"، مؤسسة تجارية قوامها عدة مليارات من الدولارات. ومحورها في ممفيس بولاية تنيسّي عالَم ميكانيكي خيالي تمتد فيه الناقلات ستين كيلومترا ويعمل أربعة آلاف مستخدم في تسلم ما يزيد على ٧٠٠ ألف رزمة وتوزيعها في أقل من ساعتين ونصف ساعة. انها احدى المؤسسات التجارية المتفوقة والاكثر نجاحاً في هذه الايام.

هذه الانجازات "الخارقة" - ابتكار لاصق فريد وحذاء رياضي ثوري وطريقة فذة لتوزيع البريد - هي أشبه باعمال فنية لا تجارية. وتمر هذه الابتكارات أحياناً من شخص الى آخر كقصب السباق ويساهم فيها كل بحسب مواهبه.

يلاقي هؤلاء الاشخاص في طريقهم تحديات ومقاومة وتشكيكاً لكنهم يواجهون التحدي ويستجيبون بثبات وطاقة غير محدودة لايصال ابتكاراتهم الى السوق، حيث نفيد جميعنا من ثمار جهودهم ومثابرتهم.

جون كيتيرينغام
وب. رانغاناث ناياك

ان ضحكة على حسابك لن تخسّرك شيئاً. ماري والدريب

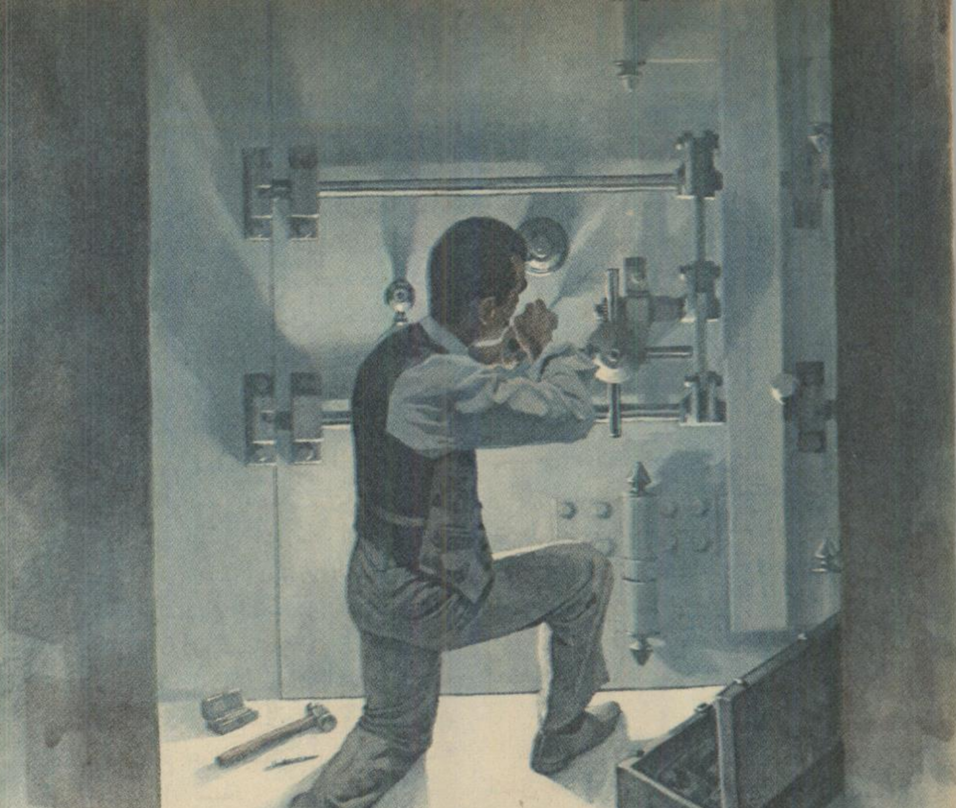

إطراقة خفر
أوقعت اللص الشاب
في شرك الحب

اللصّ الظرَيف

جاء حارس الى مشغل الاحذية في السجن حيث كان جيمي فالنتين مجتهداً في الخياطة، ورافقه الى المكتب الامامي. هناك سلّمه القيّم على السجن قرار العفو الذي وقعه الحاكم ذلك الصباح. أخذه جيمي وهو بادي السأم، فقد أمضى في السجن قرابة عشرة أشهر من عقوبته ومدتها أربع سنوات، وكان توقع أن يبقى فيه ثلاثة اشهر على الاكثر. فان رجلا مثله له أصدقاء كثيرون في الخارج نادراً ما يُقصّ شعره عندما يدخل السجن، فلن يمكث فيه طويلا.

Condensed from «The Complete Works of O. Henry,»
© 1953 by Doubleday & Co., Inc., New York, N.Y. Illustration: Greg Ruhl

قال القيّم: "حسناً يا فالنتين، ستذهب في الصباح. تنشط واجعل من نفسك رجلا. أنت لست اصلا شاباً شريراً. توقّف عن كسر الخزائن الحديد وعش مستقيماً."

في السابعة والربع من الصباح التالي وقف جيمي في مكتب القيم حيث أعطي ثوباً جاهزاً غير أنيق وحذاء قاسياً تهديه الدولة الى "ضيوفها" الذين يُخلون. وسلمه كاتب المحكمة تذكرة سفر بالقطار الحديد وخمسة دولارات تأمل السلطات أن يسترد بها اعتباره فيصبح مواطناً صالحاً وناجحاً. أما القيّم فقدّم اليه سيجاراً ثم صافحه.

توجه جيمي تواً الى مطعم. هناك ذاق أول ابتهاج عذب بالحرية في شكل فروج مشوي وزجاجة شراب تبعهما سيجار أفضل من ذلك الذي اعطاه اياه القيم. ثم سار الهوينى نحو المحطة. ألقى ربع دولار في قبعة رجل أعمى جالس الى جانب الباب وركب القطار. وبعد ثلاث ساعات نزل الى بلدة صغيرة قرب خط ايلينوي وقصد مقهى يملكه رجل يدعى مايك دولان كان وحده واقفاً خلف طاولة الضيافة في المقهى، وصافحه.

قال مايك: "عذراً، لم نتمكن من تدبير الامر في وقت أسرع يا صديقي جيمي. كيف حالك؟ حسنة؟"

رد جيمي: "أنا بخير. هل مفتاحي لديك؟"

كل شيء في غرفته في الطبقة العليا كان كما تركه. على أرض الغرفة ما زال زر ياقة التحري الممتاز بن برايس الذي انقطع عندما صارع جيمي وقبض عليه.

سحب جيمي سريره المطوي من الجدار ونزع وسادة صغيرة وأفرج حقيبة غطّاها الغبار. فتحها وتفرّس بلهفة في مجموعة كاملة من أدوات لصوصية صنعت من فولاذ مطوع بأحدث تصميم، وهي تتضمن مثاقب ومخارم ومناقير وملاقط ومخارز.

رسالة الى صديق

بعد اطلاق جيمي فالنتين بأسبوع سرقت خزانة حديد في ريتشموند بولاية انديانا من دون دليل الى الفاعل. وكان المبلغ المخزون ضئيلا لا يتجاوز ٨٠٠ دولار. وبعد أسبوعين فتحت خزانة حديد متطورة الصنع ضد السرقة، وسلب منها مبلغ زهيد قدر بألف وخمسمئة دولار. ثم حدثت سرقة ناشطة لخزانة حديد قديمة في مصرف بمدينة جفرسون في ولاية مونتانا حيث أخرجت من فوهتها أوراق نقد بقيمة خمسة آلاف دولار.

باتت الخسائر جسيمة الى حد يكفي لعرض الامر على بن برايس. ولدى مقارنة الملاحظات بان تشابه عجيب في أساليب السرقات.

قال برايس: "هذا أسلوب داندي جيم فالنتين، انظروا الى كرة الباب المرقمة كيف جذبت الى الخارج كما تقتلع فجلة في تربة رطبة، وانظروا كيف ثقبت رياش الاقفال باتقان. جيمي لا يثقب الا ثقباً واحداً. اني أريد فالنتين، فهو سيضرب من جديد ومن دون تردد."

أُشيع أن برايس يتعقب اللص المحتال، أما الناس الآخرون الذين يملكون خزائن حديداً ضد السرقة فشعروا بالاطمئنان.

بعد ظهر ذات يوم نزل جيمي فالنتين حاملا حقيبته من عربة للبريد في إلمور، وهي مدينة صغيرة في أركنساس. بدا كأنه شاب رياضي وصل من الجامعة الى منزله، ومشى على الرصيف نحو الفندق. واذا بشابة تعبر الشارع وتمر به عند زاوية وتدخل باباً كتب عليه: "مصرف إلمور." حدق جيمي الى عينيها فنسي من كان وأصبح رجلا آخر. أطرقت الشابة واحمرَّت خفراً. فالشبان الذين هم على طراز جيمي وفي وسامته نادرون في إلمور.

جلس جيمي بجانب صبي على سلم المصرف وبدأ يسأله عن المدينة. بعد قليل خرجت الشابة غير دارية بالشاب وحقيبته.

سأل جيمي الصبي باحتيال: "أليست تلك الآنسة بولي سمبسون؟"

أجاب الصبي: "لا، انها أنابل أدامس، ووالدها يملك هذا المصرف."

ذهب جيمي الى فندق "بلانتر" وتسجَّل باسم رالف سبنسر. وأخبر الكاتب أنه قدم الى إلمور ليبحث عن موقع ينشىء فيه عملا. وسأله: "كيف هي صناعة الاحذية في المدينة؟ هل هناك من مجال؟"

تأثر الكاتب بأناقة جيمي وخلقه، فأعطاه معلومات بكل ترحاب. وبدا له أن المجال جيد، فليس في هذا المكان متجر أحذية.

اما السيد رالف سبنسر، العنقاء التي بعثت من رماد جيمي فالنتين، فبقي في إلمور ونجح.

فتح متجراً وأمن تجارة زاهرة. اجتماعياً كان أيضاً ناجحاً. جمع أصدقاء كثيرين وحقق أمنية فؤاده. التقى الآنسة أنابل أدامس وأصبح أسير سحرها أكثر فأكثر. وخطبها في نهاية العام. وقبل العرس بأسبوعين جلس وكتب هذه الرسالة الى أحد أصدقائه القدامى في سانت لويس:

يا صاحبي،

أريدك أن تكون في ليتل روك في ساحة سوليفان الساعة التاسعة من مساء الاربعاء المقبل. أريدك أن تسوّي لي بعض الامور الصغيرة. وأريد أيضاً ان أهدِي اليك حقيبة أدواتي. أنا أعرف أنك ستسر بها. إسمع يا بيلي. اني تركت العمل القديم واقتنيت محلا جديداً. أحيا عيشة شريفة وسأتزوج أجمل فتاة على الارض. بعد الزواج سأبيع ما لي وأذهب غرباً حيث لا خطر من شكاوى قديمة ترفع ضدي. أقول لك يا بيلي، انها كملاك. هي تؤمن بي وأنا لن أقدم على أمور ملتوية أخرى لاي سبب كان.

ستكون يا بيلي في سوليفان طبعاً. يجب أن أراك.

صديقك القديم جيمي

عملية أخيرة

ليلة الاثنين وصل بن برايس متنكراً الى إلمور في عربة أجرة. توقف قرب المدينة، وبطريقته الهادئة وجد ما أراد أن يعرفه.

في الصباح التالي تناول جيمي طعام الفطور في بيت آل أدامس. كان يومذاك ذاهباً الى ليتل روك ليوصي على بذلة العرس ويشتري شيئاً جميلا لعروسه.

بعد الفطور ذهبت العائلة الى المدينة: السيد أدامس وأنابل وجيمي وشقيقة

أنابل المتزوجة وابنتاها الصغيرتان. مروا أمام الفندق حيث كان جيمي ما زال مقيماً، فأسرع هو الى غرفته ليجلب حقيبته. أما هم فسبقوه الى المصرف. هناك وقف حصان جيمي وعربته ودولف غيبسون الذي كان سينقله الى محطة السكة الحديد.

دخل الجميع عبر الحاجز العالي المنحوت من خشب السنديان الى غرفة الصيرفة. ولحق بهم جيمي، لأن الصهر العتيد للسيد أدامس يرحَّب به أينما كان. وكان مصرف إلمور اقتنى خزانة حديداً وغرفة محصنة. وكان السيد أدامس فخوراً بهما ومصراً على تفتيش كل شخص داخل. وللغرفة المحصنة باب صنع خصوصاً لها، مثبت بثلاثة مسامير لولبية فولاذية مجموعة في قبضة واحدة، وله قفل مرقم موقت. شرح السيد أدامس ببشاشة طريقة عمل الباب لصهره سبنسر الذي كان مجاملا ولم يظهر اهتماماً كبيراً. أما الطفلتان مي وأغاثا فكانتا مبتهجتين بالمعدن اللامع والساعة المضحكة وكرة الباب.

وبينما هم منشغلون دخل بن برايس واتَّكأ على مرفقه وأخذ يتطلع الى الداخل من بين قضبان الحاجز. أخبر الصراف أنه لا يريد شيئاً وانما ينتظر رجلا يعرفه.

فجأة علت صرخة تبعتها جلبة. البنت الكبرى مي، وعمرها تسع سنوات، كانت تلاعب أختها أغاثا فأغلقت عليها باب الغرفة المحصّنة وأقفلت المسامير اللولبية وأدارت الكرة المرقمة كما رأت جدها أدامس يعمل.

قفز المصرفي العجوز الى قبضة الباب وشدها هنيهة وزمجر: "الباب لا يمكن أن يفتح، فالساعة لم تشغَّل والارقام لم ترتَّب كما يجب" كانوا لا يسمعون الا صوتاً خفيفاً من الطفلة التي كانت تصرخ في الغرفة المحصنة المظلمة وقد استولى عليها الرعب.

ولولت أم أغاثا: "صغيرتي الغالية، انها ستموت خوفاً! افتحوا الباب! آه، حطّموه! ألا تستطيعون أيها الرجال أن تفعلوا شيئاً؟"

قال أدامس بصوت مرتجف: "يا الهي، ماذا نفعل يا سبنسر؟ تلك الطفلة لن تتحمل طويلا هناك، فليس ثمة هواء كاف."

اقترح أحدهم تفجير الباب فالتفتت أنابل الى جيمي وعيناها الواسعتان مملوءتان ألماً وخوفاً وسألته: "ألا يمكنك أن تفعل شيئاً يا رالف؟ جرِّب."

حدق اليها وعلى شفتيه ابتسامة ناعمة غريبة وقال: "أنابل، أعطيني تلك الوردة التي على صدرك." وما كادت تسمعه حتى نزعت الزهرة من صدرها ووضعتها في يده. خبَّأها في جيب صدرته وخلع سترته ورفع كمَّي قميصه. وهكذا اختفى رالف سبنسر وحل محله جيمي فالنتين.

قال بلهجة الآمر: "ابتعدوا جميعاً عن الباب."

وضع حقيبته على الطاولة وفتحها، وأخرج الادوات الغريبة البرّاقة برشاقة وترتيب، وأخذ يصفِّر بنعومة كعادته عندما يعمل. خلال دقيقة كان مثقبه المدلل ينقر الباب الفولاذي. وخلال عشر دقائق نزع المسامير وفتح الباب.

كانت أغاثا شبه منهارة لكنها سالمة، فتجمعت بين ذراعي والدتها. ارتدى جيمي فالنتين سترته ومشى خارج الحاجز نحو الباب الامامي. وخيل اليه انه سمع صوتاً ينادي "رالف!" لكنه لم يتردد.

عند الباب وقف رجل ضخم.

قال له جيمي: "مرحباً يا بن، أدركتني أخيراً. حسناً، لنذهب. لست ادري اذا كان هناك فرق كبير بين ما قمت به الان وما كنت افعله في السابق."

أما بن برايس فكان تصرفه غريباً.

قال: "أظنك مخطئاً يا سيد سبنسر. لا أعتقد أننا التقينا قبلا. عربتك في انتظارك أليس كذلك؟"

وأدار بن برايس ظهره وتمشى نحو الشارع.

أ. هنري

أ. هنري هو الاسم المستعار للقصصي الامريكي وليم سيدني بورتر (١٨٦٢ - ١٩١٠).

كلمات أخيرة

قرر اثنان من هواة الهبوط بالمظلة تسجيل رقم قياسي عالمي في الهبوط الحر، فيسقطان الى علو بضعة أمتار عن الارض قبل أن يفتحا مظلتيهما.

قفزا من علو ٤٥٠٠ متر وهبطا عمودياً نحو الارض.

ولحظة أشار مقياس الارتفاع الذي يحمله أحدهما الى أنهما أصبحا على علو ٣٠ متراً صرخ لرفيقه: "الآن!"

– لا، ليس الآن.

"الآن، نحن على علو ١٥ متراً."

– ليس الآن.

"هيا، نحن على علو ثلاثة أمتار فقط."

– بحق السماء يا صاحبي، ألم تسقط من علو ثلاثة أمتار من قبل؟

د.ر.ف.

ابنة برسم الزواج

قالت الابنة: "عندما أتزوّج سأدعو كل الذين أعرفهم الى حفلة زفافي. أريد أشهى الأطباق وألذها وأفخر الشراب، كما أريد تصوير الحفلة بكاملها."

فسألتها أمها: "وهل طلبت رأي والدك في الموضوع؟"

– لا، لم أفعل ذلك بعد.

"حسناً، لا تطلبي رأيه قبل أن تعلميني. لاني أريد أن أصوّر هذا المشهد."

س.ب.

The sky is still our limit

45 % of total newsweekly magazines sales in Greater Beirut Metn and Kesrouan extract of a bookshop survey conducted by C.E.P.I. in November 1985

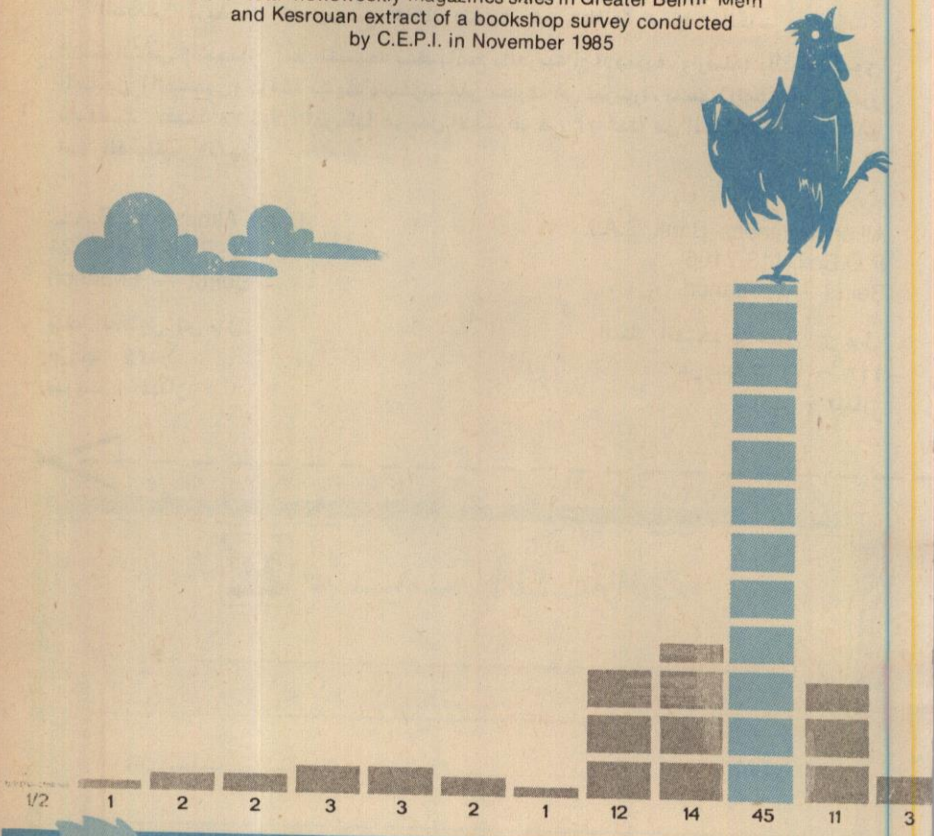

النهار العربي والدولي

an nahar arab & international

مجلة كل لبنان، مجلة كل اللبنانيين

exclusive advertising representative **TAMAM S.A.**

مجلة المتعة الدائمة

- "المختار" مجلة مريحة ومتفائلة، تسلّي من غير تجهيل وتثقّف من غير وعظ وتفيد من غير اضجار.
- "المختار" لافراد عائلتك مجلة انيقة لا يعترض تهذيبها حاجز.
- "المختار" تزيد معارفك وتوسّع آفاقك وتغنيك عن مطالعة عشرات الكتب والمجلات.

للاشتراك في "المختار" املأ القسيمة بخط واضح بالعربية أو الاجنبية، وارسلها بالبريد الجوي المسجّل (المضمون) مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك باسم "المختار من ريدرز دايجست" بقيمة ١٨ دولاراً امريكياً هو بدل الاشتراك في ١٢ عدداً من المجلة لمدة سنة، الى احد العنوانين الآتيين:

Bank Almashrek S.A.L.
P.O. Box 1524
Beirut — Lebanon

بنك المشرق ش.م.ل.
ص.ب. ١٥٢٤
بيروت - لبنان.

Allied Business Bank S.A.L.
P.O.Box 113-7165
Beirut — Lebanon

البنك المتحد للأعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان.

قسيمة اشتراك

Name ______ الاسم

______

Address ______ العنوان

______

Profession ______ المهنة

Date ______ التاريخ

Signature ______ التوقيع

الرجاء وضع العبارة الآتية
على غلاف الرسالة:
اشتراك في مجلة "المختار"

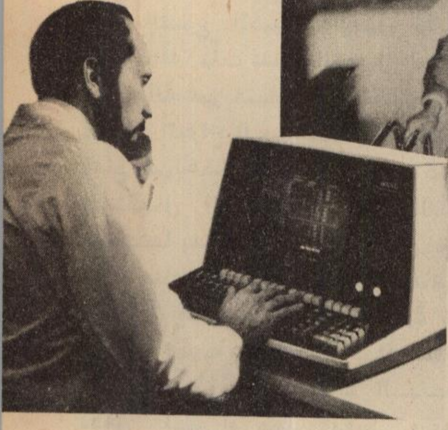

جراح القلب الشهير مايكل دبغي يكتب عن المكتبة الطبية التي تؤدي دوراً مهماً في إنقاذ حياة الناس.

حبذا لو تتاح لنا فرصة لانشاء مثل هذه المكتبة في العالم العربي، علماً أن أقدم مخطوطة فيها كتبت باللغة العربية!

نَحلمُ بمثلها للعَالم العَربي

▫ نقل صبي الى مستشفى سينا في ديترويت بعدما لدغته أفعى. وعلم الاطباء أنه يعاني اضطرابات في دمه فترددوا في معالجته بعقاقير مضادة لسم الافعى خشية تأزيم حاله.

أسرع أحد موظفي مكتبة المستشفى الى وصل الدماغ الالكتروني هناك بقاعدة للمعلوماتية في المكتبة الطبية الوطنية في بتيسدا بولاية مريلاند. هذه القاعدة، وتدعى "ميدلاين" (١)، تعرض بسرعة فائقة ستة ملايين خبر مأخوذة من ٣٥٠٠ مجلة طبية في العالم. ومن بين الخلاصات التي ظهرت على شاشة الدماغ الالكتروني بدا خبران استحوذا الاهتمام. فالعقاقير المضادة للسم لن تفيد، إنما نقل الدم هو العلاج الملائم.

▫ بينما كان أحد الجراحين يجري جراحة

(١) MEDLINE

Photos: (left) Peter J. Kaplan; (right) David York / Medichrome

لرجل في مستشفى لينوكس هيل بمدينة نيويورك، اكتشف أن الانسجة التي تثبت الامعاء الغليظة في مكانها أصبحت قاسية وأصابها التهاب. فهل الالتهاب من النوع الخبيث؟ وهل ينبغي استئصاله؟ دلّت نتائج التحليل المخبري على حالة غير خبيثة لكنها نادرة. فعمد مساعد الجراح الى استجواب "ميدلاين" وعلم في غضون دقيقتين أن لا ضرورة لاستئصال الانسجة وأن في الامكان معالجتها بمركّبات الـ"ستيرويد". وهكذا كان. وعاد المريض الى بيته معافى.

تؤدي المكتبة الطبية الوطنية دوراً رئيسياً ومهماً في انقاذ حياة الناس. انها كبرى مكتبات العالم المتخصصة بحقل علمي أو مهني معيّن. ويعتمد الاطباء والعلماء في المدن الكبيرة والبلدات الصغيرة على "ميدلاين" في ما لا يقل عن ثلاثة ملايين قضية سنوياً. فالكلفة زهيدة، تراوح بين دولارين وثلاثة دولارات للبحث المتوسط، و"ميدلاين" تؤهل هؤلاء الاطباء والعلماء لاتخاذ القرارات الصحيحة بسرعة.

بدأت المكتبة الطبية الوطنية عملها المتواضع في العام ١٨٣٦. فأخذت تجمع الكتب والمجلات الطبية في مكتب الجرّاح العام في الجيش الامريكي. ثم نُقلت الى "مسرح فورد" حيث اغتيل الرئيس الامريكي الاسبق ابرهام لينكولن قبل سنتين، عام ١٨٦٥. أشرف على عملية الانتقال الجرّاح جون شو بيلينغز. وبعدما كانت المكتبة تضم ١٨٠٠ مجلّد أصبحت تحتوي على نحو ٢٠٠ ألف، وذاع صيتها على نطاق عالمي.

انتسبتُ في أوائل الثلاثينات الى جامعة تولين الطبية في نيو أورلينز بولاية لويزيانا. وبصفتي طالباً في كلية الطب، ثم جرّاحاً وباحثاً، كنت أعود الى مجموعة مراجع طبية تدعى "إندكس ميديكوس"(٢) ترسلها المكتبة شهرياً. وكانت العادة في تلك الايام أن يجري الطالب أبحاثه المكتبية يدوياً، الامر الذي يستغرق وقتاً طويلا. غير ان المعلومات الطبية الحيوية المخزونة اليوم في قواعد المعلوماتية هي في متناول الاطباء.

أيام الحرب – كانت المكتبة والمختبر وغرفة العمليات بيوتي المهنية، خصوصاً إبان دراسة الطب حينما وضعت تصميماً لمضخة تحل مكان القلب خلال العمليات الجراحية، وهي عنصر أساسي في آلة الرئتين والقلب التي أطلقت جراحة "القلب المفتوح." وكان البحث في المكتبة الخطوة الاولى التي لا غنى عنها في تطوير تلك الآلة وأي آلة أخرى جديدة صممتها في حياتي العملية. والمصادر المتوافرة في المكتبة الطبية الوطنية أدت دوراً مهماً مماثلا في جميع الخطوات المتقدمة التي حققها سواي من علماء الطب في العقود المنصرمة.

وخلال الحرب العالمية الثانية خدمت في العاصمة واشنطن واستخدمت المكتبة لأبحاثي. وهي كانت آنذاك في مبنى قديم غير مصان. وكان السقف يرشح مما استلزم تعليق الكتب على حبل الغسيل لتجف. وبنى الحمام أعشاشاً في قسم

---

(٢) Index Medicus

البطاقات، كذلك فعلت الفئران والجرذان.

وذكرت مصادر مسؤولة ان الجيش خطط لاقامة مبنى جديد. لكن المكتبة في أيام الحرب لا تستطيع منافسة دبابة. ومع نهاية الحرب اتضح لي انه ما دام الجيش ممسكاً بالامور فان المكتبة لن تلقى الاولوية التي تستحقها.

وعندما عُيّنت في العام ١٩٥٤ مسؤولا عن حملة طبية لمصلحة الحكومة، أوصيت ببناء مكتبة جديدة ونقل ادارتها الى ما سمي منذ ذلك الحين "دائرة الصحة والخدمات الانسانية."

لكن سام رايبرن، أحد أعضاء مجلس الشيوخ، لم يقتنع بأقوالي. وتذكرت أنني كنت أجريت جراحة لبيتر فريدنبرغ الثالث الذي كانت زوجته دوروثي، وما زالت، سكرتيرة "اللجنة الديموقراطية الوطنية." وكانت، من باب العرفان، طلبت مني الاتصال بها لمساعدتي عند الحاجة. فتناولت سماعة الهاتف وتكلمت معها، فعهدت في قضية المكتبة الى رايبرن الذي كان صديقاً حميماً. فأجابها: "دوروثي، سوف تطرح المسألة للتصويت غداً. وسوف تُقَرّ." وهكذا كان.

نجاحات فورية - افتتحت المكتبة الجديدة في العام ١٩٦٢. اما اليوم فهي محور شبكة وطنية ممتدة الى سبع مناطق ولديها اتصال بـ١٣٥ كلية طبية و٥٠٠٠ مكتبة عائدة الى مستشفيات. وهي تتضمن ٣،٧ ملايين كتاب ومجلة وتقرير علمي في سبعين لغة. واذا صُفّت رفوفها في خط مستقيم امتدت بطول ٧٠ كيلومتراً. أما أقدم مخطوطة في المكتبة فبحث كُتب بالعربية عن امراض المعدة والامعاء، ويعود تاريخ هذه المخطوطة الى العام ١٠٩٤. وثمة رسائل كتبها جورج واشنطن، أول رئيس لامريكا، واثنان من الاطباء الثلاثة الذين سببوا وفاته وهم يعتقدون أنهم يعملون على شفائه. وهناك أيضاً تسجيل شمعي (٣) لصوت فلورنس نايتنغيل (١٨٢٠ - ١٩١٠) وهي ممرضة بريطانية تعتبر رائدة التمريض الحديث.

هذه المكتبة تتضمن مجموعات هائلة من الكتب. لكن قيمتها الحقيقية تكمن في سهولة الافادة منها، على حد ما أشار اليه مديرها دونالد لندبرغ. فالجراح يريد الحصول على معلومات بأسرع وقت ممكن. وهكذا باتت الادمغة الالكترونية المتصلة بقاعدة "ميدلاين" توفر معلومات فورية كان تجميعها يستغرق أسابيع.

□ فيما كان أحد أطباء الاطفال يعود مرضاه في مستشفى غلينون للاطفال في سانت لويس، جاءه ثلاثة اطفال ضربتهم صاعقة، وانهم في طريقهم الى المستشفى، وقد فقد أحدهم الوعي وحاله خطرة ولم يكن الطبيب عالج قبلا مثل هذه الاصابة. لذلك لجأ الى "ميدلاين". وفي الوقت الذي استغرقته سيارة الاسعاف للوصول الى المستشفى علم الطبيب تماماً ما ينبغي أن يفعله. واستطاع انقاذ الاطفال الثلاثة.

□ في بواز، بمركز لوقا الطبي، كان طبيب يفحص مريضاً في حال خطرة من التهاب السحايا ويواجه الموت ان لم يتأمن له العلاج المناسب. والدواء الوحيد

(٣) Wax recording

الذي علم الطبيب انه يؤثر في المرض هو "فانكومايسين"، لكن هذا العقار كان سبب للمريض رد فعل شبه قاتل قبل ستة اشهر. فكيف يمكنه استعمال الدواء من دون التسبب في رد الفعل المؤذي؟ جاءه الجواب السريع من "ميدلاين": "خفّف جرعة الدواء." عمل الطبيب بالنصيحة وشفي المريض.

أجوبة سريعة - في العام ١٩٦٧ أمر مجلس الشيوخ الامريكي المكتبة الطبية الوطنية بتوفير معلومات عن مواد سامة وغيرها من الكيميائيات. وأدت المعلومات الى انشاء قاعدة "توكسلاين" (٤) للمعلومات التي استخدمت بكثافة عقب الحادث الذي وقع في بوبال بالهند عام ١٩٨٤. فقد تعرّض مئات الالوف من الناس آنذاك لغاز سام يدعى "ميثيل ايزوساينيت" (٥). وخلال ساعات جمع الاختصاصيون في المكتبة الطبية الوطنية كل ما يعرفه العالم عن هذا الغاز، وسلموه الى خبراء في طريقهم الى الهند.

ومع أن موازنة المكتبة متواضعة نسبياً (٦٢ مليون دولار هذه السنة) فقد فاقت انجازاتها كل التوقعات. وعلى رغم أن عدداً قليلا من الامريكيين خارج مهنة الطب يعرف شيئاً عن المكتبة، فان عدداً لا يحصى من الناس في أرجاء العالم أفاد من خبرتها.

ففي مستشفى أوفرلوك بولاية نيوجرزي حار الاطباء في معالجة شاب في السابعة والعشرين من عمره تمادى الضعف في جسمه على مدى أشهر حتى أصبحت رجلاه شبه مشلولتين. لقد كان مصاباً بنوع نادر من فقر الدم يدعى "تالاسيميا"، وأظهرت الفحوص التي أجريت له أن ثمة كتلة كبيرة تضغط على نخاعه الشوكي وتؤدي الى شلله، فهل من رابط بين الحالتين؟ وهل الجراحة لازالة الكتلة فكرة جيدة؟

احتاج طبيب الاعصاب الى أجوبة سريعة، فنالها من "ميدلاين" التي اظهرت أن ثمة رابطاً بين الحالتين. وأكثر من ذلك، فان الضاغط على النخاع الشوكي ليس ورماً على الاطلاق، وانما هو نسيج يولّد الدم ويذوب بالأشعة. واقترح أطباء الاشعة نوعاً من المعالجة. وفي غضون أيام زالت الكتلة الضاغطة. وبعد أسبوعين ترك المريض المستشفى ماشياً على قدميه.

الدكتور مايكل دبغي

---

(٤) TOXLINE

(٥) Methyl — Isocyanate

الكاتب جراح لبناني الاصل يشغل منصب رئيس دائرة الجراحة في كلية بايلور الطبية في هيوستون بولاية تكساس الامريكية. وهو من أبرز جراحي القلب في العالم.

الحق على الالكترون

لم أعد أنكر الأعذار التي كان الناس يبررون بها أخطاءهم قبل اختراع الادمغة الالكترونية.

ف.ك.

الدنيا لن تخلو أبداً من فاعلي الخير. هنا قصص ثلاثة منهم

نفوسٌ كبيرة

القلب الكبير

عندما وصل روبرت وايلند الى فيتنام في العام ١٩٦٩ ظن أنه لن يغادر تلك البلاد حياً. فكان نصف محق في ذلك، إذ غادرها نصفه العلوي فقط.

AP / Wide World Photos

بوب وايلند

دخل بوب المعارك بكامل جسمه البالغ طوله ١٨٣ سنتيمتراً ووزنه ٩٠ كيلوغراماً، وكان يطفح بشراً. لكنه عندما غادر فيتنام كان طوله ١٠٧ سنتيمترات ووزنه ٣٩ كيلوغراماً، وسجّلت حرارته حينئذ ٤١ درجة مئوية بسبب داء الملاريا، كما كان ضغط دمه يتقلب صعوداً وهبوطاً. وهكذا ربط الى لوح ووضعت عليه قطع من الثلج.

"في ما عدا ذلك،" يقول بوب، "لم أكن أشعر بسوء."

كثير من الناس ظنوا أن بوب واقع في ورطة لا خلاص منها، إلا هو: "أشعر ببركة تحوطني لأنني، خلافاً لبعض أصدقائي، سعيد ببقائي حياً."

بعدما أجلي بوب الى المستشفى العسكري تبيّن أن أعضاءه الاساسية، القلب والرئتين والعقل والروح، سليمة. وهو يقول: "ما زال لي شعر أيضاً."

فقد بوب ساقيه: "ركّب لي الجيش ساقين اصطناعيتين لكنهما كانتا بطيئتين. علي أن أزور أمكنة وأقابل أشخاصاً وأفعل أموراً كثيرة، ولم يسعني ان أنتظر ساقيّ لتفعلا ذلك."

Condensed from Los Angeles Times (November 25, '86), © 1986 by Los Angeles Times Co., Los Angeles, Calif.; New York Times (September 18, '86), © 1986 by The New York Times Co., New York, N.Y.; Newsweek (Summer '86), © 1986 by Newsweek, Inc., New York, N.Y.

من الممكن لأي شخص الاشتراك في سباق الماراتون راكضاً على رجليه، كما في امكان اي شخص اجتياز البلاد في طائرة. غير أن بوب وايلند يفعل مثل هذه الامور بيديه. يدفع جسمه بحركة تشبه حركة الضفدع، فيظن بعض السائقين أن ثمة كائناً من كوكب آخر حط على الطريق أمامهم.

قطع بوب على يديه مسافة ٤٤٨٠ كيلومتراً من بوينا بارك في كاليفورنيا الى نصب فيتنام التذكاري في العاصمة واشنطن. واستغرقه ذلك ثلاث سنوات وثمانية أشهر وستة أيام. وفي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٦ اشترك في سباق ماراتون نيويورك لمسافة ٤٢ كيلومتراً. "ركض" المحارب القديم ابن الأربعين في الشوارع لمدة ٤٠ ساعة قبل أن "يقف" للراحة. وبعد يومين من انتهاء السباق كان لا يزال يركض في المضمار.

ويذكر بوب: "كانت الشرطة تسحب العوائق لما جئت الى الشارع وأنا أصيح: لم ينته السباق بعد! فأطل الناس من شرفات الابنية واخذوا يهتفون لي."

وفيما مئات الناظرين يحيّونه، اجتاز بوب خط الوصول مسجلا وقتاً بلغ ٩٨ ساعة و٤٧ دقيقة و١٧ ثانية.

معروف أن الركض لمسافات طويلة يزيد سعة القلب والرئتين ويقويها. ويطلق على كل رجل شجاع يعارك المصاعب لقب "ذي القلب الكبير." بوب وايلند هو صاحب القلب الكبير حجماً وتصميماً وعناداً.

جيم موراي

في "لوس انجلس تايمس"

مثال للشباب

يُنظر الى الرياضيين القدامى كأشخاص ينبغي للشباب التمثل بهم. كما يطلب منهم الظهور في إعلانات ينشرها التلفاز فيلبون الطلب بشغف. أحد لاعبي الكرة القدامى البارزين له قصة نسردها.

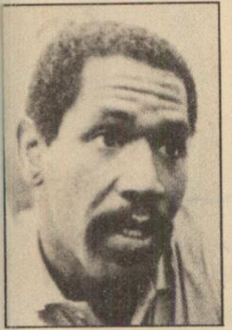

بوبا سميث

كان بوبا سميث نجماً في فريق جامعة ولاية ميشيغان وفريق "بالتيمور كولتس" للمحترفين. وفي أواخر السبعينات ظهر في اعلانات عن شراب "ميلر لايت." وفي أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٥ قاد عرضاً كبيراً في الجامعة التي تخرّج فيها فأصابته خيبة أمل لدى سماعه طلاباً بين الحضور ينشدون أغنية "ميلر لايت." وهو يذكر: "فجأة أخذ جانب من الشارع يصيح: طعمها لذيذ! فيجيب الجانب الآخر: لا تتخم! وذلك أزعجني كثيراً." وزاد من انزعاج بوبا رؤيته بعض الطلاب في حال هذيان. لذا قرر تلك الليلة وقف العمل في الاعلانات.

لكن شركة "ميلر" تصرّ على أن الاعلانات موجّهة الى مشاهدين اكبر سناً. ومهما يكن فقد خلص بوبا الى أن الاعلانات تؤثر في الشباب أيضاً.

القرار الذي اتخذه بوبا كلفه كثيراً. لكنه ما ان أيقن مدى تأثير اعلاناته في الاحداث حتى قرّر وقفها، ونفذ قراره.

من "نيويورك تايمس"

سائق المرضى

في العام ١٩٧٣ أُخبر جون بيني وزوجته واندا أنهما مصابان بداء السرطان. لذا باعا مكتبهما التجاري في ميلووكي بولاية ويسكونسن بعدما عملا فيه ٢٦ عاماً من زواجهما، وحاولا العيش ما تبقى لهما من حياة براحة واطمئنان. بالنسبة الى جون كان الداء قابلا للعلاج، أما واندا فلا. وبعد أربع سنوات من العلاج الكيميائي والاشعاعي أخبرت واندا زوجها ذات يوم في فلوريدا أنها راغبة في العودة الى مسقط رأسها لتودع الدنيا هناك.

بعد وفاتها في فبراير (شباط) ١٩٧٧ أراد جون أن يفعل شيئاً يخلد ذكرى واندا. لذا قصد، في ابريل (نيسان) ١٩٧٧، الفرع المحلي لـ"جمعية السرطان الامريكية" وعرض هناك فكرة. ففي غضون السنوات المريرة التي نقل خلالها واندا من المستشفى واليه، كان يندهش لرؤية مرضى كثيرين ينتظرون وسيلة تنقلهم الى بيوتهم. فخاطب أعضاء الجمعية: "أعطوني سيارة وبعض المال ثمن وقود وأنا على استعداد لنقل المرضى الى منازلهم. أنا وحيد وفي استطاعتي القيام بعمل نافع على الاقل."

اليوم بلغ جون بيني الثانية والسبعين من عمره، وهو ينقل مرضى كل يوم تقريباً تخليداً لذكرى واندا. وفيما كان يقود سيارته ذات يوم من سبتمبر (ايلول) ١٩٨٥ سقط جرار يزن سبعة اطنان عن شاحنة أمامه وصدم سيارته وكاد يقتله. ولكن بعد ستة أشهر وجراحات عدة عاد جون الى عمله التطوعي.

من "نيوزويك"

رواية واقعية

قرأت في احدى روايات الجاسوسية أن بطل القصة خبأ رسالة في تمثال في العاصمة الامريكية واشنطن. وحين زرت تلك المدينة أردت أن أتثبت من أن في التمثال تجويفاً صغيراً كما ذكر الكاتب، يمكن وضع رسالة فيه.

وقد وجدت، لشدة دهشتي، ان هناك تجويفاً صغيراً فعلا. وعثرت فيه على رسالة ملفوفة كتب فيها أحد قارئي الرواية: "انها رواية جيدة. أليس كذلك؟"

ج.س.

قلعة سينمائية

صُمم في أحد الاستوديوهات السينمائية مشهد ضخم يمثل قلعة. وقبل بدء التصوير انهارت القلعة فجأة. ووسط الجلبة وصل المخرج صارخاً: "هل عرف المنتج بالامر؟"

أجاب أحد العمال: "يجب أن يكون قد عرف، لأنه تحت الانقاض."

م. و.

جهاز يُغْني عن جراحة

الزَّور أو الانحراف الجانبي في العمود الفقري يصيب الأطفال على وجه الخصوص. وهذا المَيَلان قد يزداد سوءاً مع الوقت ويقتضي جراحة.

واذا عولج الأمر في بدايته باستخدام طوق للظهر، فهذا يُغني عن الجراحة في معظم الحالات. ولكن على المصاب أن يلبس الطوق ٢٣ ساعة يومياً حتى سنّ البلوغ. وكثيرون من الأحداث المبتلين بدرجة خفيفة من هذه العلّة بات في استطاعتهم استخدام "طوق" الكتروني، وهو عبارة عن أقطاب كهربائية توضع ليلا على الظهر قرب العضلات الخارجية المحيطة بموضع الانحراف. وتتولى الذبذبات الكهربائية الضئيلة إثارة الحركة العضليّة، الأمر الذي يُبقي الانحراف في مكانه من غير أن يقوّيه بالنسبة الى معظم الاولاد. وقد أنتجت شركة "مدترونيك" في مينيابوليس (ولاية مينيسوتا) جهازاً من هذا النوع، فيما أنتجت شركة "نيوروميديكس" في بلدة كلوت (ولاية تكساس) جهازاً آخر. وثمن الجهاز الواحد في حدود الألف دولار. وقد أقرّت إدارة الغذاء والدواء الأمريكية هذين الجهازين للانحرافات التي تقل عن ٤٠ - ٤٥ درجة بالقياس الى العمود الفقري. وهي انحرافات على هيئة هلال. أما الانحرافات الأكثر تعقيداً والتي تتخذ شكل الحرف S فتجرى عليها تجارب عياديّة لاختيار العلاج المناسب. وأوساط الطب التقويمي تفضل الجراحة في هذه الحالات لأنّ نتائجها مضمونة أكثر من نتائج استخدام الطوق. الا أن المؤسسة الوطنية الأمريكية للزَّور ترى أن ٩٠ في المئة من العمليات الجراحية الخاصّة بالانحرافات المعقّدة سيُستَغنى عنها في الجيل المقبل.

مجلة "ديسكافر"

بالون لخفض الوزن

اذا أدخل بالون معدة شخص مصاب بالبدانة المفرطة فانه يؤدي الى نقص في الشهية. ومع اتباع نظام حمية فانه يؤدي الى نقص في الوزن ايضاً.

ان قرابة ٨٠ بديناً ممن تابعوا هذا البرنامج نقص وزنهم ١٨ كيلوغراماً بعد ستة اشهر و٣٥ كيلوغراماً بعد عشرة اشهر، كما أعلن الدكتور لويد غارين الاختصاصي بامراض المعدة والامعاء في مدينة ولمنغتون بولاية ديلاوير. واصيب خمسة مرضى بالقرحة، لكنهم شفوا بعد اخراج البالون. وعشرة في المئة من البالونات فرغت من الهواء بعد ثلاثة أشهر. كما اقتضى اجراء جراحة لمريض واحد لاخراج البالون.

في هذه العملية التي تجرى في عيادة الطبيب، يعطى المريض مسكناً خفيفاً. ويدخل بالون بحجم ١٠ سنتيمترات × ١٣ سنتيمتراً في معدته، ثم يملأ هواء.

معظم الخاضعين لهذه العملية شعروا

انهم شبعوا في وقت أسرع من السابق. كما شعروا بجوع اقل بين الوجبات وهم يتبعون الحمية ويتناولون بين ٨٠٠ و١٠٠٠ وحدة حرارية يومياً. ويتوقع غارين ان يشيع استعمال البالون في منتصف العام ١٩٨٧. وقد وافقت ادارة الغذاء والدواء في الولايات المتحدة على استعماله كتدبير موقت ومساعد للحمية ولتنظيم نمط التغذية لدى المرضى الذين يزيد وزنهم ٤٠ في المئة على الوزن المثالي. وكان متوسط الوزن الزائد اثناء الدراسة ٤٥ كيلوغراماً.

نشرة "أخبار الطب"

الغناء يطيل العمر؟

غنِّ وتابع الغناء وإن سدَّ أفراد عائلتك آذانهم بأيديهم، لان الغناء ربما أطال عمرك. هذا ما تشير اليه دراسة كاتلين ماكورميك من مركز أبحاث الشيخوخة في الولايات المتحدة.

في دراسة ماكورميك جرى فحص عمل القلب والرئتين لدى عشرين من مغني الاوبرا تراوح اعمارهم بين ٤٨ و٦٥ عاماً، ومقارنتهم مع مجموعة من الشباب الذين لا يمتهنون الغناء. فأظهرت الدراسة ان عضلات الصدر وقدرة دفع القلب للدم هي أقوى لدى المغنين. وبعض هؤلاء من المدخنين، وبعضهم لم يقم بأي نشاط جسدي، لكنهم حافظوا على تنفس عميق يدخل كميات كبيرة من الهواء الى الرئتين. وتعمل قلوبهم بفاعلية اكبر، ومعدل نبضهم أخف منه لدى الذين لا يغنون وكلهم دون الاربعين من العمر.

يضعف أداء القلب والرئتين طبيعياً مع التقدم في العمر لدى غالبية الراشدين، ويزداد الضعف لدى المدخنين والاشخاص الذي لا يؤدون أي نشاط جسدي. لكن هذه الدراسة تدل على أن في الامكان ابطاء الضعف بواسطة الغناء. وهذا يفسر لماذا يعمِّر المغنون المحترفون عشرين سنة وأكثر على الذين لا يغنون.

الجمعية الامريكية للرئتين

جراحة للمتخلفين عقلياً

عندما تشاهد ولداً مصاباً بداء "داون" (المنغولية) فلن تخفى عليك حاله، اذ إن سيماءه على وجهه وتدل على تخلفه. لكن الجراحة التقويمية (التجميلية) نجحت في تحسين هذه الصورة لدى بعض الاولاد المصابين. ويعتقد محبذو الجراحة أنه اذا أزيلت السمة المميزة من وجه المتخلف، زال حاجز رئيسي يحد من قدرته على التثقف والنشاط الاجتماعي. وفي تقرير للجراح الالماني الغربي رولف أولبريش الذي اجرى اكثر من ٣٠٠ جراحة من هذا النوع، ان "التحسن العمومي لدى هؤلاء الاولاد الذين يعيشون على هامش المجتمع مدهش حقاً."

ولكن هناك من يعترض بشدة على الجراحة. يقول الدكتور ميرون بيلفر رئيس دائرة علم النفس في مستشفى كمبريدج بولاية مساتشوستس: "اذا أجريت الجراحة لتغييب المشكلة فانها تفسد العلاقة الطيبة بين الولد وأبويه."

قالت فتاة شقراء عمرها ١٤ عاماً كانت تتعافى من الجراحة: "لا أريد أن أرى الناس يحدقون الي بعد الآن." وأضافت أمها: "لقد أجرينا الجراحة من أجلها، لتفادي تحديق الغرباء الذي يشعرها بالخجل."

وكالة "غانيت"

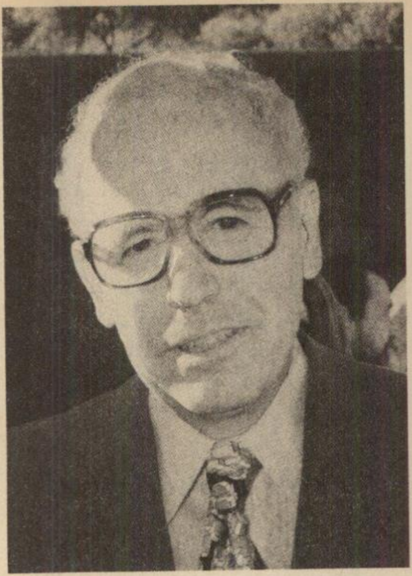

بعد "القطار" و"العجلات" و"العقار القوي" ماذا يخبىء لنا هذا الروائي العبقري؟

قصص هايلي يكتبها الدماغ الالكتروني

انها العاشرة والدقيقة السابعة والاربعون صباح ١٠ ابريل (نيسان) ١٩٨٤ في جزر البهاما، وقد أنهى آرثر هايلي، صاحب المؤلفات الاكثر رواجاً، طبع الفقرة الأخيرة من رواية "العقار القوي"(١) على الدماغ الالكتروني. وهي الرواية التي لم يتوقع أبداً أن يكتبها.

وفيما طابعة الدماغ الالكتروني تنقر الصفحة الأخيرة كان هايلي يدون في دفتر يومياته تاريخ المأثرة الاخيرة في سيرته المذهلة.

عندما كان الكتاب الذي يفشي أسرار مهنة الصيدلة مسودة أولية دفع ناشرون في أرجاء العالم مليوناً و٧٥٠ ألف دولار كندي(٢) مقدماً لحوز حقوق نشره. وبعد طباعته في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٤ توّج قوائم الكتب الاكثر رواجا، فجنى هايلي مليوناً و٧٠٠ ألف دولار ثمن حقوق الطبعة ذات الغلاف الورقي.

هذه الثقة العمياء التي يوليه اياها ناشرو كتبه مردها الى نجاحه الاستثنائي. فهذا الكاتب الكندي البالغ من العمر ٦٦

---

(١) Strong Medicine

(٢) الدولار الامريكي يعادل نحو ١،٣ دولار كندي. والمبالغ الواردة في هذا الموضوع هي كلها بالدولار الكندي.

عاماً والمولود في لوتون، بلدة الطبقة العاملة في بريطانيا، أغوى ملايين القراء لـولـوجـه الـعـوالم الـبـاطـنـيـة في المستشفيـات والفنادق والطـائـرات ومصانع السيارات والمصارف.

وبين العامين ١٩٥٩ و١٩٧٩ بيع من روايات آرثر هايلي ١٢٠ مليون نسخة، وقرئت في ٣٥ لغة في العالم. ولدى ظهور رواية "المطار" (٣) عام ١٩٦٨، تصدرت لائحة "نيويورك تايمس" للكتب الاكثر رواجاً مدة ٦٣ اسبوعاً متعاقبة (ثلاثين منها في المرتبة الاولى). فبزت بذلك روايته "الفندق" (٤) التي بقيت مدرجة على تلك اللائحة مدة ٥٢ اسبوعاً قبل ثلاث سنوات.

وبلغ منه رواج كتابيه "المطار" و"العجلات" (٥) في الاتحاد السوفييتي أن النسخ المترجمة الممزقة بيعت الواحدة منها بـ٦٠ دولاراً. وأصبح اسم هايلي ذائعاً في اليابان وظهر في اعلان تلفزيوني. ولكن بعد نشر روايته "العبء الثقيل" (٦) وهي السابعة خلال ٢٠ عاماً، أعلن أنه سيعتزل الكتابة والتأليف. كان مرهقاً وود أن يمضي أوقاتاً أطول مع زوجته شيلا. غير أن مسار "النص" الخالي من الانشغالات الذي رسم حبكته للفترة المتبقية من حياته، انعطف على نحو غير مرتقب.

في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٠ طار هايلي إلى سان فرنسيسكو لاجراء فحص طبي عام كعادته كل سنة. ثم توارى ليمضي عطلة وزوجته في مجاهل جبال سييرا نيفادا بكاليفورنيا.

وقبيل نهاية الرحلة، في المخيم الواقع على مرتفع في تلك الجبال، أحس هايلي بشعور غريب "كرفرفة جناحي طائر في صدري." لم يهدأ الشعور لكنه زال بسرعة. وفي هذه الاثناء كان الطبيب في سان فرنسيسكو يتمعن في نتائج الفحوص الطبية التي أجراها، فأدرك أن مريضه قد يصاب بنوبة قلبية خطرة في أي لحظة. ولكن لم تكن ثمة وسيلة للاتصال به.

بعد خمسة أيام من العزلة عاد هايلي الى سان فرنسيسكو حيث وجد رسالة من طبيبه في انتظاره. طار للحال الى هيوستن لاجراء جراحة طارئة لتحويل رباعي لمجرى الشرايين (٧). وأنقذت الجراحة حياته، لكنه آب الى بيته في ليفورد كاي بجزر البهاما مشاكساً في فترة نقاهته، يهجس بصحته في قلق بالغ. وتقول شيلا: "أخيرا أخبرته أني أفضل أن أعيش معه خمس سنوات أخرى عيشة طبيعية على عشرين سنة في الحال التي هو فيها." وأقنعته بأن ينصرف الى التأليف ثانية. وقد أثبت عمله على اعداد نص سينمائي لرواية "العبء الثقيل" وتأليف رواية "العقار القوي" أنه الوصفة الطبية الناجعة لبلوغ الشفاء التام. لقد انطلق هايلي مجدداً.

نقطة الانطلاق – ترك آرثر هايلي المدرسة في الرابعة عشرة منصرفا الى العمل. وكان المنعطف الأهم في حياته

---

(٣) Airport
(٤) Hotel
(٥) Wheels
(٦) Overload
(٧) Quadruple bypass

الدراسية الوجيزة نصيحة تلقاها من السيد سوالو أستاذ الرياضيات في لوتون خلال سنته الدراسية الاخيرة. وهو يذكر: "فيما كان الآخرون منهمكين في حل مسائل الجبر والهندسة التي كان ميؤوسا مني فيها، شجعني سوالو على كتابة القصص، ثم منحني علامة نجاح لا أستحقها في الرياضيات."

خلال الحرب العالمية الثانية عمل هايلي طياراً في سلاح الجو الملكي ونقل الى كندا. واذ عاد اليها عام ١٩٤٧ عُين مساعداً لرئيس تحرير صحيفة "النقل بالحافلات والشاحنات."

بحلول العام ١٩٥٤ بلغ هايلي الرابعة والثلاثين وكان سعيداً بزواجه الثاني من شيلا ويكسب دخلا وافراً يعادل ١١ ألف دولار سنوياً في قسم الترويج والاعلان بشركة للشاحنات والقاطرات في تورنتو. ولكن بلغ منه تململه انه دفع مئة دولار لتحليل امكاناته المهنية وخرج التقرير بنظرة بصيرية لافتة:

"موضوع الدراسة شخص متفوق الذكاء... ذو مخيلة مفعمة بالحيوية... ونزعة واضحة الى الاثارة... وابداع... سيحلق مؤلفاً وتضيع مواهبه في ميدان الصناعة." فقام هايلي من فوره وأمسك القلم. وجاءت النتائج سراعاً.

آرثر وشيلا التي أذكت طموحه، سيذكران دوماً مساء الثالث من ابريل (نيسان) ١٩٥٦. اذ كانا في غرفة الجلوس بمنزلهما البسيط في تورنتو فيما التلفاز يعلن: "رحلة نحو الخطر(٨) للكاتب آرثر هايلي." كانت مأساة عن مسافر يجبر على جعل الطائرة تحط باتباع التعليمات الاذاعية بعدما أدى تسمم طاقم الملاحين بالطعام الى مصرعهم جميعاً. وقد عنت الفكرة لهايلي خلال احدى رحلات العمل بالطائرة، فسطر نصه التلفزيوني الاول وأرسله بالبريد الى شركة التلفزة الكندية «CBC».

قلب هذا النص حياة آل هايلي. فقد أصاب العرض التلفزيوني نجاحاً باهراً. وفي ما بعد عرضته الشركة الوطنية الامريكية للتلفزة «NBC» نقلا عن «CBC» وأعادت بثه هيئة الاذاعة البريطانية «BBC» تلبية لرغبة الجمهور وأطلقت الصحافة على العرض اسم "مذنّب هايلي." وسرعان ما أتبع آرثر العرض بتمثيليات تلفزيونية مبتكرة: "ظلال الشك" و"قيد الزمان" و"طريق الصدام."

ثلاث سنوات – في ١٩٥٧ أعلنت شركة "ماكلين" ان هايلي ارتفع فجأة من خمول الذكر ليغدو الكاتب التلفزيوني الاكثر شعبية في كندا، وواحداً من الكتاب الستة الاكثر نجاحاً في العالم. ولكن في العام ١٩٥٩، بعد نشر روايته الأولى "التشخيص الأخير"(١٠) حقق هايلي ما صبا إليه. تقول شيلا في ذلك: "لن أنسى تعبير الانشداه على وجه آرثر حين أمسك النسخة الأولى من أول كتاب له."

منذ ذلك الحين وثب هايلي إلى النجومية. ولكنه على رغم شهرته ظل محتفظاً بعجب طفولي وبدا غافلا عن التهليل العالمي. وتذكر شيلا أن الطائرة

(٨) Flight Into Danger

(٩) Shadow of Suspicion, Time Lock, Course for Collision

(١٠) The Final Diagnosis

حطت بهما مرة في أحد مطارات البرازيل، فلاقتهما الانوار الساطعة المنبعثة من طواقم التصوير التلفزيوني. ونظر آرثر حوله مفتشاً عن الشخص المهم المحتفى به فقالت له شيلا ضاحكة: "لقد جاؤوا من أجلك أنت يا عزيزي."

وفرت له مؤلفاته حياة راقية. فذلك الولد القادم من لوتون والذي در عليه عمله الاول دولاراً وربع دولار في الاسبوع يعمل الآن في استوديو خاص في ليفورد كاي، وهي المعقل المقصور على كبار الاثرياء وتبعد ١٨ كيلومتراً عن ناسو عاصمة البهاما، موطن هايلي ومقره منذ العام ١٩٧٠. والاستوديو المستقل عن البيت بناء سداسي مكيف الهواء وعازل للصوت. داخله مكتب هايلي قبالة نافذة تطل على مشهد لارض تكتنفها شجيرات مورقة وحوض للسباحة وقناة بحرية يرسو فيها مركبه الخاص العابر المحيطات ومركب بخاري سريع. والى جوار المكتب دماغ الكتروني يستعمله آرثر في شحذ عمله وصقله. وهو يقول: "بعض الاحيان أعيد كتابة الجملة الواحدة ست مرات او سبعاً."

اعادة الكتابة هذه ايماءة الى النظام الصارم الذي يتبعه هايلي لبلوغ النجاح. وتستغرق كتابة كل مؤلف نحو ثلاث سنوات، تخصص احداها للابحاث.

"وجدتها!" – من اجل المسرحية التلفزيونية "العقار غير المميت"(١١) التي عرضت عام ١٩٥٧ وبنيت على أساسها رواية "التشخيص الأخير"، أمضى هايلي ستة أسابيع في أحد المستشفيات لابساً رداء ابيض ومراقباً الاطباء وهم يعملون، كما حضر تشريحاً لعدة جثث.

وفيما كان يعد الابحاث لرواية "العجلات" عام ١٩٦٨ سافر لمدة تسعة أشهر. وبعد كل غياب يستمر ثلاثة أسابيع، كان يعود متوتراً ومتبرماً. وفي نهاية المطاف ثارت شيلا قائلة: "بدأت تتصرف كمدير تنفيذي لمصنع سيارات."

فرد عليها: "أنت على حق. بدأت أفكر كمدير. لقد آن الأوان لأشرع في الكتابة."

وقد استلزمه التحدي استكناه أسرار مهنة الصيدلة من اجل كتابة "العقار القوي." وذات مرة فيما كان يجري مقابلة مع صاحب مصنع كبير للادوية طرح في الاسواق دواء ذا مفعول مشؤوم مميت، قص عليه هايلي رواية مضخمة غير مطابقة للوقائع، فلم يقو المدير على مغالبة نزعته الى تصويبها. وبغية الحصول على التفاصيل المهمة أخذ هايلي عهدا، كعادته دوماً، بأن يبقي أسماء مصادره طي الكتمان.

واذ كان مهووساً بالدقة فقد أجرى ١٣٢ مقابلة في ٣٢ مكاناً بالولايات المتحدة وكندا لرواية "العقار القوي." وأمضى ساعات مع مستشاريه الرئيسيين، وأحدهما طبيب والآخر عالم.

وهو، بخلاف بعض المؤلفين، لا يستخدم باحثين بل يجمع الحقائق بنفسه ويلقمها الدماغ الالكتروني. وتصرفُ الاشهر الستة اللاحقة في التصميم وكتابة المسودات التمهيدية المفصلة التي قد تبلغ ثلاثاً أو خمساً.

(١١) No Deadly Medicine

عملية الكتابة مكثفة، تستغرق وقتاً وتصيب الكاتب بالوحشة. تنساب الافكار في أي حين، فقد يعود هايلي من حوض السباحة وهو يعض أصابعه قائلا: "وجدتها!" وخلال الاستحمام يركز على قصته حتى يبرد الماء، فتقرع زوجته الباب وهي تنادي: "أتدري أنك في الداخل؟"

نظام صارم – تستغرق الكتابة ما بين سنة و١٨ شهراً. خلال ذلك الوقت يبلغ استغراق هايلي في شخصيات قصصه أنها تنعكس في طباعه. وعندما كان يكتب مشهد القنبلة في رواية "المطار" استبدت به الحماسة فأخذ يحوم في المنزل.

وفيما هو يكتب فصلا من رواية "الصرّافون" (١٢) حيث يزور أحد الشخصيات زوجته المجنونة في المستشفى، يغرق في الكآبة فتعمل أسرته جهدها لاعادة البهجة إليه.

ومع أن الكتابة عمل خلاق فان هايلي عمل لسنين بانتظام ورتابة، محددا لنفسه مقداراً معيناً من ٦٠٠ كلمة ينهيها كل يوم على مدى خمسة أيام أسبوعياً. وباستعمال الدماغ الاكتروني للمرة الأولى فيما كان يكتب "العقار القوي،" ضاعف انتاجه اليومي. وقد أنجز الكتاب قبل الموعد المضروب بأربعة أشهر. وهو يستخدم الدماغ الالكتروني ايضاً لحفظ سجلاته المترعة بالتفاصيل، ولتعقب مجموعاته الموسيقية وسجلاته المالية.

أما بقية حياة هايلي فمنتظمة بصرامة كعاداته الكتابية. وقد استمر في تأدية تمارينه يومياً طوال ٢٥ سنة، وهي التدريبات المحددة في سلاح الجو الكندي وتستغرق عشرين دقيقة.

وبعد الجراحة التي أجريت لقلب هذا الكاتب الاسمر البالغ طوله ١٧٥ سنتيمتراً ووزنه ٧٣ كيلوغراماً، أضاف تمرين المشي مسافة ثلاثة كيلومترات بعد ظهر كل يوم.

هايلي المتجدد منهمك الآن في إعداد الابحاث لرواية جديدة يتوقع أن يفرغ منها في اواسط العام ١٩٨٨. هذه المرة ارتفعت حقوق الطبع المدفوعة الى مليوني دولار. وكالعادة لا يشي هايلي بموضوع روايته، اذ ان ناشري كتبه يخافون تسرب الاخبار الى ناشرين أخرين فيعمدون الى نشر مواضيع مماثلة.

لكن أنصار هايلي موقنون أن بحثه سيكون شاملا، بصرف النظر عن الموضوع، والحبكة مشغولة على نحو متقن، والكلمات والتعابير مشذبة مرة تلو أخرى كي تعطيهم أفضل ما يقدر عليه هايلي.

ترى ما الذي يبقي هايلي منخرطاً في هذا العمل المضني على رغم اكتفائه المادي؟ التعليل الابسط كامن في تعليق له اورده قبل سنين: "كل ما أريد هو أن يكتب على شاهدة ضريحي عبارة: كان قاصّاً."

رونالد كيث

(١٢) Moneychangers

العرفان ذاكرة القلب. ج.ب. ماسيو

نكهة الحياة

في التحوّل الى الأبوة

تكتسب الكائنات البشرية عادات يصعب التخلّص منها

ممّا لا شك فيه أن الملاحظات الأقل لزوماً هي تلك التي يتفوّه بها الأهل موجهة إلى الأبناء. وأصبح هذا الأمر واضحاً بالنسبة إليّ في الصيف الماضي حين كنت أتمشى برفقة إبني البالغ من العمر ٢٥ عاماً.

كان الجو حاراً. وبعد ربع ساعة خلع آدم قميصه ومشى عاري الصدر حاملا القميص بيده. وفيما نحن نتمشى طغت غريزتي الأبوية وسألته: "ألا تشعر بالبرد."

فأجابني بصبر: "لا يا أبي. فلو كنت أشعر بالبرد لارتديت قميصي."

ابني يحمل شهادة جامعية ويعمل منذ سني الفتوة. ولو سألني أحدهم من خارج العائلة: "هل تعتقد أن آدم يتمتّع بمقدار كاف من الذكاء ليرتدي قميصه اذا شعر بالبرد؟" لأجبت: "حتماً!"

لكنني أب. والالتزام الأبوي يقرر أنني ما لم أعبّر عن إهتمامي فإن ابني سيتجمد من البرد في تلك الصبيحة المشمسة وهو يحمل قميصه بأصابع متيبسة.

هل من أب دخل غرفة ولده فوجده يقرأ وهو جالس في مقعد وثير، ولم يقل: "المكان حار جداً هنا"؟ وهل من أم لم تنصح أبناءها المراهقين أو البالغين: "لا تنسوا أن تأكلوا"؟ فلو لم تكن الأمهات حاضرات دوماً لتذكير الأبناء بضرورة تناول الطعام لانقرضت الكائنات البشرية جميعاً. وربما كان ذلك ما حصل فعلا لحيوانات الدينوصور.

أعرف طبيباً نفسانياً ناجحاً في عقده السادس اصطحب والدته إلى المسرح. وبعد سدل الستارة، فيما هما يعبران

Condensed from The New York Times (June 28, '86),
© 1986 by The New York Times Co., New York, N.Y.

الممرات عائدين إلى سيارة الابن الفخمة، إلتفتت إليه والدته سائلة: "ألا تريد الذهاب الى المرحاض؟"

الطبيعة الحكيمة وهبت الاولاد مرونة لتحمّل هذه التصرفات مدى الحياة، وكأنها أدركت أنه في مرحلة ما من التحوّل إلى الأبوة تكتسب الكائنات البشرية الذكية نزعة عرضية إلى تبني مواقف شبه حمقاء أثناء التحدث إلى أولادها.

للأهل عزاء واحد، فهم يعرفون أن أولادهم سيمثلون الدور نفسه مع أبنائهم حين يكبرون. وقد يعتقد الأهل أنه يفترض فيهم تأدية دور تعليمي ووقائي. فحتى الطائر لا بد من أن يحشر كمية زائدة من الطعام في مناقير فراخه.

وتختلف أنظار الجيلين إلى المسألة. وما من لغة معروفة لدى بني البشر تقوى على رأب هذا الصدع. وسنجد الأهل دوماً منتظرين عودة الابناء والبنات الى دفء احضانهم.

ويتعلّم معظم الأهل مهارة في الاتصال هي فن إلقاء تحية بسيطة قبل النوم.

ادوارد هاندمان

حذاء الكلب الصغير

كان زملائي في العمل يدركون المشاكل التي اواجهها منذ اشتريت الجرو الجديد. وذات صباح سألوني عنه فأجبتهم: "لدي أخبار سيئة وأخرى جيدة. اما الخبر السيىء فهو أن الجرو التهم فردة حذائي المفضل. وأما الخبر الجيد فهو أن هذه الفردة هي رفيقة الفردة التي التهمها الأسبوع الماضي.

حديث دراجات

صرخ درّاج الى آخر عبر الطريق: "كيف اصِل إلى ذاك الجبل؟"
فرد الدراج الثاني: "ماذا قلت؟"
– أريد الذهاب إلى ذاك الجبل.
"إذهب، فمن يمنعك؟"

ص.ب.

طبيب اطفال

اعتاد طبيب ملاحظة مرضاه الصغار بغية اختبار مدى معرفتهم بأجزاء جسمهم. وذات يوم سأل صبياً صغيراً وهو يشير إلى أذنه: "أهذا أنفك؟"
فالتفت الصبي الى أمه وقال لها: "أظن أنه يجدر بنا البحث عن طبيب آخر!"

ا.ل.

ينابيع القوّة

محرر جوّال في الـ"ريدرز دايجست" كتب عن مئات الاشخاص الذين انتصروا على المحن، واكتشف في كل مرة أن هؤلاء استندوا الى حكم تذكروها

ذات مساء من العام ١٩٨٥ كان صاحب فريق "واشنطن ردسكينز" لكرة القدم، جاك كنت كوك، يذرع مقصورته في مدرَّج ملعب روبرت كندي وفريقه يخسر أمام "نيويورك جاينتس." فلقد كان لاعب "ردسكينز" جون ريغنز مصاباً في ظهره وبدا مهزوماً. أما نجم الفريق جورج روجرز فأفلت الكرة غير مرة وضيَّع فرصاً عدة. وما لبث جو تايسمان أن تعثر فوقع وكسر رجله.

فهدأتُ كوك: "لا تستسلم."

– أنا أستسلم؟

ثم استشهد بالشاعر البريطاني جون دريدن:

إني جُرحت
لكن جرحي ليس مميتاً.
سأستلقي أرضاً
كي أنزف قليلا،
ثم أنهض
وأحاربك من جديد.

عندذاك قلت له: "إن جدّي يا جاك لم يسمع بالشاعر دريدن، ومع ذلك فاليك ما

Illustration: Gretchen Schields

قاله لي خلال الازمة الاقتصادية عام ١٩٣٠: ليس كل مرض موتاً ولا كل وداع رحيلا."

في تلك اللحظة دخل جي شرودر الملعب وهو لاعب جديد لم يسمع به إلّا قليلون. فأدّى دوره ببراعة. وفيما عاد الحظ يحالف فريقه أتى كوك الى حيث كنت جالساً وسألني: "ما الذي قاله جدّك؟ ليس كل مرض موتاً...؟" وهكذا انتصر فريقه على فريق "جاينتس."

غالباً ما يستشهد كوك اليوم بجدي. فشأن كثير من المنجزين يعيش كوك بقوة الكلمة، تلك التي تمسح خيبة الأمل وتجرّىء القلب لخوض التحديات التي يخبئها المستقبل.

لقد عاش كوك كثيراً من المحن. فعندما كان في الثامنة عشرة من عمره تعرّض أبوه لأزمة مالية حادة إبّان الانهيار الاقتصادي عام ١٩٣٠، فوجد نفسه فقيراً بين ليلة وضحاها. تخلّى عن تحصيله العلمي وراح يساعد والديه فيبيع الموسوعات العلمية. وأثناء تجواله لبيع الكتب تعلم الكثير عن قوة الكلمة. ورأى عالماً من ناس يبيعون أنفسهم وأفكارهم وقضاياهم كما صفقاتهم التجارية. ولاحظ أن الكلمات التي تستعمل بدقة تصنع بائعاً بارعاً. فلمع في استعمالها وباع من جرّاء ذلك الكثير من الموسوعات، ثم الصابون، وأخيراً فكرة لانشاء سلسلة من المؤسسات الصحافية والمحطات الاذاعية. ولما بلغ الثلاثين من عمره كان أصبح مليونيراً يملك ثلث الأسهم في امبراطورية اعلامية أنشأها مع رفيق كندي يدعى روي طومسون.

وكانت عظة كوك المفضّلة: "لا تكتفِ بأمجادك السابقة."

انتقل الى لوس انجلس عام ١٩٦٤ واشترى حصّة في فريق "واشنطن ردسكينز" الذي اكتسب أخيراً ملكيته الكاملة. عام ١٩٦٥ اشترى فريق "لوس انجلس ليكرز" لكرة السلة وشيّد منتدى لوس أنجلس الذي باعه بعدئذ بربح كبير. لكنه في ذاك الحين استورد من بريطانيا فريقاً لكرة القدم، فمني بخسارة مليون ونصف مليون دولار خلال سنتين. لكنه تناسى سوء طالعه مستشهداً بما جاء في مسرحية "ماكبث" لشكسبير: "ما حصل قد حصل."

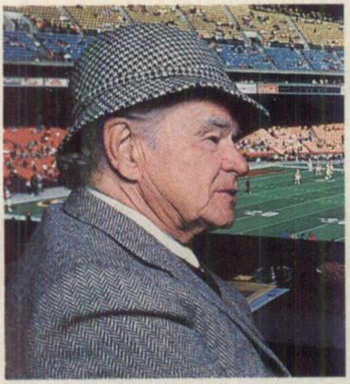
Frank Johnston

جاك كنت كوك

عام ١٩٧١ كاد كوك أن يشارف الكارثة. فهو تنازل لارفينغ كاهن عن حقه في التصويت كجزء من اندماجه في شركة "تلبرومبتر." وما لبث كاهن أن اتهم بالرشوة. فشنّ كوك حملة شعواء مطالباً بمنحه تفويضاً كاملا لمسؤوليات كاهن، وكسب في النهاية السيطرة على "تلبرومبتر."

لكن الصراع اقتضى دفع جزية كبيرة. وفي العام ١٩٧٣ أصيب كوك بنوبة قلبية حادة. ومع ذلك فقد ترك مزرعته الهادئة في كاليفورنيا وذهب الى مدينة نيويورك حيث أنجز معجزة مالية. فهو لم ينقذ "تلبرومبتر" فحسب بل كسب ثروة ببيعها الى شركة "وستنغهاوس."

"ليس كل مرض موتاً..." هذا ما كان كوك ليقوله لو قدّر له أن يعرف جدّي آنذاك.

الرجاء لا يخذل

كان ماكس كليلاند ابن بائع متجوّل من ليثونيا بولاية جورجيا الامريكية. وفي مدرسته الثانوية لمع في ألعاب كرة السلة والمضرب والقاعدة وفي السباحة وانتخب كأبرز طالب متخرج. وكان الشاب المديد القامة العريض الكتفين نجماً في موطنه. فعندما خدم كضابط في الجيش في سنّه الرابعة والعشرين، تطوّع للذهاب الى فيتنام حيث حاربت كتيبته الجوية مع سلاح البحرية في حصار "كيه سانه" الرهيب.

وفي ٨ أبريل (نيسان) ١٩٦٨، قبل شهر واحد من عودة كليلاند الى وطنه، أُنزلت فرقته على هضبة بالقرب من مخيمها. ولاحظ كليلاند سقوط قنبلة فتحرك ليسحبها، إلّا أن الانفجار قذفه الى الوراء. وعندما نظر الى جسمه أدرك أنه فقد يده اليمنى ورجله اليمنى. أما رجله اليسرى فكانت مشوّهة على نحو رهيب (ولم يطل الوقت بها فبترت). أجهش بالبكاء لكن صوتا لم يخرج من حنجرته، فقد مزّقتها الشظايا.

لم يتوقع أحد أن يبقى كليلاند حياً. لكنه عاش حياته يقرأ الكتاب المقدّس. وتذكّر كلام رجل بارّ: "طوبى لراكبي الشدائد. فالشدة تصنع الصبر، والصبر يصنع المثابرة، والمثابرة تصنع الرجاء، والرجاء لا يخذل صاحبه."

بتذكره هذه الكلمات تكراراً استطاع كليلاند المكافحة للمحافظة على رجائه.

بعد عودته الى الحياة المدنية دخل كليلاند معترك السياسة. فشغل ولايتين

Ron Shehman

ماكس كليلاند

في مجلس الشيوخ في جورجيا. ثم خاض حملة انتخابات لمنصب نائب الحاكم لكنه خسر فكانت صدمته عنيفة لكنه قوّى عزيمته بعبارة للروائي والناقد البريطاني ألدوس هكسلي: "ليست التجربة ما يحدث للمرء، بل هي ما يفعله المرء بالذي يحدث له."

تعلّم كليلاند قيادة سيارة خاصة وراح يطوف في الولايات المتحدة منادياً بدعم

قدامى المحاربين الامريكيين. وفي العام ١٩٧٧، وكان في الرابعة والثلاثين من العمر، عينه الرئيس الامريكي السابق جيمي كارتر رئيساً لادارة قدامى المحاربين، فكان أصغر من شغلوا هذا المنصب. وفي ١٩٨٠ عاد كليلاند الى مسقط رأسه، وفي ١٩٨٢ انتخب وزيراً للداخلية في ولاية جورجيا. وأعيد انتخابه عام ١٩٨٦.

يعتبر كليلاند اليوم مصدر الهام في أرجاء أتلانتا عاصمة جورجيا. وغالباً ما يُرى في أحد ملاعب كرة السلة، يجول في مقعده النقال متحدياً الشباب في إصابة السلّة. وقد سجّل ذات مرة ١٨ هدفاً بيده اليسرى الوحيدة.

يقول: "لا تدور الحياة حول يد ورجل. فالناس ينظرون اليك كما تنظر أنت الى نفسك." ويؤكّد أن الكلمات التي تمدّه بأسباب الحياة مقتبسة من رواية "وداعاً أيها السلاح" للروائي الامريكي إرنست همينغواي: "العالم يكسِر الجميع، وبعد ذلك يبقى كثيرون أقوياء حيث كسروا."

كلمات أم

للمحن أشكال عدة. كانت محنة جون جونسون أنه ولد زنجياً فقيراً في مدينة أركنساس عام ١٩١٨ عندما استعادت جمعية "كو كلوكس كلان" المتطرفة(★) نشاطها. مات والده في حادث سيارة عندما كان جون في السادسة من عمره. وكان يدنو من سن دخول المدرسة الثانوية في مدينة لا تسمح للزنوج بمتابعة دراستهم الثانوية.

لكن الحياة توفّر طرقاً مختلفة للانتصار على المحن، كأن تكون والدة المرء امرأة حنوناً قوية العزيمة. ويذكر جون جونسون أن والدته قالت له غير مرة: "يا بني، يمكنك أن تكون ما تشاء بشرط أن تؤمن بذلك." وعلّمته ألّا يتكل على الآخرين، بمن فيهم أمه: "عليك أن تكسب النجاح. صحيح أن ليس جميع الذين يعملون بجد ينجحون، لكن الذين ينجحون هم الذين يعملون بجد."

هذه الكلمات نطقت بها امرأة لم تتعدَّ ثقافتها الصف الابتدائي الثالث. لذلك كانت تعرف أن الايمان والاجتهاد لا يسعهما وحدهما أن يبطلا خطر الامية. لذا

جون جونسون

جهدت في عملها كطباخة في مخيّم للعمال مدة سنتين لكي توفّر ما يسمح لها بأخذ ابنها الى شيكاغو عندما يبلغ الخامسة عشرة من عمره.

لم تكن شيكاغو عام ١٩٣٣ أرض

(★) جمعية سرية أمريكية نشأت بعد الحرب الأهلية لترسيخ سيطرة البيض على الزنوج.

الميعاد التي ينشدها الزنوج الجنوبيون. فلم يسع والدة جون وزوجها أن يجدا عملا. لكن جون استطاع هناك أن ينتسب الى المدرسة. وقد تعلّم قوة الكلمة عندما أصبح رئيس تحرير صحيفة المدرسة.

عمل جون بعد ذلك ساعياً في الشركة الامريكية للتأمين على الحياة، فكان يكسب ٢٥ دولاراً في الشهر. ثم كلفه مدير الشركة هاري بايس مهمة قراءة الصحف وتلخيص أهم الاحداث التي تجري في أوساط السود. فأقنع هذا التلخيص جونسون بوجود سوق لمجلة جديدة للزنوج.

وفيما راح الآخرون يثبطون عزيمته قدمت اليه أمه مزيداً من الحِكَم: "لا يغلب الاخفاق الا المحاولة." وسمحت لابنها برهن أثاث البيت ليحصل على ٥٠٠ دولار ويباشر العمل في مجلة "نيغرو دايجست." وبعد ثلاث سنوات، عام ١٩٤٥، ظهرت مجلة "ايبوني."

ولكن بعد ستة أشهر شارف جونسون الافلاس. فقد حققت مجلة "ايبوني" نجاحا كبيراً بين القرّاء، لكنها لم تستقطب أي اعلان من شركة بارزة.

وكانت أمّه تقول له: "يا بني، الاخفاق كلمة لا يتضمنها قاموسك." ولاحظت أن معظم أصدقائها يملكون أجهزة راديو من ماركة "زينيت." لذا لا بد لشركة "زينيت" من أن تدرج اعلاناتها في مجلة "ايبوني." اتصل جونسون بمدير الشركة أوجين ماكدونالد الذي احتج بأنه لا يدير قسم الاعلانات. لكن إقدام جونسون أثّر فيه فحدد له موعداً وحذره: "ان تحدثت عن الاعلان، أخرجتك من مكتبي."

وخلال اللقاء أعجب ماكدونالد بجونسون فمنحه اعلاناً. ثم اتصل بأصدقاء له يملكون شركات كبرى وأقنعهم بانزال اعلاناتهم في مجلته.

أما اليوم فقد أصبح المستعطي السابق رئيس مجلس ادارة الشركة الامريكية للتأمين على الحياة والمالك الوحيد لدار النشر "جونسون" التي تصدر مجلة "ايبوني." وهو يملك أيضاً شركة لمستحضرات التجميل ومحطات اذاعية وشركة انتاج تلفزيوني وداراً لنشر الكتب. وهو عضو في مجلسي ادارة "كرايزلر" و"غريهوند" وسواهما من الشركات الكبرى. كما يرئس مجلس الاستشارة في كلية هارفرد للتجارة ومجلس "الصندوق الزنجي للتعليم الثانوي." وقد ذكرته مجلسة "فوربس" المالية كأحد أغنياء أمريكا الاربعمئة، اذ انه يملك ١٥٠ مليون دولار.

وبصرف النظر عن ثروته يتمتع جونسون باحترام قرّائه وله فيهم الأثر البالغ. وتحقق كل ذلك بفضل كلمات أمه التي يعيش بها، وهي علمته أن يعمل بجهد مهما تكن المحن وأن يؤمن ويستمر في المحاولة. وهو ما زال يحاول، الى اليوم.

كلنا نحتاج الى معلّم يزوّدنا كلمات تحملنا على جناحها الى أحلامنا العليا.

كارل روان

دارِ الكلمات، لأنها اقوى من القنابل الذرية.

بيرل ستراكان هورد

عَالمُ كرُولرْ

التماثيل في "حديقة المينا" (١) للفنان الفرنسي جان دوبوفيه بدت في نور الشمس ساطعة بيضاء خيالية وأنا جالس في الحديقة المكشوفة. صبّت من اسمنت ومواد كيميائية وانتصبت بجرأة أمام ستار الاشجار الخضر. خلافاً لمعظم متاحف المدن، المحصورة بين بيوت وشوارع مزدحمة، يقع متحف كرولر - مولر في قلب أوسع محمية طبيعية في هولندا.

على بعد سبعين كيلومتراً جنوب شرق العاصمة أمستردام يقع المتنزه الوطني "هوج فليوفي" الذي يضم حوالى ٥٥٠٠ هكتار من الغابات الابكار والمستنقعات، وهو موطن ثانية أغنى مجموعة من أعمال الرسام الهولندي فنسانت فان غوغ

(١) Jardin d'Email

Photo: Emil de Haas

لمسة سحر وحب أضفت على هذا المتحف الفني جمالا طبيعياً أخاذاً

"الفرس والخيّال" للفنان الايطالي مارينو ماريني، لوحة تضج حياة في غرفة يملؤها ضوء النهار.

"أوترلو" العائم للفنانة الهنفارية مارتا بان.

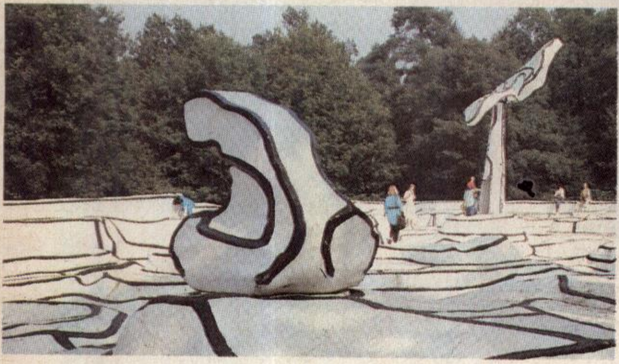

مُولَـــرْ

وأوسع حديقة للتماثيل في أوروبا. في وضع كهذا، كما سمعت عَرضا من زائر آخر يشرح لعائلته، "تلمسون معنى الفن."

أستبدلت بسيارتي دراجة هوائية في مركز الزوار عند احدى البوابات الثلاث المؤدية الى هوج فليوفي. ركوب الدراجة الى المتحف مروراً بالغابات والمستنقعات الموشاة بنبات الخلنج مستنشقاً نسيم الصباح النقي هو الطريقة المثلى لاكتساب مزاج واع.

عند مدخل مجمّع المباني حيّيت "السيد جاك"، التمثال البرونزي الانيق الذي صنعه النحات أوزفالد فنكباخ. في المبنى المنخفض للمتحف الذي يشبه دارة فخمة، أنوار تتساقط من الكوى ونوافذ زجاجية ينكشف أمامها الفضاء.

Photo: Ben Claessens

نواة المتحف مجموعة فان غوغ: ثلاث صور مطبوعة، ١٨٣ رسماً، ٩٢ لوحة ملوَّنة تضم الشهيرتين "آكلو البطاطا" و"جسر لونغلوا". سررت بجو هذا المبنى الحميم. وبينما كنت أتأمل لوحة "دوار الشمس" من مقعد وسط الغرفة شعرت بأن الزهرات تنبض حياة في دفء الاشعة الآتية من الكوّة.

وتضم مجموعة المتحف أيضاً أعمال الفنانين الفرنسيين بيار رنوار وبول سيزان وكلود مونيه. الانطباعية المحدثة والفن التكعيبي(٢) ممثلان بأعمال بول سنياك وتيو فان ريسلبرغ وبابلو بيكاسو وجورج براك وجوان غري وفرنان ليجيه. أما أعمال الفنانين الحديثين وروائع الثقافات الاخرى فمعروضة بعناية في مساحات متفرقة. في منتصف حديقة حرجية للتماثيل مساحتها اثنا عشر هكتاراً تمثال "المرأة الساجدة" لاوغست رودان على مرجة منبسطة وتمثال "اوترلو" لمارتا بان عائم على بحيرة جانبية في الغابة وتمثال "المالج" لكلايس اولدنبرغ أزرق لامع يرتفع أمتاراً عند ضفة الدفلى المزهرة. وخلف سياج السرخس تمثال "شخص مائل" لهنري مور.

الفن هو الغاية – هذا هو الجو الملهم الذي نشده مؤسسا المتحف هلن وأنطون كرولر – مولر. ولدت هلن عام ١٨٦٩ في هورست بألمانيا. وأنشأ والدها مع شريكه وليم كرولر شركة شحن بحري وتجارة في روتردام. وكان أنطون احد موظفي الشركة، وهو الشقيق الاصغر لوليم وقد تزوج هلن عام ١٨٨٨. وخلال سنة توفي شقيق أنطون ووالد هلن تاركين الشركة في عهدة أنطون البالغ من العمر سبعة وعشرين عاماً وهلن كشريكة له. وفي عقود قليلة جعل الزوجان من الشركة المتواضعة شركة عالمية ذات مصالح في ست قارات بدءاً بصناعة اللحم في الارجنتين وانتهاء بمناجم الذهب في سيبيريا.

وبحلول العام ١٩٠٩ كان الزوجان المحبان للطبيعة جمعا ثروة كافية لشراء مزرعة بمساحة ٤٥٠ هكتاراً في فليوفي حيث يستطيع أنطون أن يمارس هواية الصيد وهلن هواية ركوب الخيل. وخلال سبع سنوات وسعا مساحة عقارهما الى ٦٨٠٠ هكتار.

في هذه الاثناء أحبت هلن الفن وكان سبق لها أن اشترت بضع لوحات لمجموعتها الخاصة عندما أراها أستاذها وصديقها هنري برمر ثلاث لوحات من أعمال فنسانت فان غوغ الذي كان آنذاك رساماً غير معروف توفي قبل عشرين عاماً. اللوحات الثلاث "زارع الدُخن" و"ساكنة الليمون" و"دوار الشمس" أثّرت فيها فاشترتها حالا.

عندما شاهدت هلن ذخائر الفن لدى أسرة مديتشي أثناء رحلتها الى فلورنسا عام ١٩١٠ أدركت أن جمعها روائع الفن لم يكن للذتها الخاصة بل لتثقيف الآخرين مستقبلا. فرسمت خطتها في رسالة الى صديق كتبت فيها: "سأبني بيتاً جديداً. وهذا البيت سيغدو متحفاً، وفي ما بعد ملكاً للشعب."

(٢) Neo — impressionism and cubism

لوحة "دوار الشمس" للرسام فنسانت فان غوغ.

زارت معارض وصالات لبيع أعمال فنية بالمزاد العلني وفنانين في بيوتهم بغية اقتناء لوحات. وعندما سافرت الى باريس مع برمر عام ١٩١٢ اشترت صباح وصولهما خمس لوحات. وبعد الغداء أضافت الى ما اشترته رسمين لفان غوغ ولوحتين لجورج سورا. وفي اليوم التالي زارت الرسام سنياك في محترفه حيث اشترت احدى لوحاته ولوحتين من أعمال صديقه سورا.

الفن بالنسبة الى سيدة الاعمال الموهوبة هذه "لا غاية له بل هو ذاته الغاية." اشترت أعمال فنانين غير معروفين بعد وأعمالا فنية ذات أساليب مختلفة لتقارن بعضها ببعض وتدرس ما الذي يشكل فناً. ابتاعت أعمالا قديمة بغية "دعم الاعمال الحديثة." وجمعت منحوتات وتحفاً خزفية شرقية قديمة العهود. وفي العام ١٩٢٠ باتت هلن تملك أكبر مجموعة فنية خاصة في هولندا. وبدأت تحقق حلمها.

انفتاح على الطبيعة – صممت هلن وزوجها أنطون على بناء متحفها في هوج فليوفي رمزاً لوحدة الفن والهندسة والطبيعة. أكثر من مئة خريطة وضعت للمتحف، وقدرت كلفته بستة ملايين غلدر (٣) وهذا مبلغ كبير من المال في تلك الايام. أنشىء خط حديد اضافي بطول خمسة عشر كيلومتراً بدءاً من مدينة ارنهام لنقل مواد البناء الى موقع المتحف. ولكن بعد مرور سنة، عند وضع الاساس، حصلت أزمة اقتصادية عالمية

(٣) الدولار يعادل اليوم نحو ٢،١ غلدر.

Photo: Kröller-Muller

Rijksmuseum Kröller — Muller

هلن كرولر - مولر وانطون كرولر.

بحيث لم يعد استثمار الملايين عملياً، فتوقف البناء.

لتأمين الوجود الدائم للعقار سجل كل شيء باسم مؤسسة تديرها أسرة كرولر. وانقضت سنوات اليسر ولم تعد الاسرة قادرة على انشاء المتحف. وأخيراً هيأت علاقات أنطون بالحكومة والاسرة المالكة الحل المنشود. وانتهت المفاوضات عام ١٩٣٥ ببيع عقار كرولر - مولر بمبلغ ٨٠٠ ألف غيلدر لمؤسسة خاصة جديدة تدعى "المتنزه الوطني هوج فليوفي." وقدمت الدولة المال في مقابل المجموعة الفنية، ووعدت ببناء المتحف خلال خمس سنوات.

في ١٣ يوليو (تموز) ١٩٣٨ حضر أنطون وهلن افتتاح "متحف كرولر - مولر الوطني." الحلم تحقق وبقيت هلن مديرة المتحف حتى وفاتها في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٣٩. أما أنطون فتوفي بعدها بسنتين.

على مر السنين عرف المتحف تجديدات عدة. عام ١٩٥٣، احتفالا بالذكرى المئوية لمولد فان غوغ، أنشىء جناح جديد يضم غرف عرض وقاعة استماع وغرفة نحت. وعام ١٩٦١ افتتحت حديقة النحت الاولى، وبعد أربع سنوات زيدت مساحتها. وجاء في كلمات للمدير التنفيذي ر. و. د. أوكسنار انها "مجموعة غرف في الهواء الطلق، جدرانها الاشجار وسقفها السماء."

عام ١٩٧٠ صُنِّف المتحف الاصلي رسمياً بناءً أثرياً، ورمم بكامله. وعام ١٩٧٧ افتتح جناح جديد. بعد قرابة أربعين عاماً أنجزت الدولة وعدها لهلن.

المتحف اليوم يركّز على جمع الفنون المعاصرة مع التشديد على النحت والرسم. أحد الفنانين الحديثين، الفرنسي دانيال بورن، أُعطي مجالا فسيحاً لتحقيق خواطره. علّق لوحات ذات خطوط عمودية بيضاء وملونة الى جانب كل نافذة سابعة في الجناح الجديد. ووفقاً لرأي المدير المساعد ج. برمر كان عمل بورن متأثراً بأهم صفة جذابة للمتحف ألا وهي انفتاحه وصلته البصرية بالطبيعة.

بالتنسيق بين هذه الاعمال الفنية ومحيطها تريد ادارة المتحف أن يشعر زواره بالراحة على رغم وجود بعض العناصر الحديثة المدهشة. هذه السياسة يختصرها برمر بقوله ان "ما يجده الزائر لا يمكن أن يعرض في مكان آخر على نحو أفضل مما هو معروض هنا، في جو كرولر - مولر."

بن كلايسنس

اللذة في العمل تثمر كمالا في الانجاز.

ارسطو

كتاب الشهر

سجينة رئة الحديد

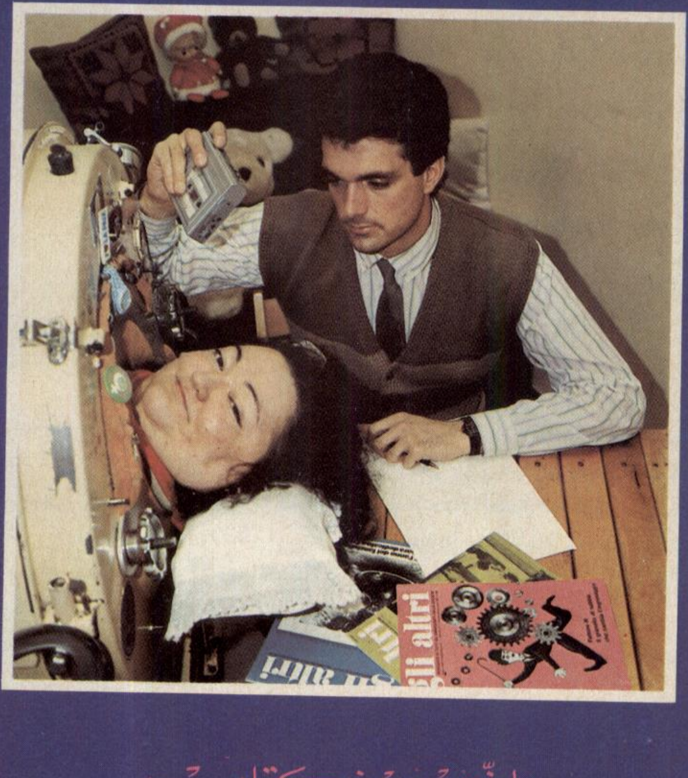

ملخص من كتاب

بقلم روزانا بنزي و سافيريو بافومي

Photo: Giancarlo De Bellis

سَجينَة رِئَة الحَديد

في العام ١٩٦٢ ابتُليت ابنة الرابعة عشرة روزانا بنزي بشلل الاطفال ومنذ ذلك التاريخ تعيش "مصندقة" داخل رئة حديد في أحد مستشفيات جنوى بايطاليا. قاومت المرارة واليأس وصارعت لكي تبني حياة مثمرة وأضحت رمزاً يلمّ شمل المعاقين في ايطاليا كلّها. وها هي تروي، بكلماتها وأسلوبها، حكاية انسانة اختارت طريق الحياة

في يناير (كانون الثاني) ١٩٦٢ اصطحبت أخي الصغير الى المستوصف لتلقيحه ضد مرض شلل الاطفال. فعلت ذلك خلافاً لارادة والديّ ونصف سكان بلدتنا موربلو. وكانت تلك أولى اللقاحات التي وصلت الى المنطقة. وبفعل سذاجة الناس وجهلهم فقد نظروا اليها بارتياب. لم يكن أخي تجاوز السنتين وكان طفلا دقيق الحجم مما ضاعف قلق والدتي وخشيتها. وهي توعّدتني آنذاك: "الويل لك إن أنت فعلت شيئاً من هذا القبيل!"

لذلك لم أتلقَّ اللقاح. ولم يأبه احد لذلك. ففي الرابعة عشرة من عمري كنت صبيّة "ناضجة."

في وقت لاحق وقعت ابنة عمي فريسة المرض. وهي شعرت بوهن شديد وبصعوبة في تحريك احدى ساقيها، وعندما عدتها في بيتها بدا عليها السرور لرؤيتي. وعلى رغم مرضها تحدثنا كثيراً وضحكنا كثيراً.

وكانت طريق العودة عبر بساتين الكستناء ما زالت مكسوة بالثلج على رغم اننا كنا في شهر مارس (آذار). وراقني ذلك وشعرت بسعادة عارمة، فرحت أغرف حفنات من الثلج وأتركها تنساب بين اصابعي كالطحين. وازدردت منها الكثير. كان ذلك مسليا، وكنت انا سعيدة.

بعد ثلاثة أيام، صباح ١٦ مارس (آذار)، نهضت من فراشي وبي ألم فظيع

Condensed from Il Vizio di Vivere, © 1984 by Rusconi Libri S.P.A., published by Rusconi Libri S.P.A., Milan

مجلس تحرير حول الرئة الحديد.

غلاف العدد الاول
من مجلة "الآخرون."

في الظهر. وشعرت بتعب عمّ جسدي وبكسل وانحطاط. ورحت أتنقل في مقهى والدي من مقعد الى آخر. وفي المساء غفوت سريعاً من شدّة الانهاك. وقرابة منتصف الليل ناديت أمي: "هلّا رفعتِ ملاءتي عن الارض يا ماما؟"

فردت غير مصدّقة: "هل جننت؟ ألا يسعك أن تفعلي ذلك بنفسك؟"

لقد أنهضتها من سريرها من أجل ذلك الطلب الغريب. كان لا بدّ من أن تجد عملي سخيفاً كتصرف طفل مدلل.

ولكن في صباح اليوم التالي لم اقوَ على رفع منديل الى أنفي لمسحه. ويداي عجزتا عن الوصول الى وجعي. أدنيت وجهي من يديّ لكن أناملي عجزت عن الاطباق على أنفي. وللحال طلبت أمي طبيب البلدة لكن أحداً لم يجده، فهو كان مسؤولا عن ثلاث بلدات.

Photo: By Courtesy of Rosanna Benzi

ساءت حالي بسرعة. مع قليل من المساعدة كنت أستطيع الوقوف، لكني لم أكن أقوى على النهوض بمفردي. نقلت الى سيارة والدي القديمة فانطلقت بنا الى المستشفى في أكيتيرم.

عند مدخل قسم الطوارىء تعسَّر اخراجي من السيارة. خرج جسمي على طاعتي واضطررت الى ترك سواي يحرّكني. بتُّ متفرجة. استغربت لهاث الممرضات ونظرة الرعب في عيني والدي فيما المسعفون يضعونني على النقّالة ويرفعون عني الغطاء بعدما أصبحت في الداخل.

ثم أتى طبيب شاب أمسك زمام الامور للحال.

سألني: "هل تحبينني؟" ثم تابع: "إن كنت تحبينني فعلا اعطيني قبلة." راقتني المزحة ورفعت ذراعي. تدبّرت أمري بطريقة ما ووصلت الى كتفيه، لكنني لم أستطع شبك يديَّ حول عنقه. شعرت بأن جسدي تخلّى عني. أيقنت ذلك لكنني كنت مشدوهة ومرتبكة. ورحت اكتشف كل دقيقة أعمالا أخرى لم يعد في وسعي تأديتها وعضلة أخرى تمرّدت على ارادتي.

كان طبيب أعصاب يعاين بعض المرضى في غرفة مجاورة، فاستدعي ليفحصني. أخرج مطارق وأدوات أخرى غريبة راح يمررها على جلدي. كان والدي يراقب ما يجري وكأنه طقوس يؤديها مشعوذ. اخيراً استدار الطبيب نحوه وقال له: "شلل الاطفال يتقدم فيها بسرعة. ولو كانت ابنتي لنقلتها الآن الى جنوى. غداً صباحاً لن يكون في وسعها أن تتنفس وستحتاج الى رئة حديد ولن تجد الوقت الكافي لتوصلها الى واحدة."

وهكذا أصبح الامر واضحاً جداً. فإما الذهاب الى جنوى واما الموت. وأما الرئة الحديد فلم يكن أحد يدري ما هي.

البيت الجديد

لم يعد والدي يملك أي خيار وقال لي: "ابقي هنا ريثما أعود الى والدتك لاخبرها بأننا ذاهبون الى جنوى." وقبل ان يغادر الغرفة وضع على الطاولة قرب السرير زجاجة ماء وكوباً، لكنهما لم يكونا في متناولي.

شعرت بعطش شديد لكنني لم أقوَ على رفع ذراعي عالياً لتناول الكوب. مسحته بيدي، وعبثاً حاولت أناملي الاطباق عليه قبل أن تهوي ذراعي كجسد هامد. لم يكن لي خيار سوى تكرار المحاولة، فحلقي كان جافاً وعطشي لا يرحم.

النساء الثلاث الاخريات في الغرفة كن نائمات. لم يكن هناك أي أمر آخر يفعلنه في تلك الغرفة في المستشفى. وحدها امرأة عجوز صغيرة الحجم بادية النظافة لها شعر أبيض كالثلج، لاحظت وجودي وراحت ترمقني بطرف عينها. وهي لم تكن واثقة بأنني أرغب في أن أشاهد في حربي مع الكوب.

أخيراً اقتربت من سريري خفيفة كالريشة وسألتني: "أنت عطشى، أليس كذلك؟ أنت عطشى؟"

رفعت الكوب الى شفتي وهي تبتسم. وفي الساعات القليلة التي تلت قدمت الي الماء غير مرة. ولم تفارق الابتسامة

شفتيها وكأنها أدركت أن حاجتي الى البسمة والى وجودها بقربي فاقت حاجتي الى الماء.

ثم نُقلت الى مستشفى سان مارينو في جنوى حيث عاينني طبيب ودود. فحصني بدقة واهتمام وفحص تنفسي ثم طلب مني أن أنام. وكان الليل قد انتصف، لكن النوم جفاني ورحت بين الفينة والاخرى اطلب من والدي ان يحرّك ساقي، فلم اكن مرتاحة.

"ماذا تقصدين؟ أحرك لك ساقيك؟" سألني وكأنه لم يشأ أن يفهم.

كان مجرّد التنفس يتطلب مني جهداً خارقاً. وقرب السرير في ضوء الغرفة الخافت ميَّزت بصعوبة شكلا أسطوانياً مستطيلا. الغموض الذي لفّ تلك الآلة سحرني وأثار فضولي. لم أفقه لها أي معنى، كذلك والدي. ولم نكن لندري وجهة استعمالها.

الصباح التالي كان زاخراً بمزيد من الاختبارات والفحوص، ولم أعد أقوى على أي حركة. تعذر علي أن أتنفس حتى بمساعدة الانبوب الذي أدخل فمي، فرحت أبصقه والممرضة تدخله مرة بعد أخرى. وبدأ مستوى الاوكسجين في جسمي ينخفض. وكل ما أذكره أن شخصاً اندفع الى غرفتي وهو يصرخ أنني أحتضر فليسرعوا. ثم هرع الجميع الى غرفتي.

أخذتني الممرضة بين ذراعيها. وخرجت من غيبوبتي برهة قصيرة كانت كافية لاعبّر عن رفضي دخول تلك الاسطوانة الصامتة ولأطلب منها أن تودّع الجميع باسمي وتدعني أموت بسلام.

عندما أفقت بعد ساعتين أو ثلاث ساعات وجدتُني داخل الرئة الحديد. ولعلّ الارهاق الذي أصابني تلك الليلة التي لم أذق فيها طعم النوم ساعدني في تقبّل احتضانها وخفّف عني وطأة الصدمة. شعرت بضغط شديد على صدري ومعدتي. كانت الآلة تتنفس عني. وكنا في عصر ٢١ مارس (آذار) ١٩٦٤. ولم أدرك عندئذ انني كنت في بيتي الجديد.

غرفة اجتماعات

كان رأسي الجزء الوحيد من جسمي الذي بقي خارج الرئة الحديد. أما بقية جسدي التي شلّها المرض فكانت داخل تلك الاسطوانة البيضاء المطلية بالمينا وذات الفتحة المطاط حول العنق. وفي طرفها البعيد رأيت مضخة ما فتئت تضخ الى الامام والى الوراء محدثة الضغط الضروري للتنفس. وكان تنفسي متطابقا مع ايقاعها الرتيب. وتقت الى رؤية أشجار الدراق المزهرة من نافذة غرفتي العارية من أي أثاث.

في غرفة أخرى من ذلك المستشفى رقدت امرأة أخرى داخل رئة حديد أخرى على اثر حادث اصطدام بين سيارتين. وشعرتُ بوجودها على رغم أنني كنت وحدي في الغرفة ولم يسعني أن أراها. شعرت وكأنها معي في الغرفة.

ذات يوم دخل علي الدكتور انريكو غولكو المساعد الأول لرئيس الاطباء في المستشفى وعلى شفتيه ابتسامة عريضة. وأخبرني أن المريضة الثانية بدأت تتنفس من تلقائها. وأضاف: "هذا يعني أنه ربما كان في مقدورك أنت ايضاً أن تتنفسي كذلك."

شقق كنزنجتون ـ لنـــدن ـ الفخـمـة...

· HUNTINGDON HOUSE ·

Elegantly furnished apartments

offering the discerning visitor to London the standard and service found in a luxury hotel plus the privacy of one's own home.

Huntingdon House is an elegant block of furnished apartments situated in Kensington, within easy reach of Harrods and Harvey Nichols at Knightsbridge and perfectly positioned for easy access to virtually all of London's finest attractions, including Hyde Park and The Royal Albert Hall. West End shopping, restaurants and night life together with Kensington's famous museums are also nearby.

There is a choice of apartments from one to three bedrooms, each with private entrance hall, large reception/dining room, luxury bathroom and fully fitted modern kitchen. Air condition and Central heating, colour television and direct-dial telephones are fitted as standard. Twenty-four hour porterage and daily maid service is also provided.

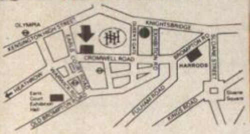

HUNTINGDON HOUSE
200-222 Cromwell Road, London SW5 0SW
Telephone: 01-373 4525/6/7/8/9
Telex: 25293 Hunting-G

مع ٦ بنت هاوس (Penthouse) مجهزة ومكيفة لخدمتكم

...حللت أهلاً ووطئت سهلاً

للحجز ومزيد من المعلومات: ٢٠٢ كروميل رود ـ لندن SW5 ـ هاتف ٣٧٣٤٥٢٥-٠١ ـ تلكس ٢٥٢٩٣

كان الدكتور انريكو عامراً بالأمل وصبره طويلا. وحاولنا جاهدين. وذات مرّة نجحت في البقاء خارج الرئة والتنفس بمفردي مدّة ٤٠ دقيقة. أربعون دقيقة من الجهد المضني.

الاحتمال أن المرأة الاخرى ربما استغنت عن الرئة الحديد ملأ نفسي غيظاً وأثار حسدي. ولما توفيت بعد يومين تحوّل حسدي خجلا ونقمتي غصّة في حلقي. كان ذلك درساً وددت لو استغنيت عنه لكنه درس لن أنساه ما حييت. لن أحاول أبداً أن أتعزّى بمقارنة نفسي بمن حالهم أسوأ من حالي. كل من يفعل ذلك مخطىء. فألم الآخرين لا يمكن أن يفرّج كربتي.

كان الاصدقاء دائما مهمّين في حياتي. ففغيابهم يشعر المرء بالوحدة، فكيف إذا وُجد في مثل حالي؟ وخلال الاشهر التسعة الاولى وأنا معزولة عن الدنيا في سان مارتينو، لم يتسنَّ لي أن أتعرّف الى أناس كثيرين، باستثناء الاطباء. ومع حلول عيد الميلاد في ٢٥ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٢ نُقلت الى غرفة أخرى ملاصقة لقاعة كبيرة وبقيت فيها بمفردي.

ولكن لسبب ما بدأ المرضى الآخرون يتجمعون في غرفتي ويتحلقون حولي ويتبادلون الاسرار والنكات والضحكات وأحياناً البكاء. وأظنّ أنهم كانوا يأتون الى غرفتي لانه لم يكن لديهم عمل آخر طوال النهار، من الصباح الى المساء. وبجانب رئتي الحديد كان سرير صغير استعمل للجلوس، ولم يكن يتسع للجميع، فكان بعضهم يظلّ واقفاً. وكان في الغرفة جهاز تلفزيون فكنا جميعنا نشاهد البرامج ثم نتناقش في مواضيعها.

عالم آخر

وبدأت أكوّن صداقات جديدة من خارج المستشفى. وانضممت الى فرقة الكشافة المحلية. وكان يزورني فتية من الاصلاحية. وبدأت أتلقى رسائل من أناس لا أعرفهم. ودرج أصدقائي على اصطحاب اصدقائهم لزيارتي. ووسط هذه الفوضى بدأت أتأقلم مع حياتي الجديدة وشعرت بنوع من الاستقرار.

بعد ١٤ سنة من الحياة القروية تعرّفت الى عالم جديد: عالم الاطباء والاساتذة. كان حديثهم يدور حول الادب والموسيقى وشؤون العالم. شعرت بجهلي وبدأت اقرأ. على ان قراءة الكتب كانت تتطلب وجود شخص آخر معي يقلّب صفحات الكتاب. ولم يشكّل ذلك أي عائق، لأن غرفتي كانت دائماً تعج بالزوار من أصدقائي والمرضى الآخرين. صديقي أندريا، وهو طالب فلسفة، رعى محاولاتي الاولى في عالم الادب وعرّفني الى عدد كبير من الكتاب وأشبع هوسي في جمع تواقيع المشاهير وكنا نتناقش في كل الامور.

ثم جاءت مرحلة الرسم. انا لست الشخص الاول ولا الأخير الذي يتعلّم الرسم بواسطة الفم. في البدء كنت أجادل والدتي، التي لازمتني ليلا ونهاراً، في وضع الاوراق وطريقة حملها الفرشاة كي التقطها بفمي. وتحوّل وجهي قوس قزح، ولم تكن فوضى الالوان على الورقة سوى نسخة مشوّهة عن جداول الالوان التي سالت على وجهي وعنقي وفتحة

منظر طبيعي رسمته روزانا بفمها.

الرئة الحديد. أما بحيرات الالوان على الأرض فعكست الأمل والتحدي والصمود في الصراع الذي تفجّر من أجل الحياة. وساعدني الاطباء فاشتروا لي جميع المعدات المطلوبة. أما زملائي المرضى فاستشفّوا ما كان يجري داخلي وهللوا لمحاولاتي وشجعوني.

جعلتهم يعلّقون لوحتي الاولى على الجدار قرب المصباح كي يضفي عليها الضوء الاصفر هالة درامية، وطلبت منهم أن يسدلوا الستائر ليسود الغرفة جو من الغموض ريثما يصل رئيس الاطباء الطبّيب القلب البروفسور فيليس غريولا.

وصل الطبيب أخيراً بربطة عنقه الفراشيّة وشعره القصير ونظارته ذات الاطار المذهّب وعينيه الزرقاوين الكبيرتين. خاطبني بصوت مرتفع: "كيف هي لعبتي اليوم؟"

وكان يسرني جداً عندما يناديني "لعبتي."

نظر حوله وكأنه يستكشف الغرفة المظلمة. وتعثرت قدمه بقاعدة المصباح وكاد أن يضرب اللوحة بأنفه. مستحيل الاّ يراها! كانت القطعة الوحيدة المضاءة في الغرفة. وأخيراً هتف: "يا لها من لوحة جميلة! من رسمها؟"

- انا رسمتها! رسمتها بفمي.

"انت يا روزانا؟ أنت رسمتها بفمك؟ أكاد لا أصدّق. وأضاف وهو يتفحّصها "انك بارعة حقاً! لا بل عظيمة!" وانحنى فوق سريري وطبع على وجهي قبلتين والدمع الغزير ينساب على وجنتيه. وهمس: "شكراً لك." وبعد ذلك بدأ يزودني أنواع الفراشي والأوراق والأطر.

اختيار الحياة

بدأ رجال الصحافة يظهـرون في غرفتي، لا بل يحومون كالنحل. سألوني: "كم من الوقت مضى عليك وأنت هنا؟" "ماذا اصابك؟" "كيف تتدبرين أمرك وتفعلين هذا وذاك؟" الى ما هنالك من أسئلة.

فوجىء رجال الصحافة بمنظري. فهم توقعوا أن يروا صورة مجسدة للالم ولنفس

Photo: By courtesy of Rosanna Benzi

موت الى درك الوحدة واليأس. كانوا على استعداد لنقل كلمات الاسى والحقد على القدر او كلمات الاذعان والاستسلام. لكنهم بدل ذلك وجدوا فتاة تضحك وتمزح. لم يجدوا أثراً للدمع ولنظرات الحزن التي توقعوها. أما أن تكون لي مخططات مستقبلية ومشاريع أنوي تحقيقها فقد بدا لهم ذلك امراً خارقاً وغير عادي.

وهكذا ظهرت في الصحف عناوين مثل: "الآنسة شجاعة" و"صلبة كالسنديانة" اشارة الى الفتاة التي تحدّت العالم والظروف وتعلّمت أن ترسم. وذاع صيتي ونُظم معرض للوحاتي. بعض الصحف مثل "كوريري مركانتيسلي" و"إل سيكولو ١٩"(١) أطلقت حملة هدفها شراء رئة حديد أخرى، فربما تعطلت الرئة الحالية ذات يوم. وخلال ٤٠ يوماً جمعت أربعة ملايين لير ايطالي(٢). أحياناً لا أفهم كيف تجري الامور، فعندما يطلق المرء نداء ما يفقد السيطرة ولا تنقطع المفاجآت. ولقد جاءني صديق يحمل ٤٠٠ ألف لير وقال: "هذه من ملهى في جنوى."

وكان المبلغ اقتطع من عائدات احدى الامسيات، فاضفناه الى الموجود.

في السرّاء وفي الضرّاء لم يكفّ زملائي المرضى في المستشفى عن تقديم الدعم الي وشدّ عزيمتي. وظهر ذلك جلياً عندما أصبت بالالتهاب الشُعبي الرئوي. وفيما أنا معلقة بين الحياة والموت بدا أن جميع مَن في المستشفى يجد صعوبة في التنفس.

دام الخطر يوماً كاملا اختلط فيه الليل بالنهار وامتلأ بالاسود والرمادي وبألوان منتفخة لا حياة فيها وبمزيج من الاصوات. خيط وحيد ظل صامداً. خيط رفيع من النايلون لا نهاية له. وكلما تمطّى ضمن الحياة لجسدي العنيد الهامد الذي ظل طوال سنوات متشبثاً بحياة تغيّرت. هذا الخيط وذاك العناد وصلوات أصدقائي هي التي ابقت علي وانتشلتني من الهاوية.

ربما كان هناك من يفضل الموت، إلا انني اختار الحياة دائماً.

الحب الاول

منذ كنت في الرابعة عشرة من عمري، ممدّدة داخل غرفتي المظلمة أستمع الى آخر أصوات النهار وأراقب النور حولي الى زوال، وأنا أحلم بقصّة حبّ. كان في وسعي أن أنسج حكاية خرافية، لكن "سندريلا" لم تكن فقدت القدرة على الحركة بل فقدت حذاء. أي قصة خرافية تلائمني؟ ومن سيكتبها؟

ذات يوم، وكنت ما زلت مريضة بالتهاب الشعَب الرئوي، اتى موريسيو لزيارتي ومعه بعض الاصدقاء. جلس الجميع على السرير بالقرب من الرئة الحديد وراحوا يراقبونني. لا بدّ من أن منظري لم يكن جميلا مع الانابيب التي أدخلت انفي والشريط اللاصق لتثبيتها.

كنت في التاسعة عشرة وكان هو طالباً يكبرني بسنتين أو ثلاث سنوات. في البدء كرهته لكنه عاد لزيارتي غير مرة بعدما أبللت. كان كثير التكلم عن نفسه وأسراره وطموحاته. ثم بدأ يأتي بكتبه ويدرس في الغرفة عندي وأنا الى جانبه. وبدأت أهتمّ لامره. بعد فترة أصبحنا

(١) Corriere Mercantile; Il Secolo XIX

(٢) الدولار اليوم يعادل ١٣٥٠ ليراً.

متلازمين. وكان البروفسور غريبولا يمرّ بمحاذاتنا ويرمقنا بطرف عينه. وذات مرّة قال للممرضة: "أرجو أن تتركي هذا الباب مفتوحاً على الدوام. لا تنسي، نريد أن نرى تلك الغرفة جيداً." فضحكنا.

وبعد ظهر أحد الايام، في غياب موريسيو، دخل غريبولا غرفتي وبدا على وجهه انه يحمل كلاماً مهماً. قال وهو يختار كلماته بعناية: "روزانا، أؤكد لك أنني سأستمر في محاولاتي لايجاد علاج أو مخفف لشللك. أما اذا وقعتِ في الحبّ فإنك ستحملين مسؤولية نفسك."

تلت ذلك برهة صمت. ماذا يسعه أن يفعل لشللي؟ وماذا يسعني أن أفعل لحبي؟ وأخيراً قلت له: "كل منا يلعب ورقته. ومَن يخسر يدفع الثمن."

خرج من غرفتي بابتسامة وغمزة. لكنه بدا قلقاً. كان رجلا حسّاساً ويدرك جيدا دقة الظروف. كان يعلم مثلا أن لبعض الناس أفكاراً خاصة عما هو حسن أو شبه حسن أو مقبول أو مرفوض. المعاقون تجوز لهم الشفقة. والحقيقة أنها تُغدق عليهم بسخاء كبير. الحنان أيضاً لا يعوزهم أبداً، حنان الاشقاء والشقيقات والوالدات والاصدقاء. ولكن هل الحنان والشفقة هما كل ما يصبو اليه المعاقون؟

سعادة غامرة

كل منّا يريد أن يعيش حياته العاطفية الحميمة كما يحلو له. وللمعاقين الحق في تلمّس طريقهم، وكل بأسلوبه الخاص.

كان موريسيو يعانقني ويقبلني، وكان مغرماً بي وأنا مغرمة به. واستمرت علاقتنا سنتين وجد خلالهما صعوبة في تقبّل الرئة الحديد، ليس فقط لانها كانت حاجزاً مادياً بيننا، بل لانه كان مهتماً بالمستقبل، ببناء بيت وعائلة وعمل ناجح. واقنع نفسه بأنه ليس اهلا لكل ذلك. وهو الآن متزوج وله إبن. أما أنا فأشعر أحياناً ببعض الأسف، لكننا ما زلنا اصدقاء. وهو يزورني من وقت الى آخر.

عندما بلغت الرابعة والعشرين وعلمت أنني لن انفصل ابداً عن الرئة الحديد، التقيت ماريو وكان طالباً في الجامعة. كان حبّنا كالثمر الذي ينضج بسرعة على شجرة قويّة ثابتة. كنّا نتحدث في السياسة والمجتمع والزهور وحقول القمح أيضاً. كنّا معاً نتساءل: ما الذي يُذهل أكثر، أول شعاع من نور الشمس يخترق الغيوم أو أول قطرة من المطر تسقط على الارض؟ وأيها أسرع زوالا، سرب من الفراش أو سعادة الانسان؟ وأيهما أبعد منالا، النجمة أو المجتمع العادل؟ وتأملنا تحامل الناس والجدران التي تفصل الاولاد "غير السويين" عن سواهم.

"يجب أن تحاربي التحامل،" قال لي ذات مرّة.

هزّ قوله وتراً في نفسي وسألته إن كان متأكداً من أنه ليس شخصاً متحاملا. وكما قلت سابقاً، كانت الثمرة نضجت بسرعة كبيرة فتحديته.

تعلّم كيف يضع الجرس الزجاجي على عنق الرئة، وكيف يناولني أنبوب الاوكسجين. تعلّم كيف يفتح الرئة الحديد. حمل الحب الى الجسد الذي كان كتلة من الشعور لا تقوى على الحراك. أردت أن يحملني الى البعيد وأن أسمع

تنفسه في أذني وأستمتع بالسعادة التي غمرتني: بالدنيا والحياة والزهور وأشعة الشمس وقطرات المطر... كلها مجتمعة. لقد كنت قريبة من ماريو لسنوات طويلة. وهو اعتاد الرئة الحديد لكنه احتاج الى وقت اضافي. أذكر مرّة، وكنا في الاشهر الاولى من حبّنا، كيف عبّر عن شعوره بالاحباط فراح يضرب المسند الذي استقر عليه رأسي ويصرخ: "انني أمقت سخّانة الماء تلك!" ففصلت ضربته مسند الرأس عن الرئة، ولو لم يسارع الى إسناد رأسي لدُق عنقي!

وصرخت: "هل أنت مجنون؟"

- انني أمقتها!

"حسناً، وإن كنت تمقتها فهي لي وليست لك!"

منذ العام ١٩٨٣ يعمل ماريو بعيداً عن جنوى. ولا اعرف ماذا يحمل لنا المستقبل. مازلنا نجتمع، لكن الامر أصبح أكثر صعوبة. كل ما أعرفه أنني في الخامسة والثلاثين من عمري لا أشعر برغبة في بناء علاقة مع شخص آخر. ليس لأن المرأة في الخامسة والثلاثين لا تملك ما تقدّمه، فهي ربما تملك أكثر من شابة في العشرين. كل ما في الامر أنني ربما استنفدت طاقتي على هذه الامور. والاحتمال الاكبر أنه إذا انفصلنا أنا وماريو فسوف أفقد كل اهتمام.

بيت السلحفاة

بعثت أشعة الشمس الدفء في وجهي. أخيراً، بعد أكثر من عشر سنين، خرجت الى الهواء الطلق وزهور الربيع حولي تتمايل مع الريح التي غمرتني برفق. كانت الفراشات تنساب في ضوء الشمس. لقد مضى وقت طويل لم ارَ فيه فراشة حتى كاد شكلها يغيب من ذاكرتي.

في أوائل السبعينات، أي قبل ذلك ببضع سنوات، زارني عدد من البحّارة الاجانب وعندما عادوا الى بلادهم نشروا صورتي في الصحف، وأرسلوا الي قصاصة مع مجلّة سنوية كانت تتناول شؤون المعاقين. وللحال أصبح للمجلّة مكان على رفّ الكتب في غرفتي. وقد حوت المجلّة صوراً لعدد من ضحايا شلل الاطفال يتمشون في رئات نقالة تشبه بيوت السلاحف. اختمرت الفكرة في رأسي وتساءلت لماذا لا أفعل أنا ذلك.

سافر الدكتور أنريكو الى لوزان لمقابلة ممثل للشركة التي تنتج تلك الرئات، وكان هو استخدم احداها. وما لبث الطبيب أن اقتنع بجدواها فطلب واحدة.

عندما وصل "بيت السلحفاة" أخرجناه من صندوقه وكأنه هدية عيد ميلاد، وتحلقنا جميعنا حوله. أخرجت من صندوقي ووضعت الرئة حول صدري برهة وجيزة. لكنها لم تعمل جيداً. كانت خيبتي عظيمة. ولبثنا ننظر الى الآلة بصمت.

لكن أحد أصدقائي كان يتقن الانكليزية فقرأ التعليمات التي جاء فيها أن في الآلة مُخلا يضبط مستويين من التنفس: مستوى للاطفال وآخر للراشدين. وكانت الرئة عندما جرّبتها مضبوطة على مستوى الاطفال. وعندما ضُبطت على مستوى الراشدين بات في وسعي أن أتنفس. كان الامر في منتهى البساطة. بدا واضحاً أنني لم أعد طفلة، فقد بلغت سن الرشد.

كان رئيس الاطباء الجديد البروفسور

لوتشيانو باليسترا طويل القامة فاتناً، لكنه كان صارماً. وهو الذي أخرجني الى الهواء الطلق للمرّة الاولى. كان بيت السلحفاة الذي يعمل بالبطارية يضغط صدري بايقاع تشنجي منتظم. ولم يكن الاطباء يحتاجون لنقلي الا الى كرسي ذي عجلات.

كان ذلك يوماً رائعاً. تخيّل نفسك سجيناً داخل رئة حديد طوال تسعة اعوام، وفجأة تصبح طليقاً تتنزه في الهواء الطلق بمساعدة آلة صغيرة. هناك حركة تلقائية، ولأنها تلقائية جدا خلت أنني أتيت بها، وهي أخذ نفَس عميق بعد حبس طويل. كم هي حيّة في ذاكرتي تلك الفراشات...

بعد ذلك ذهبنا في نزهة تليق بالمناسبة. وصلنا الى ريكو. كنّا في فصل الربيع وقد امتلأ الجو برائحة البحر. بقيت داخل سيارة الاسعاف من اجل سلامتي، ثم توقفنا بالقرب من الميناء الصغيرة وفتح الطبيب الباب الخلفي. بقيت في مدخل السيارة مدّة كانت كافية لتسفع وجهي أشعة الشمس.

كان بيت السلحفاة مأموناً، وخدمت البطاريات مدّة طويلة. وعلى أثر هذه النزهة قررنا أن أغادر سيارة الاسعاف في الكرسي النقال. وبدأنا نقوم بزيارات خاطفة على الشاطىء. بدونا كفريق طبّي من المغاوير هبط في مكان غير مألوف وأثار دهشة الناظرين. كانت سيارة الاسعاف تتوقف فننزل منها. اولا أمي أو بعض أصدقائها، ثم البروفسور فرنكو أنريكي نائب رئيس الاطباء، وأخيراً أظهر أنا جالسة في الكرسي. وكان البروفسور انريكي أحياناً يسأل بعض المارة عما إذا في الجوار مطعم يقدّم السمك الطازج. وذات مرّة ظن أحد السادة انه سمع خطأ فوصف له الطريق الى أقرب مركز للاسعافات الأولية.

نجمة المسرح

في بورتفينو واجهنا المشكلة المعتادة وهي ايقاف السيارات. فكل الناس يودون أن يتوقفوا في إحدى أشهر البقع في العالم مما دفع رجال الشرطة الى التشدّد، فكانوا يمنعون حتى الذبابة من الهبوط إلا حيث هو مسموح. وعندما شاهدوني أشق طريقي ببطء شديد في اتجاه البحر ومن حولي أصدقائي، راحوا يتكلمون في ما بينهم ويشيرون الينا.

بعدما سرنا في محاذاة الشاطىء بين جموع السياح عدنا الى موقف السيارات. وهناك وجدنا رجال الشرطة في انتظارنا. كانوا يحملون دمية ضخمة ذات شعر طويل جعد. نعم. أرادوا أن يفهمونا أن تحت البذلة الرسمية ينبض قلب يزخر بالمحبّة والانسانية.

رائع أن يستمتع الانسان بالهواء الطلق. هل تساءلتم يوماً عن سر جمال الافق؟ إنه يكمن في ذلك الخط الساحر الأقرب الى السماء. كنت أستمتع بمراقبة ابسط الاشياء: بحيرة، زهرة، طائر. عشرة ايام داخل الرئة الحديد كفيلة بأن تجعل أي انسان يُعرض عن المال ويفضّل رؤية سمكة تقفز في الماء أو طائر يحلق في السماء باسطاً جناحيه، ساكناً لا يتحرك.

لمس البروفسور انريكي غرامي بالمشاهد الطبيعية الخلابة وأبى إلا أن

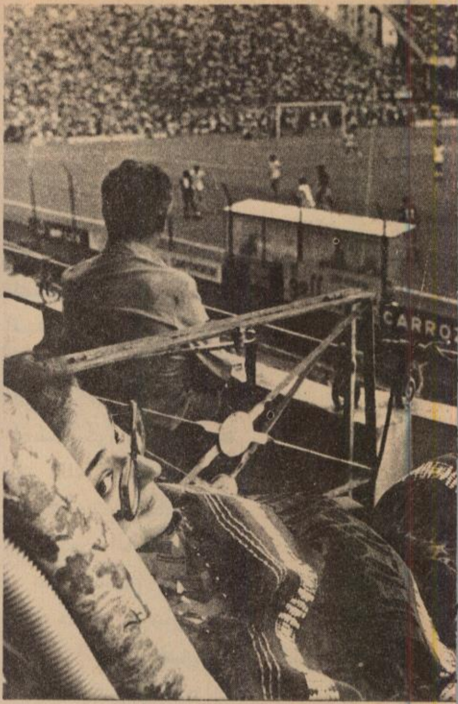
جالسة في "بيت السلحفاة" تشاهد مباراة في كرة القدم في ملعب "ماراسي" في جنوى.

يصطحبني اليها. وأذكر يوم ذهبنا أنا وهو وأمي الى مونتي فاس. وهناك في الهواء الطلق، وجنوى كلها تحتنا، تناولنا طعامنا الذي تألف من خبز ونقانق وشراب.

لم يقبل انريكي يوماً أن يتقاضى أي أجر على مرافقتي، حتى من المستشفى. وذات يوم شكرته فردّ: "أنا الذي عليّ ان أشكرك، فكل مرّة أصطحبك أكتشف أشياء كنت نسيت وجودها."

استغللت بيت السلحفاة على أحسن وجه. وأول زيارة لي الى المسرح كانت في المسرح الجنوي. وقبل أن أذهب الى هناك اجرى المستشفى اتصالا بالادارة لتأمين بعض الترتيبات، كوصل الرئة بشبكة الكهرباء في المسرح تخفيفاً على البطاريات. ومع أن الادارة أبدت كل ترحيب وتجاوب فقد خشيت أن تثير أصوات اللهاث والنفخ التي تطلقها الرئة اعتراض المتفرجين.

وفي ليلة الافتتاح وصلت وصحبي متأخرين. وكنّا على يقين بأنه له يسمح لنا بالدخول. ولكن ما ان دخلنا قاعة المسرح حتى انطلق شخص الى وراء الستار ليُعلم الفرقة ان في وسعها البدء أخيراً. انهم كانوا في انتظارنا!

عند انتهاء العرض وُضع سلم على حافة المسرح وأنزلت باقة عملاقة من الزهور. تصورت انها لنجمة الفرقة. وكم كانت دهشتي عندما وضعها حاملها بين ذراعيّ. حتى وجهه لم يتسنّ لي أن أراه إذ حجبته عني الزهور الكثيرة. وعندئذ هبّ الجمهور واقفاً وهو يصفق ويهتف: "برافو!"

الحفاوة نفسها تكررت في حفلات أخرى. إلا انه حدث ذات مرّة أن اعترض اثنان من الحضور على صوت الآلة، فما كان من ادارة المسرح إلا أن أحدثت ثقباً في أحد المخارج أُدخل فيه انبوب الهواء المضغوط وأبقي المحرّك في الخارج كي لا يزعج صوته أحداً وتولى احد المتطوعين مراقبته طوال مدة العرض. ان كنتم تحبّون المسرح كثيراً فلن تعدموا حيلة لتدبّر أمركم.

مضى على استخدامي بيت السلحفاة أكثر من عشر سنين. ولأن استخدامه لا يخلو من الخطر، فلم ألجأ اليه غالباً. ومن

Photo: Agenzia Leoni

جهة اخرى، تعلّمت أن استمتع بما أملك وليس بما لا أملك.

باقة زهر

نُقلت في العام ١٩٦٧ من غرفتي في المستشفى الى شقّة صغيرة في مبنى الطوارىء المخصص للعناية الفائقة. كانت والدتي تنام في غرفتي اما والدي فوضع له سرير في المطبخ.

ذات يوم قال لي صديقي ستيفانو: "لقد احضرت لك هدية، جهازاً لاسلكياً للبث والالتقاط."

فسألته: "ما هذا؟"

فأجاب: "انه جهاز للبث والاستقبال."

ذلك اليوم دخلت عالماً تتداخل فيه عشرة اصوات مفردة يتجمع اصحابها حول طاولة وهمية ويدخلون في حديث. كانت اصواتهم صافية رنانة حيناً، وخافتة يانعة ورخيمة احياناً. تارة تقاطع وتمزح، وطوراً تعذّب وتداعب. وسرعان ما اصبحت غرفتي الصغيرة تزدحم بالاصدقاء، اصدقاء الراديو. كنت دائماً محاطة بهم: "الباتروس"، "الوحش"، "الاستاذ كرز"، "بيت"، "زهرة اللبن الثلجية"، "جياني"، "العين"، "ملاك الليل". كانوا يزورونني حتى في ساعات الصباح الاولى عندما لا اكون راغبة في النوم او عندما يجفوني الرقاد.

بعد شهر دعاني "الاستاذ كرز" الى الرقص، وعندما اعتذرت عن عدم قبول الدعوة انزعج واعتقد انني خجولة او انه تسرّع في دعوته وقال: "انني عجوز وكل ما ابغيه رقصتين او ثلاثاً."

صمتت جميع الاصوات الأخرى وأنا اشرح له سبب رفضي، وبدا اصحابها مثل دُمى معلّقة على اسلاك الاجهزة وهوائياتها.

في اليوم التالي لاحظت تغيراً في الاصوات، وشعرت ان الجميع ارادوا حمايتي فراحوا يمطرونني بعبارات المديح والاطراء. وإذا جرؤ احد الوافدين الجدد على مجاملتي، كانوا يسرعون الى إسكاته قائلين: "الا تعلم اين هي أيها الابله؟ انها داخل رئة حديد في المستشفى لا تقوى حتى على الحراك". منذ ذلك اليوم اصبح هناك، على الهواء، صوت مختلف. كم تمنيت الاّ يكون كذلك والا اكون انا صاحبته.

صار اسمي على الجهاز "باتريشيا" وبدأ جميع الرجال يتملقونني ويحاولون الفوز بالحظوة لدي. وبما انني لم اكن خجولة او مكبوتة، فلقد تقبلت كل ذلك الاهتمام بكياسة ولطف.

ومن الامور التي افتقدتها، تلك الهالة او "الشيء ما" الذي يحيط بكل امرأة ويدفع الرجال الى خطب ودّها. حتى المجاملات الخشنة التي يعوزها الصقل تقول لك على الأقل ان أحداً يجدك جذابة. هذا بالضبط ما اتاحه لي الجهاز. والامر المهم الذي تعلمته ان على المرء الا يدع الوهم يسيطر عليه في تبدّده مع مرور الوقت رحمة بنفسه وبالآخرين.

لم يكن لورنزو الشاب على علم بوضعي فبدأ يقرأ لي أشعاراً رقيقة فيها حبّ وغزل. ثم طلب عنواني وسألني هل يستطيع زيارتي. اعطيته عنوان منزلي وقلت له انني اعيش فيه مع عدد من الاصدقاء. ونبهته الى انني نادراً ما اكون

فيه. وأخبرته أنني مخطوبة وأضفت: "انني على ثقة بانك تقرأ اشعارك لاي فتاة!"

فرد: "كلا، اقسم لك باني لا افعل ذلك مع اي فتاة."

فقلت: "اني اجد صعوبة في تصديق ذلك. على اي حال ان كنت تود ان اصفح عنك فارسل اليّ باقة من الورد."

كان اخي فرنكو في البيت عندما وصلت باقة الزهر مع اهداء "الى باتريشيا" فاعتقد ان في الامر لغزاً.

خير الاصدقاء

ذات مساء دخل على الجهاز فجأة صوت شاب يوناني لم يكن احد سمع باسمه من قبل، وقال: "باتريشيا، الا يمكن ان أثق بك وان لدقيقة واحدة؟ انك دائماً تغازلين الشبان!"

تساءلت عن هويّة ذلك الشاب لكنني قررت المضي في اللعبة فقلت له: "دعك من ذلك! انني الهو قليلا فما الضير في ذلك؟" فرد: "انك دائماً تقولين هذا. ولقد وعدتني بالّا تستخدمي الراديو في غيابي. انك مزعجة." فقلت له: "وانت تعلم ان نوبات الغيرة تلك تزعجني ومع ذلك فاني ادعوك الى عدم الكف عن إظهارها والتعبير عنها."

- "لا تحاولي ان تعكسي الامر. انت التي نقضت اتفاقاً خطياً!"

"اتفاق خطي! انك تتكلّم عن قصة غرام وكأنها دعوى في محكمة العمل."

بالاختصار كنا نرتجل المواقف. كانت خطبة عاصفة استمرت ثلاث سنوات وشهدت الحلو والمرّ والخيانة والمصالحة.

وكان "الباتروس" و"بريزا" والآخرون يتابعون فصول الرواية بصمت وقد حبسوا انفاسهم وبدأوا يرسلون الينا تحياتهم ويقدمون النصح الى من تخلّى عنه الحبيب.

في وقت لاحق، عندما علم الشاب جياني ان قصة الحب مع الشاب اليوناني لم تكن سوى مسرحيّة، راح يخطب ودّي جدّياً، فاعطيته املا وافهمته ان باتريشيا ليست ضد الحوار الراقي والجريء، وهي ليست فوقه وتتقن عبارات الحب شرط ان يثير الرجل اهتمامها. لكنه في المقابل عليه ان يفوز بحبّها، فهي ليست سهلة المنال، بل على العكس انها صعبة المراس بعض الشيء. "صدقني - قلت له -، انها رومنطيقية، تحبّ الزهور والنجوم والحقول الخضراء."

كان جياني يحبّ الحقول ايضاً وهو ذهب الى حدّ القول ان لا مانع لديه من اصطحابي اليها. لم ترفض باتريشيا طلبه وحدّدنا موعداً لذلك ذات مساء.

قبل اللقاء بقليل، اخبرته الحقيقة: "هالو! هنا باتريشيا. اصغ الي. لن نستطيع الالتقاء الليلة. فاجلس وسأخبرك السبب."

اخبرته كل شيء. لم يصدّق الامر للوهلة الاولى وفي اليوم التالي جاء لزيارتي وتحقق من صحّة اقوالي، فاصبحنا خير صديقين.

"الآخرون"

نحن المعاقين في حاجة الى مجلّة تعبّر عن آرائنا ووجهات نظرنا. ظلّت الفكرة كامنة في رأسي سنوات عدة. ولما كنت

وبعض اصدقائي اعضاء في لجنة مشتركة للمعاقين وعلى اتصال دائم بجمعيات واتحادات واولياء، فقد جمّعنا مواد كثيرة واصدرنا نشرة انطوت على ارقام ومقابلات.

بيَّنت تلك النشرة حقائق صاعقة، اذ كانت عقول الناس ملأى بالافكار الخاطئة. ولانهم لم يدركوا مشاكلنا لم يفعلوا شيئاً من أجلنا.

فكرة المجلّة رسخت في ذهني. وإذا فشلت فيها فستكون خسارة لي ولاصدقائي تقدر بـ١٠٠ الف لير. سمّينا المجلة "غلي الترى" (٣) اي "الآخرون" وشئناها صوت الذين لم يكن لهم صوت قبلا.

في يناير (كانون الثاني) ١٩٧٦ طبعنا ٣٠٠٠ نسخة من العدد الأول فبيعت كلّها.

النجاح الذي احرزه ذلك العدد كان ذا مغزى وهو ان علينا متابعة المشروع. والعملية التي لم تتغيّر تاريخيا، هي في الواقع بسيطة. اثنان او ثلاثة منّا تولوا مراجعة المقالات واعادة صوغها عند الحاجة من دون احداث اي تغيير في المحتوى او المعنى. وكانت مجلة "الآخرون" بمثابة منبر لجميع الآراء وليس لآراء اصحابها ومحرريها فحسب.

المشتركون شكلوا الاكثرية بين قرائنا، فنحن لا نبيع المجلة في اكشاك الصحف والمجلات لأن الموزعين يتقاضون عمولة تبلغ نسبتها ٤٠ في المئة وهذا ليس في مقدورنا. كل عدد يكلّفنا نحو اربعة ملايين لير، ويغطي البيع مصاريفه، علماً اننا متطوعون لا نتقاضى اي اجر.

أحد المواضيع المهمة التي تطرّقت اليها المجلّة كانْ الاجهاض. بعض الناس ارادنا ان نعارض فكرة الاجهاض في حال حصول تشويه ظاهر وواضح في الجنين. الا ان ما طُلب منّا حقاً هو ان نعلن نوعاً من التلاحم الغريب لا بل الشاذ بين "المقعدين البؤساء" من الاحياء و"المقعدين البؤساء" الذين لم يولدوا بعد. والواقع ان المطلوب منّا كان نوعاً من القرار الفردي والواعي حول موضوع الاجهاض. انا لا اعتقد شخصياً ان في وسع المرء ان يكون ضد الاجهاض ومعه في آن.

موضوع الجنس كذلك تلقى معالجة عاصفة. واذا كان هذا الموضوع هو من المحرّمات بالنسبة الى الاصحاء، ففي وسعك ان تتصور معناه بالنسبة الى المعاقين. ويحق لي ان ادعي اننا ادينا دوراً مهماً ببثنا الفكرة القائلة بأن المعاقين ليسوا، في اي حال، غير جنسيين وان الجنس والحب امران اساسيان في حياتهم. وما زال المعاقون مكبوتين الى درجة ان اي محاولة من جانبهم للحديث عن حاجاتهم المشروعة، كانت تقابل بنعوت مثل "قذري العقول." وقد اشترك عدد كبير من القراء في هذا الحوار واصبحنا هدفاً لكثير من الاهانات صدرت عن كل الجهات، الأهل، الافراد المصدومين، وحتى جمعيات المعاقين.

وكنّا ايضاً اول من ازعج المسؤولين المحليين بالحاحنا على توفير اوتوبيسات مزوّدة مصاعد للكراسي المتنقلة. وكان جوابهم ان المال اللازم لمثل هذا المشروع

(٣) Gli altri

غير متوافر. وفي ايطاليا تعتبر التسهيلات المخصصة للمعاقين من الكماليات، بخلاف البلدان الاوروبية الاخرى.

تعيش روزانا

حان وقت الراحة والنوم وساعدني في ذلك الايقاع المنتظم للرئة الحديد والنشاط الليلي المكتوم في المستشفى. رحت انصت، في دفء غرفتي المريح، الى صوت الآلة واعرض حالمة الوان الجدران والسقف. لن يطول الوقت قبل ان يطويني النوم.

فجأة، اطبق منفاخ الرئة بعضه على بعض وهو يهسّ كالافعى. سمعت صوتاً مرهقاً ثم شخرة تلاها صمت تام. لقد توقفت الرئة عن العمل ومعنى ذلك ان الزمن توقف اذ من دون هواء تنطفىء حياتي كما ينطفىء نور الشمعة في كوب مقلوب. ولطالما فكرت في هذه اللحظة، وبماذا يمكن ان يحصل في حال انقطاع الكهرباء. كنت اعلم ان امامي خمس دقائق قبل أن اغيب عن الوعي. حاولت ان اصرخ لكن صوتي علق في حلقي. رحت الهث بصمت طلباً للهواء، وحاولت ان اتشبث بالحياة ما استطعت. كل ما كان في وسعي فعله هو ان استلقي بسكون كسباً للوقت وحفاظاً على طاقتي. إن لم يأت أحد لنجدتي خلال خمس دقائق فاني سوف اموت.

أهكذا تنتهي الحياة؟ بدأ الاختناق البطيء يشوّش حواسي ولفّني ضباب من صور وافكار ونكهات والوان وروائح. وامتلأ رأسي بأسئلة شتى وبشعور ندم، ندم صادق وندم زائف، وبفضول وادانة وغفران. ثم تراجعت كلها وطواها النسيان. أين أمي؟ لماذا لم تستفق من نومها في الغرفة المجاورة؟ ألم يكن أحد يدرك أنني أريد أن أحيا؟ والأطباء... ماذا كانوا يفعلون؟ ما الذي يتوقف أولا القلب أم الدماغ؟ أيتها الآلة الغبيّة.

انفتح الباب بقوة واندفع الدكتور انريكو الى الغرفة. امسك الرافعة، المخل، الآلة، لا ادري ما اسمها، وراح يضخ بقوة فعاد الي الهواء بسرعة وعاودت الحياة مسيرتها في جسدي. بدا الامر كأنه قطار يسير على البخار أو طائرة تقلع أو ملاك حارس. لكن الحقيقة هي انني كنت انا روزانا في طريق العودة الى الحياة. ولقد عدت ظافرة.

يشكرني بعض الناس لبقائي حيّة وهم يقولون ان حالي تعبّر عن قدرة الانسان على التغلّب على الصعاب وعدم الاستسلام ومسايرة الظروف التي تفرضها عليه الحياة. لا يسعدني ان يعتبرني الناس رمزاً ولكن اذا كان هناك من عبرة فانها ليست في بليّتي بل في حياتي وفي ما انجزته.

حال المريض العقلية مهمّة جداً. بعض المتقدمين في السن يقضون حزناً بعد ان يحشوا انفسهم بأقراص ليس في وسعها ان تعيد إليهم ارادة الحياة. القلق والشك والتخلي، كلها امور تعرّض المعالجة الطبيّة للفشل. الطبيب الجيّد يهتم بمرضاه، وكنت دائماً حسنة الحظ فالاطباء غريولا وغالكو وبكسيو وانريكي وباليسترا الذين تعاقبوا على العناية بي، جميعهم كانوا في غاية اللطف والرقة.

فاهتمامهم بي والعاطفة التي اظهروها لي ساعداني بمقدار مساو تقريبا لمفعول الدواء.

كانت عائلتي عضداً عظيماً لي. لم يتخل عني افرادها مرّة فكانوا دائماً يزورونني. وامنت لي والدتي معظم طلباتي طوال ٢٥ عاماً بصبر لا يعرف حدوداً. ابي يزورني كل يوم حاملا نبات الفطر الطازج الذي يجمعه من الحقول ويحضّره بنفسه في المطبخ القريب من غرفتي. واحياناً نجتمع انا والعائلة وبعض الاصدقاء على وقعات لذيذة ونستمتع بافخر الطعام الآتي من اوفادا.

اما اخي الاصغر فرنكو الذي عزم منذ صغره على ان يصبح طبيباً ليجد علاجاً يشفيني، فهو الآن في السنة الرابعة طباً ويعيل نفسه بتنظيف السلالم مرتين في الاسبوع. انه ينظف ٢٦ طبقة مرتين في الاسبوع ليصبح طبيباً. اما بقية وقته فيصرفها في الدرس. اعتقد انه سيصبح طبيباً ناجحاً وانا دائماً اقول له: "لا تنسَ عندما تصبح طبيباً ناجحاً وتربح مالا وفيراً، انك كنت تنظّف السلالم. لا تدع ذلك يغيب عن بالك!"

نظرية حك الانف

"كيف تحكّين انفك؟" سألني الطفل وهو يمرر يده تلقائياً فوق انفه.

"لا تقلق - اجبته - عندما اشعر بحاجة الى حكّه فهناك دائماً انسان بقربي يفعل ذلك عنّي."

"انا احكّ انفي بنفسي." قالها رفايل بسرعة، ومن دون مقدمات، وبدا كأنه يفضّل طريقته.

مضت خمس عشرة سنة وانا داخل الرئة الحديد ولم تخطر في بالي قط قصة حك الانف هذه لكن الاطفال شديدو الملاحظة وفضولهم اكبر بكثير من فضول الراشدين.

سألت رفايل: "ماذا تفعل ان أتت الفأرة واكلته؟"

- "اكلت ماذا؟"

"انفك."

ابتسم الصبي واجاب: "انادي امي." فقلت: "وانا ايضاً انادي امي!"

ابتسم مقتنعاً بان بيننا امراً مشتركاً.

اكثر ما يعجبني في الاطفال بداهتهم وعفويتهم وتحررهم من جميع القيود الاجتماعية. والاطفال ليسوا متحيزين ويتعاملون والمعاقين مباشرة. ليت الكبار كانوا مثلهم.

ما الذي يغيّر الاطفال؟ ما الذي يجعلهم حذرين وضعيفي الثقة؟ اعتقد انهم يتعلمون هذه الامور من معلميهم ووالديهم. ربما اتت كلماتي غريبة مستهجنة لكنني اعتقد ان كثيرين من الآباء والامهات لا تروقهم رؤية ابنائهم يلعبون مع اطفال معاقين او يجلسون في المدرسة قرب اطفال متخلفين عقلياً. اعتقد ان الاطفال يلاحظون هذه التحفظات لدى والديهم فيأخذون بها.

ما الأذى الذي يمكن ان يحدثه طفل مشوه؟

احدى صديقاتي، وهي معلمة في صفوف الروضة؟ نقلت الي هذه المحادثة التي جرت بين بعض الاطفال وكان أحدهم من دون ذراع. كان معه صديقه وثلاث فتيات صغيرات. باندفاع تلقائي حاولت

الفتيات مساعدة الفتى على ارتداء معطفه، فقال لهن صديقه: "ماذا تفعلن؟ انه ليس غبياً وفي استطاعته ان يفعل ذلك بنفسه."

كم من الراشدين لهم هذا الحس السليم؟ وكم منهم يدرك انه بما ان المعاقين موجودون في هذا العالم فمن الافضل ان نتعلّم كيف نتعامل واياهم في شكل طبيعي منذ الطفولة.

"أصدقائي هم حياتي"

غالباً ما يُطرح علي هذا السؤال: ايهما افضل، ان يخلق الانسان معاقاً ام ان يصبح معاقاً في ما بعد؟ لا جواب لدي. أحد اصدقائي ضرير وهو يقول انه افضل للمرء ان يكون ضريراً من ان يكون في مثل حالي. اما انا فأقول العكس وهو يرد: "لكنني استطيع ان اتحرّك وألمس."

"وأنا في استطاعتي ان ارى كذلك."

انقضت عشرون سنة ولم يقنع احدنا الآخر. واظن من الافضل ان نبقى هكذا. قلّما تزعجني افكار مثل "عندما كان في وسعي ان ارقص" او "عندما كنت قادرة على الركض،" واجد سهولة اكبر في تذكّر مناسبات قلت فيها كذا او كذا.

الاصدقاء هم حياتي وانا دائماً محاطة بهم يشجعونني ويهللون لانجازاتي. كل واحد منهم مشغول بأعماله ولكنهم يأتون لزيارتي دائماً. عندما ابتعد ماريو عن جنوى جاؤوا لزيارتي حاملين الي الهدايا: العاباً وزهوراً وبيارق ملأت الغرفة. رئتي الحديد مغطاة بالعاب صغيرة وهدايا واقوال وعبارات خالدة وامثال أحبها وتعجبني.

اذكر عيد مولدي الحادي والعشرين. كان ذلك في شهر مايو (ايار) ١٩٦٩. وقد تحدثت الصحف عن هذا الامر، فامتلأت غرفتي بعد ظهر ذلك اليوم بنحو ٣٠٠ شخص اصطحبوا مصورين وصحافيين. وتلقيت برقية من رئيس الجمهورية.

الزهور ملأت غرفتي. زهور من اصدقاء، زهور "رسمية"، زهور من المستشفى، زهور من مؤسسات اخرى، زهور من اناس عاديين لم ارهم في حياتي سمعوا بقصتي او قرأوا عنها.

بالطبع مثل هذه اللحظات السحرية تضمحل، لكن شيئاً ما يبقى في داخلك. شيء من الصعب تحديد ماهيته لكنه بالتأكيد يبقى في الذاكرة لا يمحى وهو ادراكك انك لست في الحقيقة وحيداً وان حياتك مثل حياة الآخرين وان جزئياً.

وهذا ليس كل شيء. فما الذي كان يمكن ان تفعله شابة اخرى يوم عيد ميلادها الحادي والعشرين؟ ربما كانت ذهبت الى حفلة مع صديقها او الى نزهة او هما فعلا معاً امراً مميّزاً لا ينسى.

لم انهب الى حفلة، ولكن كان هناك امر واحد اجيده وهو تقبلي لحالي كما انا بابتسامة وسخرية. اعرف كيف اتخلى برهافة وذوق عن الامور التي كان في وسعي فعلها في ظروف مختلفة. انني لا استسلم بسهولة.

يسألني الناس احيانا عن وصيتي فاقول: حسناً اتمنى ان يستمر العمل الذي بدأته وان يقول سواي ممن هم في حاجة الى عضد ودعم: "إن هي فعلته فمعنى ذلك انه ممكن."

اود ان اخلف ورائي ذكرى انسانة لها حسناتها وعيوبها. مجنونة قليلا ربما، لكنها تنظر الى نفسها بسخرية وتحب الاشياء البسيطة. ذكرى انسانة حاولت الا تبدو تعيسة.

فكرة الموت كانت تخيفني. كم من الوقت بقي امامي لأعيش؟ من حسن حظي ان التنبؤ صعب، وليست هناك حالات مماثلة كافية تسمح باستنتاجات احصائية موثوق بها. ولكن هناك امرأة عاشت ٣٧ سنة في الرئة الحديد. احد الابيات الشعرية التي كتبتها على رئتي هي لمارتشيلو مارسيزي يقول فيها:

"فليجدنا الموت احياء

ولتجدنا الحياة غير مائتين."

في ٢١ مارس (آذار) ١٩٨٧ احتفلت باليوبيل الفضي للرئة الحديد التي رافقتني طوال ٢٥ عاماً. كانت سنوات جديرة بالحياة. وهذه اللحظة بالذات لا ابغي ابدالها بسنوات من عمر سواي. بالطبع لو قدّر لي ان اغادر الرئة الحديد وامضي في طريقي لشعرت بالسعادة. ولكن هل تدركون كم من الناس يستمتعون بحياتهم اقل بكثير مما استمتع انا بحياتي؟ كم منهم يصرف حياته هدراً، من دون تفكير؟

لقد تعلّمت الا ابدّد اي شيء.

روزانا بنزي

وسافيريو بافومي

ترجمة د. باسمة سكرية عيد

موسيقى صامتة

كنت وسط صحراء: سماء فسيحة وجبال عظيمة من الصوان وسكون تام يكاد يكون ملموساً. واذا بامرىء يوقف سيارته في جواري ويطلق لموسيقاه العنان.

المخازن الكبرى مشبعة بالموسيقى بحيث تسكننا حتى يدق أمين الصندوق جرس جنازة النقد المدفوع. المسافرون جواً لا يعطون هنيهة قصيرة من السكوت ليتمكنوا من جمع أفكارهم التي شتتها اقلاع الطائرة. الموسيقى في قاعات الفنادق تحول دون اجراء حديث ضروري قصير. والمطاعم تردد صداها.

لا يسمح لنا بأن نتألم بصمت. أطباء الاسنان يثقبون الاضراس على نغمات الموسيقى. وربات البيوت ينظفن ويطبخن لباخ.

ربما بشريط تسجيل فارغ أو بأسطوانة فارغة تتأمن لنا الفرصة الوحيدة للتمتع ببضع دقائق من الهدوء التام.

م.د

ولع الشباب

الأمر الوحيد الذي يمكن أن يكبح ولع الشباب بزي أو تصرف ما، هو تبنّي الكبار هذا الزي أو ذاك التصرّف.

ذ.ل.

بحلتها الجديدة

مجلة كل بيت

الحسناء

اسبوعية فنية اجتماعية شاملة

مواضيعها مفيدة، غنية، مبسطة تهتم بشؤون كل بيت :

- منوعات
- تحقيقات ومقابلات
- فن
- ثقافة
- تجميل
- اناقة
- مشكلة وحل
- طب
- مطبخ
- طبيعة
- حديث الابراج
- بالاضافة الى عدة ابواب أخرى

irp INTERNATIONAL

Media representatives of Al Mukhtar

Min Reader's Digest

Contact Offices:

Lebanon : *C/O La Régie Libanaise De Publicité s.a.r.l.*
Noura Center - Sin El Fil POB - 55342 - Beirut
Tel - 01 - 482185 - 482068 - 490307/11/12/13
Tlx - 42528 RELIP

France : *C/O Mediarab France*
116 Ave. Des Champs Elysées - 75008 - PARIS
Tel - 01 - 45.63.17.27. - Tlx - 641605 ISOBUR

UK : *C/O Mediarab LTD*
67 Knightsbridge - London SW1 X 7RA
Tel - 01 - 2358416/18 - Tlx - 918711 MEDIAB

هل تغيّر عنوانك؟

املأ هذه القسيمة وارسلها الى قسم الاشتراكات
في "المختار" على العنوان الآتي:
مجلة المختار من "ريدرز دايجست"
شارع المقدسي، بناية الشرتوني
ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان.

Name ________________________________ الاسم

New Address __________________________ العنوان الجديد

____

Date ________________________________ التاريخ

Subscription N° ______________________ رقم الاشتراك

Signature ____________ التوقيع

اكتب واربح

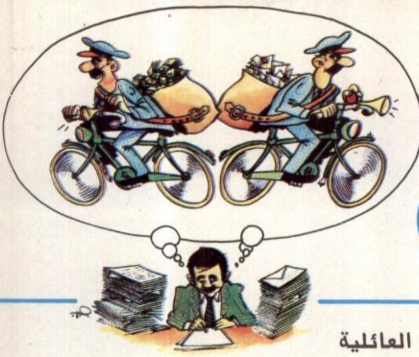

هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب ان تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

تأملات معاصرة: مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة افكار: أقوال مأثورة للاعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

المقالات: يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع. يدفع ٢٥٠ دولاراً عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.
- ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نُقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.
- تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٤٨، المتن الشمالي، لبنان.

مطرزة يابانية بالحرير لفنان مجهول